

دولّي ألدرتون

جائزة أفضل سيرة ذاتية لعام 2018
The National Book Awards



ترجمة
ريم طويل

دار الساقي


كلّ ما أعرفه عن الحب
دولّي ألدرتون
جائزة أفضل سيرة ذاتية لعام 2018
The National Book Awards
ترجمة
ريم طويل
دار الساقي


أهم جروبات على تليجرام
باحثون
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

دولّي ألدرتون

كلّ ما أعرفه عن الحب

ترجمة
ريم طويل






أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

إلى فلورنس كلينر



كل ما عرفته عن الحب مراهقة

الحب الرومانسي هو أكثر الأشياء أهمية وإثارة في العالم كلّه.

إن لم تشعري به وأنت ناضجة كفاية، فستفشلين بعد ذلك، تماماً كالعديد من معلمات الفنون اللواتي درّسنني وكان عليّ مخاطبتهنّ بلقب "آنسة" بدلاً من "سيدة"، وكنّ يتميّزن بشعرهنّ الأجعد ومجوهراتهنّ الإثنية.

من المهم أن تمارسي الكثير من الجنس مع كثير من الأشخاص لكن يستحسن ألا يتجاوز عددهم العشرة.

حين أكون امرأة عازبة في لندن، سأكون نحيلة وأنيقة جداً، أرتدي الملابس السوداء، أحتسي المارتيني، ألتقي الرجال في حفلات إصدار الكتب وافتتاحات المعارض فقط.

الحب الحقيقي هو عندما يتعارك من أجلك اثنان من الفتيان، وتظهر البقع الدامية الجميلة دون أن يضطرّ أحد إلى زيارة المستشفى. إن كنتُ محظوظةً، فسيحدث هذا لي يوماً ما.

من المهم أن تتخلّي عن عذريتك بعد إتمامك عامك السابع عشر، لكن بالتأكيد قبل موعد عيدك الثامن عشر. حتى لو تمّ الأمر قبل عيد ميلادك بيوم واحد، سيكون ذلك جيداً. أمّا دخولك العام الثامن عشر وأنت محتفظة بعذريتك، فهذا يعني أنك لن تمارسي الجنس أبداً.

يمكنك تقبيل قدر ما تشائين من الأشخاص وسيكون ذلك جيداً لكنّه لا يعني شيئاً؛ مجرّد تمرين.

الفتيان الألطف هم دوماً طوال القامة واليهود ومن يمتلكون سيارة.

الأكبر هم الأفضل لأنهم أكثر خبرة ورقيّاً ومعاييرهم أقل صرامة نوعاً ما.

حين يصبح للصديقات أحباء يتحوّلن إلى مضجرات. الصديقة التي لديها حبيب تكون مسلّية حصراً إن كنتِ قد حصلت على أحدهم أيضاً.

إذا لم تسألي صديقاتك عن أحبائهن إطلاقاً، سيتوقّفن عن الحديث عنهم لأنهنّ سيفهمن أنّك تجدين ذلك مملاً.

الزواج فكرة جيدة لكن بعد أن تكوني قد اختبرت الحياة قليلاً؛ لنقل في السابعة والعشرين. أنا وفارلي لا نُعجب بالفتى نفسه مطلقاً. هي تحبهم قصيري القامة ممتلئي الخدود مثل نايجل هارمان[1]، وأنا أفضّلهم مفتولي العضلات وغامضين مثل تشارلي سيمبسون[2] من فرقة Busted. لهذا السبب، ستدوم صداقتنا إلى الأبد.

1 ممثل بريطاني. (الهوامش كافة من المترجم)
2 مغنّ وكاتب أغانٍ وموسيقي إنكليزي.

لن تمرّ في حياتي لحظة أكثر رومانسية من تلك التي كنت فيها، أنا ولورين، نعزف في حفلٍ موسيقي بمناسبة عيد الحب في ذاك المقهى الغريب في سانت ألبانز وبدأت أغنية "lover, you should've come over"، فأغمض جو سوير الجالس في المقدمة عينيه لأننا كنا قد تحدثنا، أنا وهو، عن جيف بوكلي[3] قبل ذلك، ولأنه تحديداً كان الفتى الوحيد الذي التقيته وفهمني تماماً وفهم من أين قدمت.

3 مغنٍّ وكاتب أغانٍ وعازف غيتار وموسيقي وملحن أميركي.

لن يكون في حياتي أبداً لحظة أكثر إحراجاً من تلك التي حاولت فيها أن أقبّل سام ليمان فابتعد عني، ما جعلني أسقط أرضاً.

لن تمرّ في حياتي لحظة أكثر حزناً من تلك التي عرفت فيها أن ويل يونغ مثليّ، وكان عليّ الادّعاء أنني بخير، لكنني بكيت وأنا أحرق الدفتر الجلدي الذي كنت أحتفظ به هدية من حفل معموديتي، والذي دوّنت فيه تفاصيل حياتنا معاً.

يحب الفتيان حقاً أن تقولي لهم أشياء وقحة ويجدون من الطفولي وغير المرغوب فيه أن تكوني لطيفة جداً.

حين سيكون لديّ حبيب في النهاية، لن يكون هناك ما هو مهم.



الفتيان

الصوت المميّز الذي يذكره البعض من مراهقتهم هو صيحات أشقائهم البهيجة وهم يلعبون في الحديقة. بالنسبة إلى الآخرين هو صوت سلسلة درّاجتهم العزيزة وهي تعرج بين التلال والوديان، في حين سيذكر البعض أصوات العصافير التي كانوا يسمعونها بينما يسيرون في الطريق إلى المدرسة، أو صوت الضحكات وركلات كرة القدم في الملعب. بالنسبة إليّ ذاك الصوت هو صوت الاتصال الهاتفي عبر الإنترنت في برنامج AOL.

ما زلت أذكره الآن نغمةً نغمة. الصفير المعدني الرفيع الذي يأتي أولاً، والخربشات الحادّة المتقطّعة للصوت المشير إلى اتصال غير مكتمل. كذلك النغمة العالية التي تخبرك أنه أحرز بعض التقدّم، تليها النقرتان الحادتان الضعيفتان، ثم بعض الضجيج الأبيض. ليأتي بعده الصمت الذي يشير إلى أنك تخطيت الصعب فتسمع صوتاً ناعماً يرحّب بك: "أهلاً بك في AOL"، مع تلك النبرة التي تشدد على حرف "O". يليه: "لديك رسالة إلكترونية". كنت أرقص في أرجاء الغرفة على أنغام ذاك الصوت، فيعينني ذلك على جعل وقت الانتظار العصيب أقلّ وطأة. بحركات روتينية، كنت أؤدّي الأشياء التي تعلّمتها في دروس الباليه: plié عند الصفير، و pas de chat عند النقرات[4]. كنت أقوم بذلك كل ليلة بعد عودتي من المدرسة، تلك الأصوات كانت مثل الموسيقا التصويرية لحياتي. لقد أمضيت مراهقتي على الإنترنت.

4 حركات الباليه: plié: الانحناء، pas de chat: القفز بخطوات كبيرة.

توضيح صغير: كبرت في الضواحي. انتهى التوضيح.

عندما كنت في الثامنة اتخذ والداي قراراً قاسياً بالانتقال من القبو الذي كنا نسكنه في إزلنغتون لنعيش في منزل أكبر في ستانمور، المحطة الأخيرة على خط جوبيلي في أقصى الحدود الشمالية للندن. تلك المنطقة هي بمنزلة الهامش الفارغ من المدينة، الذي يبدو كمن يجلس مراقباً الآخرين يمرحون في حفلٍ، بدلاً من المشاركة فيه.

عندما تكبر في ستانمور لن تكون ابن مدينة ولا ابن ريف. كنتُ بعيدة جداً عن لندن لأكون واحدة من أولئك الأطفال اللطيفين الذين ذهبوا إلى The Ministry of Sound [5] والذين يتحدثون دون أن يلفظوا حرف "g" في أواخر الكلمات ويرتدون ثياباً أنيقة حصلوا عليها من متاجر أوكسفام الفاخرة في بيكهام راي. لكنني كنت أيضاً بعيدة جداً عن تشيلترن لأكون واحدة من أولئك المراهقين

الريفيين، المتوردي الخدود، الوحشيين، الذين يرتدون ستراتٍ كسترات الصيادين ويتعلّمون كيف يقودون سيارات آبائهم Citroen وهم في الثالثة عشرة، ويذهبون للتنزّه وتعاطي المخدرات في الغابة مع أبناء عمومتهم. ضواحي لندن الشمالية كانت بلا هوية، كاللون البني الفاتح في سجادات الشاج التي تزيّن كل بيت من بيوتها. لا فنّ فيها ولا ثقافة، لا تحتوي أبنية قديمة ولا حدائق عامة، لا مخازن مستقلّة أو مطاعم. كان هناك نوادٍ للغولف وفروع لمطاعم Prezzo ومدارس خاصة وطرق ودوارات ومنتزهات وأسواق تجارية للبيع ومراكز تسوق مسقوفة بالزجاج. بدت النساء فيها متشابهات وكذلك المنازل. حتى السيارات كلها متشابهة. الأسلوب الوحيد للتعبير كان بإنفاق المال على بناء الغرف الزجاجية الخارجية التي تضمّ أثاثاً متجانسَ التصميم، وعلى توسيع المطابخ، والسيارات المزوّدة بنظام ملاحة، وعلى العطلات المدفوعة التكاليف سلفاً في جزيرة مايوركا. ما لم تلعبي الغولف، أو ترغبي في تلوين خصلات شعرك، أو تذهبي للتجوّل في صالات عرض سيارات Volkswagen، ليس هناك ما يمكنك فعله.

5 نادٍ موسيقي في لندن.

كان هذا هو الواقع إن كنتِ مراهقة تنتظرين رأفة أمك بك وأن يكون لديها الوقت لتقلك في سيارتها Volkswagen Gulf GTI التي سبق ذكرها. لحسن الحظ، كانت صديقتي المفضّلة، فارلي، تسكن على بعد ثلاثة أميال ونصف من منزلنا الواقع في شارع ذي نهاية واحدة، فكان بإمكاني الوصول إليها بواسطة الدراجة.

كانت فارلي، ولا تزال، مختلفة عن أي شخص آخر في حياتي. التقينا في المدرسة عندما كنا في الحادية عشرة. كانت، ولا تزال، نقيضتي تماماً. هي سمراء، أنا شقراء. هي قصيرة جداً، أنا طويلة جداً. هي تخطّط وتضع برامج لكل شيء، أنا أترك كل شيء للّحظة الأخيرة. هي تحب الترتيب، أنا أميل إلى الفوضى. هي تحب القواعد، أنا أكرهها. هي ليست مغرورة، أنا أظن أن قطعة الخبز في فطوري الصباحي تملك من الأهمية ما يكفي لنشرها على مواقع التواصل الاجتماعي (بقنواتها الثلاث). هي حاضرة جداً بتركيز عالٍ على المهمات التي بين يديها، فيما أعيش مشرذمةً بين الواقع والنسخة الخيالية التي أنسجها في رأسي. لكن، بطريقة ما، نحن متفقتان. لن يكون في حياتي ما هو أكثر حظاً من اليوم الذي جلست فيه فارلي قربي في درس الرياضيات عام 1999.

كان تنظيم اليوم الذي نقضيه معاً هو نفسه دوماً: نجلس أمام التلفاز، نتناول جبالاً من الكعك والمقرمشات ونحن نشاهد المسلسلات الأميركية للمراهقين على قناة Nickelodeon (رغم أن هذا

يحدث عندما يغيب أهلنا فقط. فسكان الضواحي يتميّزون أيضاً بحرصهم على أرائكهم تحديداً؛ "ممنوعٌ بصرامة" تناول الطعام في غرفة المعيشة). وعندما ننهي حلقات Sister, Sister وTwo of a Kind وSabrina the Teenage Witch، كنا ننتقل إلى قنوات الأغاني، نحدّق وأفواهنا فاغرة في شاشة التلفاز التي تنتقل كل عشر ثوانٍ بين قنوات MTV، MTV Base وVH1، نبحث عن فيديو محدد لأشِر[6]. وحين نضجر، نعود إلى Nickelodeon +1 لنشاهد في الإعادة حلقات المسلسلات الأميركية التي شاهدناها قبل ساعة كلها.

6 مغنّ وممثل أميركي.

وصف موريسي[7] مراهقته ذات مرة أنها كمن "ينتظر حافلةً لم تأتِ أبداً"، الشعور الذي يتحرّك فقط عند بلوغك سن الرشد في مكان أشبه بغرفة انتظار بلون بني فاتح. كنت ضجرة وحزينة ووحيدة، أتمنى بملل أن تنقضي ساعات طفولتي. وجاءني برنامج "الاتصال عبر الإنترنت" AOL على حاسوب عائلتي المكتبي الكبير مثل فارس ظريف في درعٍ لامع. تبعه برنامج المراسلة الفوري MSN.

7 موسيقي وملحن ومغنٍ ومؤلف وشاعر بريطاني.

عندما حمّلت برنامج MSN وبدأت إضافة العناوين البريدية – لأصدقائي من المدرسة ولأصدقاء أصدقائي، ولأصدقاء من مدارس مجاورة لم ألتقهم أبداً – كان الأمر كمن يطرق على جدار غرفة السجن ويسمع طرقات لأحدهم يرد من الجانب الآخر، كاكتشاف العشب على المريخ، كمن يحرك مؤشر المذياع وهو يستمع لصوت التشويش في انتظار أن يتحول إلى صوت إنساني. كان مهرباً لي من كآبة الضواحي إلى ثراء الحياة الإنسانية.

MSN كان أكثر من وسيلة لإبقائي على اتصال مع أصدقائي بصفتي مراهقة، لقد كان مكاناً. أذكره بتلك الطريقة: غرفة أجلس فيها جسدياً لساعاتٍ كل مساء وفي نهاية كل أسبوع حتى تتورّم عيناي من التحديق إلى الشاشة. حتى عندما يصحبنا أهلي، أنا وأخي، لقضاء العطلات في فرنسا، كان يبقى المكان الذي أشغله كل يوم. أول ما أفعله لحظة وصولي إلى فندق B&B جديد هو اكتشاف هل لديهم حاسوب مع إنترنت – عادة ما يكون حاسوباً مكتبياً قديماً في قبو مظلم – وأدخل MSN وأجلس دون خجل أتحدث عبره لساعات، بينما يجلس خلفي في الكرسي ذي الذراعين مراهق فرنسي مزاجي ينتظر دوره. الشمس الريفية تشرق في الخارج، وبقية أفراد عائلتي يستلقون قرب بركة السباحة يقرؤون، لكن والديّ كانا يعلمان أنه لا مجال لمناقشتي عندما يتعلق الأمر

بالمراسلة عبر MSN. كان مكاني الخاص، محور صداقاتي كلها، الشيء الوحيد الذي يمكنني القول إنه ملكي. وكما أقول، كان مكاناً.

أول عنوان بريد إلكتروني لي: munchkin_1_4@hotmail.com وضعته عندما كنت في الثانية عشرة في غرفة المعلوماتية في المدرسة. اخترت الرقم 14 لافتراضي أنني سأجري المراسلات عبر البريد الإلكتروني لعامين فقط قبل أن يصبح هذا طفولياً. منحت نفسي فسحة لأستمتع بهذه الصيحة الجديدة وغرابتها إلى أن تنتهي صلاحية العنوان المرتبطة بعيد ميلادي الرابع عشر. لم أبدأ استخدام برنامج المراسلة MSN إلّا في الرابعة عشرة، في هذا الوقت استخدمت أيضاً عنوان: willyoungisyum@hotmail.com للتعبير عن شغفي الجديد برابح جائزة Pop Idol عام 2002. كما جربت thespian_me@hotmail.com بعد الأداء المذهل لقصائد Mister Snow الغنائية مع موسيقا Carousel من إنتاج المدرسة.

عندما حمّلت برنامج MSN للمراسلة الفورية أعدت استخدام العنوان munchkin_1_4 واستمتعت بمجموعة العناوين التي كنت قد راكمتها لأصدقاء المدرسة. المهم في الأمر أن البرنامج كان مدخلاً للتعرّف إلى الفتيان. فأنا حتى هذه اللحظة لم أكن أعرف الفتيان باستثناء أخي، وابن عمي الصغير، وأبي، وواحد أو اثنين من أصدقاء أبي في لعبة الكريكيت. فأنا بصدق لم أقضِ وقتاً مع أي فتى في حياتي كلها. لكن MSN حمل لي عناوين البريد الإلكتروني والصور الرمزية للفتيان الافتراضيين الجدد الذين يستخدمونه، والذين تبرعت بهم بكل إحسان فتيات مختلفات من مدرستي، تلك الفتيات اللواتي يتسكعن مع الفتيان في عطلات نهاية الأسبوع ثم يمرّرن عناوينهم البريدية برحابة صدر إلى بقية الطالبات. شكّل هؤلاء الفتيان حلقة MSN، أضافتهم كل فتاة من مدرستي كمعارف، وكنا جميعاً نتحدث حديثنا ذا الدقائق الخمس عشرة المعروف لهم.

ولمّا كانت عناوين الفتيان قادمة من مصادر مختلفة جداً، كان يمكن تصنيفهم في ثلاث فئات. الأولى ابن أم إحدى الفتيات في المعمودية أو صديق للعائلة تربت معه في بداية حياتها. والفتى من هذه الفئة كان عادة أكبر منا بسنة أو اثنتين، طويلاً جداً ونحيلاً مع صوت عميق. وتضمّ هذه الفئة أيضاً جار إحدى فتيات المدرسة. الفئة الثانية كانت أبناء عمومة أو أبناء عمومة من الدرجة الثانية لإحداهن. وأخيراً الفئة الأكثر إثارة: فتى التقته إحداهن عندما كانت مع عائلتها في عطلة. كان هذا الفتى بمكانة الكأس المقدسة حقاً لأنّه يُحتمل أن ينحدر من أيّ مكان، مهما كان بعيداً مثل بروملي أو مايدن، ومع ذلك، ستتحدثين إليه عبر برنامج MSN كأنه معك في الغرفة. أيّ جنون هذا، أي مغامرة!

رتّبت بسرعة فهرساً لهؤلاء الأشخاص المجهولين والطائشين وأعطيتهم رمزاً منفصلاً في قائمة معارفي باسم "الفتيان". أقضي الأسابيع بالتحدث إليهم عن GCSE [8]، وعن فرقتنا الموسيقية المفضلة، وكم دخّنا وشربنا، وإلى أي مدى كنا قريبين من الجنس الآخر (دائماً قصة من الخيال مصوغة بحذر). بالطبع، لم يكن لدينا فكرة أو ربّما مجرّد تخمين صغير عن كيف يبدو أي منا، لأن هذا سبق الهواتف ذات الكاميرات والملفات الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي. لذا، كان المعرّف الوحيد هو صورة الملف الشخصي الصغيرة جداً على الماسنجر والوصف الذي يقدّمه المرء عن نفسه. كنت أحياناً أجد مشكلة في استخدام الماسح الضوئي الخاص بأمي لأحمّل صورة لي تبدو جميلة من غداء عائلي أو من عطلة، ثم أقتطع بحذر صورة عمتي أو جدي باستخدام وظيفة القصّ في برنامج الرسم، لكن عموماً كان هذا مضيعة مزعجة للوقت.

8 المدارس التي توفر امتحانات الشهادة الدولية العامة للتعليم الثانوي.

رافق وصول الفتيان الافتراضيين إلى عالم صديقاتنا في المدرسة مجموعة من الصراعات والدراما. كانت الشائعات دائماً تدور حول من يتحدث مع من. وكانت الفتيات يمنحن ثقتهن لفتيان لم يلتقين معهم أبداً، بإدخال الاسم الأول للفتى في اسم المستخدم خاصتهن مع نجوم وقلوب، ويضعن خطاً تأكيدياً على كلا الجانبين. بعض الفتيات ظننّ أنهن يجرين حواراً خاصاً على الإنترنت مع أحد الفتيان، لكن ظهور أسماء المستخدمين كشف قصة مختلفة. فأحياناً، فتيات من مدارس مجاورة لم تلتقهن أبداً يضفنك ليسألنك مباشرة هل تتحدثين إلى الفتى نفسه الذي يتحدّثن إليه. هذه الحكاية كانت تُنشر في الغرفة المشتركة بين حين وآخر كتحذير. كان يمكن أحياناً أن تكوني عرضة لأن تفضحي علاقتك مع فتى على MSN بكتابة رسالة إليه في النافذة الخطأ وإرسالها إلى صديقة بدلاً منه. كانت مستويات شكسبيرية من المآسي.

مع ظهور MSN ظهرت قواعد معقدة للسلوك؛ إذا كنتِ والفتى الذي تحبينه في حالة اتصال ولم يكن يتحدث إليك، الطريقة الآمنة للفت انتباهه هي المغادرة ثم العودة للظهور مجدداً، سيجري إخطاره بعودتك وتذكيره بوجودك، ويمكنك الأمل بمحادثة. أمّا لو أردت تجنّب الحديث إلى شخص غير فتاكِ المحدّد، فلديك خدعة إخفاء حالتك، ويمكن أن تقومي بذلك خلسة. هي رقصة مغازلة إدواردية[9] معقدة، وكنتُ مشاركة دؤوبة وراضية.

9 نسبة إلى العهد الإدواردي، فترة حكم الملك إدوارد السابع وريث الملكة فيكتوريا، الذي تميز بالبذخ والثراء.

نادراً ما أنتجت هذه المراسلات الطويلة لقاءً حقيقياً، وإذا ما حدث، يكون مريراً ومخيّباً للآمال. مثلما وقع لماكس الذي حمل لقباً مركباً – كازانوفا MSN السيّئ السمعة، والمعروف بإرساله ساعات Baby G إلى الفتيات في البريد – والذي وافقت فارلي بعد أشهر من المحادثة عبر الإنترنت على لقائه في بوشي ظهيرة أحد أيام السبت خارج محل لبيع الصحف. وصلت إلى هناك، ألقت عليه نظرة واحدة فشعرت بالخوف واختبأت خلف صندوق كبير. راقبته يطلب رقم جوالها مراراً من صندوق الهاتف، لكنها لم تستطع مواجهة حقيقة لقائه وجهاً لوجه فعادت إلى المنزل. واصلا الحديث لساعات كل ليلة على MSN.

كان لي تجربتان: الأولى لقاء كارثي في مركز التسوق استمر أقل من خمس عشرة دقيقة، والثانية مع فتى من مدرسة داخلية مجاورة تحدثت إليه لعام تقريباً قبل أن نبرم في النهاية موعدنا الأول في مطعم Pizza Express في ستانمور. أمضينا السنة التالية كلها في علاقة متقطعة، متوقفة أساساً لاحتجازه دوماً في المدرسة. كنت أذهب لزيارته بين حين وآخر وأنا أضع أحمر الشفاه وأحمل حقيبة يد مليئة بعلب السجائر التي أشتريها من أجله، مثلما كان يُرسَل بوب هوب[10] لتسلية القوات في الحرب العالمية الثانية. لم يكن لديه وسيلة لاستخدام الإنترنت في مسكنه، ولذا كان MSN مستبعداً، لكننا عالجنا هذه المشكلة بالرسائل الأسبوعية والمكالمات الطويلة التي جعلت أبي يشعر باليأس عندما تلقى فاتورة هاتف أرضي مؤلفة من ثلاثة أرقام.

10 ممثل كوميدي أميركي عمل في الراديو والتلفزيون والسينما والمسرح.

في الخامسة عشرة، بدأت علاقة حب شغلتني أكثر من كل ما حدث في نوافذ MSN. صداقة جديدة مع فتاة بشعر غريب ونمش وعيون بندقية محددة بالكحل تدعى لورين. التقينا سابقاً في حفلة عيد ميلاد في Hollywood Bowl عندما كنا أطفالاً، لكننا تعارفنا أكثر في ما بعد عبر صديقتنا المشتركة جيس خلال عشاء في أحد المطاعم الإيطالية المتعددة في ستانمور. كان اللقاء أشبه بما رأيته سابقاً في الأفلام الرومانسية التي شاهدتها على ITV2. تحدثنا حتى جفّت أفواهنا. كانت الواحدة منا تنهي الجملة التي بدأتها الأخرى. تسابقنا في عرض الأفكار ونحن نضحك بصوت عالٍ. جلسنا على مقعد في البرد الشديد نواصل الكلام بعد أن طُردنا خارج المطعم.

كانت لورين عازفة غيتار تبحث عن مغنٍّ لتشكل فرقة، وكنت قد غنيت في ليلة موسيقية مفتوحة قليلة الحضور في هوكستون وأحتاج إلى عازفة غيتار. بدأنا التدرّب في اليوم التالي على أغنيات bossa nova [11] لفرقة Dead Kennedys في سقيفة أمها بعد أن أطلقنا اسماً تجريبياً على فرقتنا

"بانكهيرست الغاضبة"، وغيّرناه لاحقاً دون سبب واضح ليصبح "صوفي لا تستطيع الطيران". حفلتنا الأولى كانت في مطعم تركي في بينر مع زبون واحد فقط في المطعم المزدحم عادةً، وهو لم يكن فرداً من عائلتينا أو من أصدقاء المدرسة. واصلنا ابتكار الأسماء الكبيرة: بهو مسرح في ريكمانسوورث، مبنى خارجي مهجور لحديقة حانة في ميل هيل، جناح الكريكيت تماماً خارج شلتنهام. تشمّسنا في أي شارع لا شرطي فيه، كما غنّينا في أي حفل حضرناه.

11 نمط من الموسيقا الشعبية البرازيلية.

تشاركنا أيضاً هواية رائدة في استخدام محتوى MSN لأغراض متعدّدة. في وقت مبكر من صداقتنا، ومنذ بدء استخدام برنامج الرسائل الفورية، اكتشفنا أننا كنا ننسخ المحادثات التي أجريناها مع الفتيان إلى ملف Word ونطبعها ونضعها في دفتر خاص لقراءتها قبل النوم كرواية إباحية. كنا نظنّ أننا، الاثنتين، مثل Bloomsburry Group [12]، من أوائل مستخدمي MSN بين 2000–2010.

12 مجموعة من الكتاب والمثقفين والفلاسفة والفنانين الإنكليز وُجدت في النصف الأول من القرن العشرين.

لكن حين بدأت صداقتي مع لورين، تركت الضواحي لأذهب إلى مدرسة داخلية مختلطة على بُعد خمسة وسبعين ميلاً شمال ستانمور. لم يعد MSN قادراً على إشباع فضولي حول الجنس الآخر. كنت أحتاج معرفة كيف يبدون في الحياة الواقعية. لم تعد الرائحة الخفيفة من عطرPolo Blue من مجموعة Ralph Lauren العالقة على رسالة حب تكفيني، ولا نقرات الأصوات على MSN كذلك. ذهبت إلى المدرسة الداخلية في محاولة للتأقلم مع الفتيان.

(تعليق جانبي: شكراً لله أنني فعلت. تابعت فارلي مرحلتها الثانوية في مدرستنا التي كانت للإناث فقط، وحين بلغت الجامعة لم تكن تجيد التصرّف مع الفتيان لأنّها لم تمضِ وقتاً معهم. في الليلة الأولى من أسبوع استقبال الطلاب الجدد، أقيم "حفل إشارات المرور" حيث اتُّفق أن يرتدي العازبون قطعة ملابس خضراء في حين يرتدي المرتبطون الأحمر. ارتدى معظمنا سترةً خضراء للمناسبة، لكن فارلي وصلت إلى حانة السكن الجامعي وهي ترتدي جوارب خضراء، وحذاءً أخضر، وفستاناً أخضر، مع قوس أخضر عملاق في شعرها ولمسة ضبابية خضراء من مثبّت الشعر. بدت كما لو كان على جبينها وشمٌ يقول: كنت في مدرسة داخلية للبنات. سأشعر بالامتنان إلى الأبد لأنني اختبرت خلال سنتين في المدرسة الداخلية التفاعل مع الجنس الآخر فجاء الانتقال

لطيفاً إلى الجامعة، وإلا يُخشى أنني كنتُ سأستخدم أيضاً مثبت الشعر الأخضر في أسبوع الاستقبال).

كما يبدو، اكتشفت أنني لم أمتلك شيئاً مشتركاً على الإطلاق مع معظم الفتيان مع قلة اهتمامي بهم ما لم أرد تقبيلهم. ولأن أي فتى ممن رغبت في تقبيلهم لم يرد ذلك، كان الأفضل بقائي في ستانمور ومواصلة الاستمتاع بسلسلة من العلاقات الخيالية التي تنبت في الأراضي الخصبة لخيالي.

ألوم توقعاتي العالية في الحب الناجمة عن سببين: الأول أنني ابنة لأبوين مفتونين ببعضهما إلى حدّ الحرج، والثاني هو الأفلام التي شاهدتها خلال سنوات تكوّن شخصيتي. وأنا طفلة كنت مهووسة بالمسرحيات الموسيقية القديمة، وحين كبرت أدمنت أفلام جين كيلي وروك هيدسون. انتظرت أن يتصرّف الفتيان بأناقة وسحر مشابهين. لكن المدرسة المختلطة قضت على هذه الفكرة سريعاً. على سبيل المثال درسي الأوّل في السياسة. كنت واحدة من اثنتين فقط في الصف المؤلف من اثني عشر طالباً ولم أكن طوال حياتي قد جلست في غرفة واحدة مع هذا العدد من الفتيان. الفتى ذو المظهر الأفضل، الذي علمت سابقاً أنه كان حبيباً سيئ السمعة (حمل أخوه الأكبر الذي غادر المدرسة في السنة الماضية لقب ’’زيوس‘‘)، مرّر إليّ ورقة من تحت الطاولة بينما كان المدرّس يشرح ما هو التمثيل النسبي. كانت الملاحظة مطوية وعلى مقدمتها رسم قلب، ما جعلني أقتنع أنها رسالة حب. فتحتها بابتسامة خجولة لأفاجأ بصورة مخلوق غريب مع شرح توضيحي في الأسفل يخبرني أنه من نوع المخلوقات الخرافية التي ظهرت في فيلم Lord of the Rings، وقد كتب تحته: ’’أنت تبدين مثل هذا‘‘.

أتت فارلي لزيارتي في عطلات نهاية الأسبوع وسدّدت نظراتها إلى مئات الفتيان من كل الأشكال والأحجام يتجوّلون في الشوارع، ويحملون الحقائب الرياضية ومضارب الهوكي على أكتافهم. أذهلها كم أنا محظوظة لتمكّني من الجلوس على مقربة منهم في المقاعد الطويلة في القاعة كلّ صباح، فيما كنت قد أدركت أنّ حقيقة الفتيان مخيبة للآمال بعض الشيء. ليسوا ممتعين كالفتيات اللواتي ألتقيتهن هناك؛ ليسوا بالإثارة أو اللطف نفسه. ولسبب ما، لم أتمكّن من الارتياح تماماً لأي منهم.

توقفت عن استخدام برنامج المراسلة الفورية جدياً حين أنهيت المدرسة. وأثناء فصلي الأول في جامعة إكسيتر، وصل موقع ’’فايسبوك‘‘. كان ’’فايسبوك‘‘ كنزاً دفيناً للفتيان على الإنترنت؛ وعلى نحو أفضل، هذه المرة، لديك معلوماتهم الجوهرية المرتبة في صفحة واحدة. تصفحت بانتظام صور أصدقائي في الجامعة وأضفت كلّ من أحببت شكله، وكان هذا يتحوّل بسرعة إلى تبادل رسائل

ومخططات للقاءات في واحد من نوادي Vodka shark المتعدّدة أو حفلات الشراب التي تحدث في ذاك الأسبوع. كنت أقيم في حرم الجامعة في مدينة الكاتدرائية في ديفون، ولم يكن من الصعب تحديد أماكن بعضنا. وبينما كان MSN لوحة فارغة يمكنني ملؤها بخيالاتي الحيوية، فإن رسائل "فايسبوك" كانت وسيلة لقاء فعالة تماماً. كان الطلاب يحدّدون غزواتهم التالية ويرتبونها ليالي الخميس المقبلة.

عندما غادرت الجامعة وعدت إلى لندن، تخلّيت بحزم عن عادة الاهتمام بالدعوات الباردة لحب محتمل على "فايسبوك"، متحلّية بالعدائية المقنعة لمندوبي شركة Avon، لكن ظهر لي نمط جديد. أجتمع برجل عبر صديقة أو في حفلة أو في ليلة أقضيها خارجاً. أحصل على اسمه ورقمه ثم أنشئ معه علاقة بالمراسلة عبر رسائل نصية أو بريد إلكتروني لأسابيع وأسابيع قبل أن أسمح بلقاء واقعي ثانٍ. ربما كانت هي الطريقة الوحيدة التي تعلّمتها للتعرّف إلى شخص ما، مع الإبقاء على مسافة كافية بيننا تتيح لي ضبط نفسي وإظهار النسخة الأفضل منها؛ وربما لأن النكت الجيدة، وأفضل الجمل، وأفضل الأغنيات التي عرفت أنه سيعجب بها، كانت ترسلها إليّ لورين عادة. في المقابل، كنت أرسل إليها الأغنيات لترسلها إلى صديقها بالمراسلة. علّقت هي على ذلك ذات مرة بأننا نرسل موسيقا جديدة جيدة إلى بعضنا بسعر الجملة، ثم نرسلها إلى من يهتم بالحب كأنها ملكنا بعد إضافة "هامش ربح عاطفي".

كان هذا النمط من المراسلة ينتهي دوماً بخيبة أمل. بدأت أدرك ببطء أنه من الأفضل للمواعيد الأولى أن تحدث في الواقع عوضاً عن أن تكون بالمراسلة، وإلا يصبح الاختلاف كبيراً بين ما تتخيّله عن الشخص الآخر، وبين من هو فعلاً في الواقع. ابتكرت مرات عدة شخصاً في رأسي وخلقت كيمياءنا كمن يكتب نصاً سينمائياً، وحين نلتقي في الحياة الواقعية كنت أشعر بالخذلان على نحو مدمّر. حين لا تسير الأمور كما تخيّلتها، كنت أفترض أنني أرسلت إليه نسخة من مخطوطتي الخيالية، وأشعر بالإحباط لأن وكيله نسي أن يسلّمه إياها ليحفظها.

ستخبرك أي امرأة قضت سنوات نشأتها محاطة بالفتيات فقط الشيء نفسه: لن تتخلّصي أبداً من فكرة أن الفتيان هم الأكثر سحراً وخداعاً وبغضاً وغرابة من بين المخلوقات التي تتجوّل على سطح الأرض... إنهم خطيرون وأسطوريون مثل ساسكواتش[13]. يعني هذا أيضاً في أحيان كثيرة أنك حالمة مزمنة بالحياة. وكيف لن تكوني كذلك؟ في نهاية الأمر، كان كل ما فعلته هو الجلوس على الجدران مع فارلي، أركل الحجارة بنعالي المطاطية السميكة، أحدق إلى السماء، محاولتين أن نحلم

لنصرف انتباهنا عن التنهدات التي لا تنتهي لمئات الفتيات اللواتي يسرن حولنا في زيّ رسمي متشابه. عندما تلتحقين بمدرسة للفتيات سيمارس خيالك تمارين أولمبية. من المذهل إلى أي درجة تصبحين معتادة حرارة الخيال الشديدة عندما تهربين إليه غالباً.

13 أو: ذو القدم الكبيرة. اسم يطلق على كائن غريب يشبه القرد ويقال أنه يسكن الغابات شمال غرب المحيط الهادئ.

فكّرت دوماً أن دهشتي وهوسي بالجنس الآخر سيخفتان عندما أغادر المدرسة إلى الحياة، لكنني لم أعرف أنني سأكون في أواخر عشريناتي جاهلة في التعامل معهم كما كنت عندما سجلت أول مرة في MSN.

كان الفتيان معضلة. معضلة استغرقت مني خمسة عشر عاماً لحلّها.

يوميات الموعد السيّئ:
اثنتا عشرة دقيقة

العام هو 2002. عمري أربع عشرة سنة. أرتدي تنورة ذات ثنيات طويلة من متجر Miss Selfridge، وحذاء أسود Dr Martens وبلوزة قصيرة بلون برتقالي لامع.

الفتى هو بيتزاليل، عرّفتني إليه نتالي، صديقتي في المدرسة. التقيا في مخيّم عطلة يهودي وتحدّثا عبر MSN وداوما منذ ذلك على تقديم النصائح إلى بعضيهما حول العلاقات والحياة. كانت نتالي تبحث عن أصدقاء جدد بعدما فقدت أصدقاءها بسبب نشرها إشاعة كاذبة أن فتاة معنا في العام الدراسي تؤذي نفسها، في حين كانت في حقيقة الأمر أكزيما سيئة، وكنت واحدة ممن حاول كسب صداقتهن.

ولأنها تعرف أنني أريد حبيباً، تقترح نتالي أن تجمعنا، أنا وبيتز، على MSN. كنت أكثر من سعيدة بهذا الاتفاق السري، فهي تهديني فتىً جديداً أتحدث إليه مقابل أن أتناول الغداء معها من حين إلى آخر.

نلتقي، أنا وبيتز، بعد شهر من محادثات يومية عبر MSN. كان يعتقد مثلي أنّ كلّ شخص في سنّه غير ناضج. كما كان مثلي طويلاً نسبة إلى سنّه. نبحث ونثرثر ونتشاور باستمرار ونفكّر ملياً في خبراتنا المشتركة.

نتّفق على اللقاء في مقهى Costa في مركز التسوق Brent Cross. أطلب من فارلي مرافقتي، ولذا لا أكون وحدي.

يصل بيتز وهو لا يشبه أبداً الصورة التي أرسلها إلي. لقد قصّ شعره المجعّد وراكم أكواماً من الوزن فبات لا يشبه ما كان عليه في المخيم. يلّوح واحدنا للآخر عبر الطاولة. لا يطلب بيتز شيئاً.

تتسلّم فارلي دفّة الحديث بينما نحدّق، أنا وبيتز، في الأرض محرجين صامتين. كان يحمل حقيبة تسوّق ويخبرنا أنه اشترى للتو شريط فيديو لفيلم Toy Story 2. أقول إن ذلك طفولي فيقول إن تنورتي تجعلني أبدو كرجلٍ إسكتلندي.

بعد اللقاء الذي استمرّ اثنتي عشرة دقيقة قلت إن علينا أن نغادر لنلحق الحافلة 142 العائدة إلى ستانمور. عندما أصل إلى المنزل وأسجّل دخولاً على MSN، أتلقّى مباشرة رسالة طويلة من بيتز

أعرف أنه قد كتبها سابقاً على برنامج Microsoft Word ونسخها وألصقها في نافذة المحادثة بخط Comic Sans المائل المعروف به، وبلون أرجواني.

يقول إنه يظنّني فتاة لطيفة لكن لا مشاعر لديه نحوي. أُخبره أنه من غير اللائق أن يكتب محادثة ويجلس في المنزل ينتظر تسجيلي الدخول، فبينما هو يعيش قرب برنت كروس، تستغرق حافلتي خمساً وعشرين دقيقة إلى المنزل، وهو يعلم ولم يرد أن أسبقه بالقول إنّ إعجابي به كان أقلّ من إعجابه بي.

حجبني بيتز عن محادثته لشهر لكنه سامحني في النهاية. لم نلتقِ ثانية أبداً، غير أننا بتنا صديقين حميمين حتى بلغت السابعة عشرة.

تخلّصت من التزامي مع نتالي؛ لم نتناول الغداء معاً ولا مرة بعد ذلك.

وقائع الحفل السيئ: السكن الجامعي في UCL[14]، عشية العام الجديد، 2006

14 جامعة في لندن.

إنها عطلتي الأولى في المنزل بعد أول فصل في الجامعة. لورين أيضاً في المنزل من أجل عيد الميلاد. تقترح أن نذهب للاحتفال عشيّة العام الجديد في السكن الجامعي في UCL. لقد تلقّت دعوة من هايلي، فتاة كانت معها في المدرسة ولم ترها منذ توزيع الشهادات.

نصل شقةً كبيرة مشتركة في بناء متهدّم في شارع خلفي يتوسّط شارعي إيستون ووارين. الحضور كان مزيجاً من المدمنين في UCL وأصدقاء لورين في المدرسة وأشخاص من العابرين الانتهازيين رأوا الباب مفتوحاً وسمعوا أغنية "Ignition" ،R. Kelly"، تتكرّر طوال الوقت. حصلنا، أنا ولورين، على زجاجتين من النبيذ الأحمر (نبيذ Jacob's Creek Shiraz لكونها مناسبة خاصة) وشربنا من كأسين بلاستيكيين (لا من الزجاجة لكونها مناسبة خاصة).

تفحصت الغرفة بنشاط ودقات قلبٍ قوية بحثاً عن الفتيان. كنت آنذاك في الثامنة عشرة، وقد مضى ستة أشهر على بداية حياتي الجنسية النشيطة وأعيش مرحلةً تتزايد فيها رغبتي كثيراً. كان الجنس حينذاك مغامرتي واكتشافي الأكبر، فالمعاشرة كانت مثل التبغ والبطاطا، وأنا السيد والتر رالي[15]. لم أستطع فهم لماذا لا يفعل الجميع هذا طوال الوقت. الكتب والأفلام والأغاني التي كتبت عنه كلّها لم تكن كافية لتحيط عظمته بمختلف نواحيها. لم أفهم كيف يجد المرء كل ليلة فرصة لفعل أي شيء غير ممارسة الجنس أو إيجاد شخص لممارسة الجنس معه؟ (تبخّر هذا الشعور بصمت مع حلول عيد ميلادي التاسع عشر).

15 نبيل وكاتب وشاعر، يعرف أنه من أشاع استخدام التبغ وزراعة البطاطا في إنكلترا.

أتعرّف إلى وجه مألوف ودود فوق جسدٍ طويل بأكتاف عريضة ميّزتُه بسرعة؛ كان الفتى الذي لعب دور العدّاء في المسرحية الهزلية التي مثلتُ فيها بعد حصولي على الشهادة الثانوية. كنا نتغازل ونتذمّر من فريق الممثلين ونحن ندخن السجائر خفية وراء الكواليس. يقترب أحدنا من الآخر ونتعانق بسرعة ونبدأ تبادل القبل. هذه هي الطريقة التي كنت أتصرّف بها عندما تبدأ هرموناتي تضخّ عبر دمي بكثافة وسرعة: تصبح المصافحة قبلة، ويصبح الاحتضان ممارسة للجنس من فوق الثياب. يتطوّر المنحى الاجتماعي للعلاقة الحميمة بعد بضع خطوات.

بعد ساعتين من تشارك نبيذ Shiraz والاحتكاك ببعضنا، نقفل الحمّام على أنفسنا لختم الصفقة. بدأنا نتلمّس خصوصياتنا عبر سروال الجينز والتنورة؛ كنّا مراهقين ثملين يحاولان وصل قواطع التيار المفصولة عندما سمعنا قرعاً على الباب. ''المرحاض لا يعمل!'' أصيح. والعدّاء يلتهم رقبتي.

''دول''، تهمس لورين، ''هذه أنا، دعيني أدخل''. أرتّب تنورتي وأتحرّك نحو الباب وأفتحه قليلاً.

''ماذا؟'' أقول وأنا أدير رأسي متفحّصة. تضع لورين قدماً في شقّ الباب.

''كنت أمارس الحب مع فِن...''، تلاحظ صديقي في زاوية الحمام يرفع سحاب سرواله بخجل.

''أوه مرحباً''، تقول له بابتهاج.

''حسناً كنت أقيم علاقة مع فِن لكنني أخشى أن يتحسّس سروالي الداخلي''.

''إذاً؟''

''إنه مشدّ التنحيف للبطن والأرداف''، تقول وهي ترفع فستانها لتريني زناراً بلون اللحم.

''حسناً، اخلعيه فقط. ادعي أنك لا تلبسين شيئاً''، أقول وأنا أدفعها خارج الباب.

''أين سأضعه؟ الغرف كلّها مشغولة؛ دخلتها جميعاً وثمّة مجموعات في كلّ واحدة''.

''ضعيه هناك''، أقول مشيرةً إلى خلف المرحاض، ''لن يجده أحد''. أساعد لورين في سحب المشد أسفل ساقيها، وندسّه خلف المرحاض ثم أدفعها خارجاً.

المؤسف أن العدّاء، بسبب الكميات الكبيرة التي شربناها من الكحول وسجائر الحشيش، لم يستطع فعل شيء. نحاول أكثر من مرّة لمعالجة الوضع، ونكون في إحداها مهتاجين بشدّة فنتسبّب في نزع مرش الماء من الجدار، لكن محاولاتنا كلّها كانت غير مجدية. لذا، نقلّل خسائرنا ونغادر متفاهمين كلّ منّا في طريق. نتودّع بالعناق، ويغادر هو إلى حفلة أخرى. الوقت تجاوز منتصف الليل.

نجتمع، أنا ولورين، مجدّداً في الغرفة حيث تُدخّن الماريجوانا متمسكتين بالبحث عن فرصة جماع محترمة. كان فِن قد غادر أيضاً لموعد في حفلة أفضل عند ساعات الفجر الأولى من السنة الجديدة. نشرب نخب إتقان الصداقة والإحباط اللامنتهي من الفتيان، قبل أن نكتشف فرقة ''إيمو'' ونصادقهم بسرعة. التقيناهم على حلقة غناء مفتوحة في دوار ويتستون. تأخذ المغنّي صاحب الشعر الذي يشبه روبرت سميث، بينما آخذ عازف الغيتار مع خدود تشبه دمية Cabbage Patch. نسترخي جميعاً قبالة خزانة الملابس، نمرّر سجائر silk cut والحشيش بيننا، ونتناوب في تشغيل مكبرات الصوت في أجهزة ipod خاصتنا لنستمع لمزيج من جون ماير وبانيك! تتوقف الموسيقا فجأة.

"أحدهم كسر المِرَش"، تصرخ هايلي باستبداد، "يجب أن نجد الشخص الذي كسر المِرَش وعليه أن يدفع لإصلاحه، وإلا ستكون مشكلة كبيرة مع المراقب".

"نعم، يجب أن نجده"، أوافقها بافتراء، "أظنّ أنه ذاك الشابّ القصير ذو الشعر الطويل".

"أي شاب؟"

"كان هنا قبل لحظة"، أقول، "إنّه هو بالتأكيد. خرج من الحمام بصحبة فتاة وكانا يضحكان. أظنّه خرج ليدخّن سيجارة".

أقود الحملة التي انطلقت من طلاب السكن إلى الشارع لمطاردة الرجل الوهمي لكنّني أفقد اهتمامي بالخدعة بسرعة عندما أرى جويل باحثاً عن الحفلة. جويل هو الحبيب الشهير في شمال لندن. يهودي يشبه وارن بيتي مع شعر مثبت بقصة سبايكي وندبات حب الشباب التي تشبه ندبات داني زوكو المضجرة. أقدّم إليه سيجارة ونبدأ مباشرة تبادل القبلات كأننا كنا نتحدث قليلاً عن هيئة النقل في لندن. عدنا إلى الشقة حيث استمتعت بتقبيل جويل علانية. كان لديه بعض نقاط التفوّق على العدّاء السابق القديم الطراز.

كنت حزينة فقط لأنني لا أستطيع احتلال الحمام مرة أخرى، فهو مزدحم الآن بهايلي وفريق البحث الذين أفسدوا الحفلة محاولين استنتاج من كسر المِرَش وكيف. بينما أبحث عن مكان جديد للاختباء، تسأل كريستين وهي شقراء جميلة (إذا اعتبرنا جويل هو داني تكون هي ساندي[16])، هل يمكنها أن تقول له كلمة. أتركهما بلطافة ليتحدثا عملاً بالمثل القديم: إن أردت أن تنكح شيئاً ما، فدعه يذهب.

16 إشارة إلى فيلم Grease الذي أدى فيه جون ترافولتا شخصية داني وأوليفيا نيوتن جون شخصية ساندي. وهو فيلم رومانسي للمراهقين ظهر عام 1978.

اجتمعنا، أنا ولورين، من جديد لندخن سجائر Mayfairs. "اعتادا الخروج عندما كنا في المدرسة". تقول لي، "علاقة متقلبة جداً، قوية جداً".

"أوه"، أقول.

أرى كريستين وجويل متشابكي الأيدي يغادران الشقة. وهو يهمّ بالخروج لوّح لي معتذراً وهو يتمتم: "إلى اللقاء".

لورين مشغولة مع مغني الإيمو، يتحدّثان عن تتابع النغمات الموسيقية، في إشارة مؤكّدة أنها كانت ملتزمة فكرة الجنس. إنها الرابعة صباحاً تقريباً، وعليّ أن أستيقظ بعد ساعتين لأذهب إلى عملي مساعدة مبيعات في متجر الأحذية الراقي Bond street حيث أحصل على عمولة 1% لا

أستطيع تحمل خسارتها. أذهب للبحث عن قطعة من السجاد في غرفة مظلمة أنام عليها، ولسعادتي أجد سريراً مفرداً فارغاً فأضبط منبهي على السادسة.

أستيقظ بعد ساعتين مع أسوأ صداعٍ عرفته في حياتي، كأن دماغي انقلب إلى الخارج. عيناي ملتصقتان بفعل الماسكارا ورائحة نفسي تبدو كأن جرذاً برياً قد زحف داخل فمي خلال الليل ومات وتفسّخ. نظرت أسفل، إلى تنورتي Topshop البنية القصيرة وساقيّ العاريتين وحذاء القراصنة، فتذكّرت أنني لم أحضر معي زي العمل الرسمي.

"هايلي"، أهمس وأنا ألمس جسدها بإصبع قدمي الكبير، وهي تنام على كومة من السترات على الأرض قربي. "هايلي، أحتاج استعارة ثوب، مجرد ثوب أسود بسيط. سأعيده في وقت لاحق اليوم".

"أنت في سريري"، تقول بحزم، "لم تخرجي منه في الليلة الماضية".

"آسفة"، أجيب.

"ولورين أخبرتني أنك أنت من كسر المِرَش"، تتمتم عبر السترات. أصمت وأغادر بهدوء نادمة فقط على المحبة التي أبديتها قبل ساعات حين وجدت دفتراً صغيراً لقصائد هايلي الحزينة تحت وسادتها ولم أقرأه بالكامل.

بينما أدخل للعمل، تعترضني ماري، مديرتي وشبيهة الساحرات. "تبدين كالمشردات"، تقول، ثمّ تتابع: "رائحتك أيضاً كذلك. انزلي إلى المخزن"، وتلوّح بيدها في وجهي لتصرفني كأنها تصرف ذبابة. "لا يمكنك الاقتراب من الزبائن اليوم".

عندما أصل إلى المنزل تلك الليلة، بعد أطول يوم عمل في حياتي، أسجل دخولاً إلى "فايسبوك" لتفحص الضرر الفوتوغرافي لليلة السابقة. في أعلى صفحتي، هناك صورة مقرّبة لسراويل لورين الكبيرة وضعتها هايلي ضمن ألبوم باسم "ملكيات ضائعة". وأشارت في الصورة إلى جميع من كان في الحفل. والتعليق يقول فقط: "لمن هذه السراويل؟"

رؤوس Hellraiser[17] تنطلق إلى ليمنيغتون سبا

17 [باعث الجحيم] فيلم رعب بريطاني، إنتاج 1987.

أوّل مرة ثملت فيها، كنت في العاشرة. كنت ضيفة في حفل "بات ميتسفا" لناتاشا برات إلى جانب أربع فتيات غيري من المحظوظات اللواتي تم اختيارهن من عمرنا. في خيمتهم المغمورة بضوء الشمس في حديقتهم الخلفية في ميل هيل، كانوا يقدمون النبيذ والسلمون المدخن. شعر النساء كان مصففاً بتموج شديد، وشفاههن مصبوغة بلون بيج موحد. ولأسباب لن أفهمها أبداً، قدم إلينا طاقم الموظفين كأساً وراء الآخر من الشامبانيا، رغم أنّه كان واضحاً أننا جميعاً لم نبلغ بعد، ونرتدي أثواب Tammy Girl ونضع مشابك الفراشات في شعرنا.

بدايةً شعرت فقط بموجة من الدفء تسري في جسدي، تسارع جريان دمي، احمرّ خداي. ثم شعرت كأن براغي مفاصلي قد حُلَّت، لأجد نفسي مرنة وخفيفة كعجينة مثبتة. وبعدها أتت الثرثرة، القصص المضحكة، الانطباعات المثيرة عن المعلمين والأهل، النكت الوقحة، أفضل كلمات الشتم (حتى هذا اليوم، لا تزال هذه الخطوات الثلاث هي ما أمر به عندما أشعر بالثمالة).

انتهت رقصة الأب–البنت، على أنغام أغنية "Brown Eyed Girl" لفان موريسون، نهاية فظة قبل أن تكتمل عندما ارتمت إحدى الفتيات، وكانت أطول منّا قليلاً، على بطنها فوق حلبة الرقص وراحت تتلوى باهتياج تحت سيقان الراقصين مثل سمكة تتخبط خارج الماء. تبعتها بسرعة قبل أن يبعدنا العم المنزعج ويخبرنا أن نتوقف. لكن الليلة كانت قد بدأت للتو.

بعد أن ملأني هذا الإحساس الجديد ثقة بنفسي، قررت أنه الوقت الملائم لقبلتي الأولى، تلتها قبلتي الثانية (أفضل أصدقائه)، ثمّ قبلتي الثالثة (شقيق الأول). التصق الجميع ببعضهم يتبادلون الشركاء ويحاولون تقبيل الجميع كأنهم حلوى مشتركة على المنضدة. في النهاية، انقطع هذا اللهو الطفولي الممل إذ أخذونا إلى الحجرة الأمامية وقدموا إلينا القهوة السوداء. كان الباب مقفلاً واستدعي أهلنا لأخذنا. كان سلوكاً سيئاً لم يسبق له مثيل. وبختنا مديرة مدرستنا مرة ثانية يوم الإثنين لأننا "مثلنا المدرسة بطريقة سيئة" (الاتهام الذي غالباً ما وجّه إليّ خلال سنوات المدرسة، لطالما صدمني ذلك كضربة قاضية، وإن خفيفة بعض الشيء، خاصة أنني لم أكن قد اخترتُ أبداً تمثيل المدرسة، بينما اختار والداي المدرسة لتمثلني).

لن أكون نفسي بعد تلك الليلة؛ أحداثها كانت كافية لملء صفحات من مذكراتي على أبواب المراهقة. عرفت طعم الكحول في عمر صغير جداً. توسلت للحصول على كؤوس صغيرة مخففة من النبيذ في كل مناسبة عائلية. التهمت العصير الحلو القابض للحنجرة من حبوب الشوكولا المسكرة في عيد الميلاد على أمل أن أصل الثمالة. عندما أصبحت في الرابعة عشرة اكتشفت أخيراً أين يخبئ أبي وأمي مفتاح خزانة المشروب. كنت أتجرع كؤوساً من البراندي الفرنسي الرخيص عندما يخرجان من المنزل، مستمتعة بغموض الدوار الدافئ الذي كان يخفف وطأة الواجبات المدرسية. أحياناً كنت أشدّ فارلي إلى حفلاتي الخفية. نتجرع زجاجة الجن Beefeater ونعيد ملأها بالماء، ثم نجلس على السجادة الفاخرة ونشاهد "من يريد أن يصبح مليونيراً؟"، ثملتين نتعارك حول الإجابة الصحيحة.

أن أكون مراهقةً هو أكثر ما كرهته في حياتي. كنت متلهّفة للبلوغ ومتعجلةً أن أؤخذ على محمل الجد. كرهت الاعتماد على الآخرين من أجل أي شيء. كنت مستعدةً أن أعمل في تنظيف الأرضيات بدلاً من الحصول على مصروف الجيب أو السير ثلاثة أميال في الليل تحت المطر بانتظار أن يأتي أحد والديّ لاصطحابي إلى المنزل. في الخامسة عشرة، بحثت عن أسعار الغرف في كامدن، لعلّي أستطيع ادخار الأموال من مجالسة الأطفال. وفي العمر نفسه، كنت أستخدم وصفات أمي للطعام لاستضافة "حفلات عشاء" مُرغِمةً صديقاتي على تناول المعكرونة مع الدجاج المشوي وإكليل الجبل، وحلوى "بافلوفا" مع توت العلّيق على أنغام فرانك سيناترا، في حين أنن جلّ ما كنّ يبتغينه هو تناول البرغر والذهاب للعب البولينغ. أردتُ صديقاتي الخاصات، مخططي الخاص، منزلي الخاص، مالي الخاص، حياتي الخاصة. وجدت في أن أكون مراهقة وكبيرة في الآن نفسه إحراجاً مترافقاً مع الإحباط والكدر والتقييد وافتضاحاً لا يمكن ستره بسرعة كافية.

ربّما كانت الكحول تعبيري الصغير عن رغبتي في الاستقلال، طريقتي الوحيدة لأشعر أنني بالغة. كل الأفعال الناجمة عن الشراب، التي أدمنتها صديقاتي، كالتقبيل، والصراخ الحاد، والمقايضات السرية، والتدخين، والرقص، كلّها كانت مسليّة، غير أنّ الكحول ارتبط عندي بشدة بالبلوغ. وهو أكثر ما أحببته. كنت أحيا الظلال المتخيلة لحياة البالغ الدنيوية. أتجول بثقة في متاجر الخمور المحلية وأستعرض الزجاجات وأنا أتظاهر أنني أجري محادثة عبر هاتفي من طراز 3310 Nokia حول "حفلة شراب عادية هذا السبت" أو عن "يوم مرعب في المكتب" أو "أين تركت السيارة؟" وأمسك نسختي المطوية الأطراف من كتاب *The Female Eunuch* [18] (على نحو

مثير للسخرية، للديكور فقط). كنت أقف وسط الممر على مسمع المعلمات في ازدحام الساعة الرابعة عند الخروج من المدرسة يوم الجمعة وأصيح: "نحن ما زلنا على موعدنا على العشاء؟"، وأنظر إلى فارلي: "أنا أتخيل زجاجة مليئة من الأحمر!"، وأستمتع بالنظرات الساخرة على وجوههم وهم يعبرون قربي. وأفكر: حسناً، تباً لكم. أنا أفعل شيئاً تفعلونه، أنا أحتسي الشراب، أنا بالغة. خذوني على محمل الجد، تباً لكم.

18 [المرأة المدجنة] كتاب بقلم جيرمين غرير.

عندما ذهبت إلى مدرسة داخلية في السادسة عشرة اعتدت تناول الكثير من الشراب. كانت المدرسة التي ارتدتها آخر المدارس الداخلية الإنكليزية التي تملك حانة في حرم بناء الثانوية. وكنظام متبع، كان مئات المراهقين بين السادسة عشرة والثامنة عشرة ينزلون أيام الخميس والسبت إلى قبو صغير، مدعومين بزجاجتين من الجعة ويحتكون ببعضهم بعضاً على حلبة الرقص المظلمة التي تفوح منها رائحة العرق على أنغام بيني مان وفرقة Dancehall Legends. لحسن الحظ، كان سكني مقابل الحانة تماماً ما سمح لي بالعودة السريعة إلى البيت عندما تحل الحادية عشرة، حين تكون مراقبتنا العامة قد رتبت صناديق البيتزا لنلتهمها معاً ونحن سكارى. هذا يعني أيضاً أن حديقة مسكننا كانت تستخدم مكاناً للمتعة، وملعباً بعد ساعات الدوام. وحين تنقضي نصف ساعة من منع التجول، كانت مشرفة سكننا ترتدي خوذتها وتمضي بين الأدغال باحثة عن الطلاب الخارجين عن السيطرة وهم شبه عراة. وبعد إرسال أي فتاة تجدها في الحديقة إلى السرير دون بيتزا والفتى إلى سكن الفتيان، كان هناك دوماً لحظة رائعة عندما نسمع حديثها مع مشرف سكن الفتيان عبر الهاتف من مكتبها.

"وجدت فتاك جيمس خلف شجيرات الورد في حديقتي مع فتاتي إيميلي وقد أنزل سرواله"، كانت تقول بلهجتها اليوركشايرية العريضة، "لقد أرسلته وهو في طريقه. يجب أن يصل خلال عشر دقائق".

عرف المدرسون كلهم أننا كنا نحتسي الشراب قبل أن نصل الحانة. كنا نملأ علب الشامبو الفارغة، بعد غسلها، بالفودكا ونهربها معنا. كان لدينا مؤونة لا تنتهي أبداً من سجائر Marlboro Light تحت أسرّتنا. ونخفي رائحة أنفاسنا بمعطر رخيص وعلكة المنثول. حين كنت أدخن سيجارة تحتوي حشيشاً وتتورّم عيناي، كنت أبلل شعري كأنني خرجت للتو من الحمّام وألقي اللوم على الشامبو. القاعدة العامة غير المحكية كانت: نثق بأنكم تعرفون حدودكم، ولذا لا تكونوا حمقى في هذا

الخصوص. اشربوا ودخنوا، لكن لا تسيئوا التصرف ولا تجعلوا ذلك واضحاً. عموماً كان هذا النظام فعالاً. كان هناك دوماً الطفل الشاذ الذي يذهب في الأمر بعيداً ويحطم كرسياً أو يحاول معانقة مدرسة الرياضيات الشابة وهي تؤدي واجبها، لكن البقية قرروا الحفاظ على النظام. كان المدرسون عموماً محترمين جداً مع الطلاب وعاملونا كشباب بالغين بدلاً من معاملتنا كأطفال. المدة الوحيدة التي استمتعت فيها خلال مراهقتي كانت السنتين الأخيرتين اللتين قضيتهما في المدرسة الداخلية.

لن تكون الجامعة أبداً مكاناً مثالياً لشخص لديه علاقة غير سليمة مع الخمر، لكن، يا إلهي، اخترت أسوأ ما يمكن تخيله في اليوم الذي قدّمت فيه طلباً عبر تطبيق UCAS[19] إلى جامعة إكسيتر الواقعة في التلال الخضراء المحيطة بديفون، فالجامعة عُرفت طويلاً كجامعة للمتأنقين شبه الأميين البطيئي البديهة. إذا التقيت يوماً رجلاً في منتصف العمر ما زال يلعب اللاكروس، ويعرف قواعد ألعاب الشراب كلها ويغني باللاتينية أفضل من الإنكليزية عندما يكون ثملاً، الاحتمال الأكبر أنه درس في إكسيتر، أو جامعة الجزمة الخضراء كما كانت تعرف في الثمانينيات. ذهبت إليها لأن فارلي تسجّلت فيها فقط. اختارتها فارلي لأنها كانت جيدة في الكلاسيكيات فقط، ولأنها أحبت شاطئ البحر. أمّا أنا، فلأنني لم أتقدّم إلى الخيار الأول الذي أردته فعلاً في بريستول، ووالداي أخبراني أنه عليّ الذهاب إلى الجامعة.

19 منظمة بريطانية دورها الأساسي تشغيل تطبيق لخدمات الجامعات البريطانية.

إلى اليوم أنا مقتنعة أن تلك السنوات الثلاث التي قضيتها في إكسيتر تركتني أكثر غباءً مما كنت عليه عندما وصلت إليها. عملتُ قليلاً جداً، أو حتى لم أفعل شيئاً. تحولت من كوني دودة كتب شرهة إلى شخص لا يقرأ حتى صفحة واحدة من كتاب ما لم يكن النص جنسياً (لا أظن أنني أنهيت واحداً حتى من هذه). من سبتمبر 2006 إلى يوليو 2009، كان كل ما فعلته هو تناول الشراب والمضاجعة. كل ما فعله الجميع كان تناول الشراب والمضاجعة. كنا نتوقف قليلاً لنتناول الكباب أو لمشاهدة حلقة من Eggheads [20] أو للتسوق وشراء زي تنكري للخروج من أجل تناول النبيذ في حانات عدة خلال ليلة واحدة. بعيداً عن محور التفكير الحقيقي والنشاط العاطفي الذي تمنيته، كان ذلك أكثر الأمكنة التي كنت فيها غير مبالية بالسياسة؛ طوال الوقت الذي قضيته هناك حضرت احتجاجين فقط: الأول وقوف الجسم الطلابي ضد إزالة Curly Fries [21] من قائمة الطعام في مطعم اتحاد الطلبة، والثاني عريضة لشابة واحدة تطالب ببناء مسار لركوب الخيل في حرم الجامعة كي تستطيع أن تذهب وتعود من محاضراتها على ظهر فرس.

20 برنامج تلفزيوني بريطاني على شبكة BBC.

21 طبق المقالي المجعدة.

كنت مستاءة جداً من سنوات حياتي التي ضاعت في إكسيتر لولا سبب واحد جعل التجربة المؤسفة بكاملها مهمة: النساء اللواتي التقيتهن هناك. خلال الأسبوع الأول، وجدنا، أنا وفارلي، مجموعة من الفتيات اللواتي أصبحن صديقاتنا المقربات: لاسي طالبة المسرح الرائعة والكثيرة الكلام وذات الشعر الذهبي، وآج السمراء المشرقة القادمة من مدرسة صارمة للفتيات فقط وكانت عندما تثمل تغني التراتيل، وصابرينا الشقراء الفاتنة والمفعمة بالحيوية وذات العيون الواسعة المليئة بالحماسة، وأيضاً فتاة لندن الجنوبية صوفي، ذات الشعر الأحمر، المسلية والصبيانية، التي كانت تحضر دوماً لتصلح الأشياء في شققنا. ثم هايكس.

هايكس كانت زعيمة مجموعتنا. ولدت في سوفولك، وهي فتاة برية كالأطفال في *Stig in Dump* [22] مع شعر قصير مصبوغ بالأشقر يعلو رقبتها، وعيون برية محاطة بظل فيروزي لامع. طويلة، لعوب، لديها سيقان وأثداء مراهقة، أستطيع تمييزها لو وُضعت في صف طويل، لأنها كثيراً ما كانت تتركهم ظاهرين. لم ألتقِ في حياتي أي شخص مثلها؛ كانت جريئة وخطيرة، سريعة البديهة وجسورة. لا شيء يبدو ذا نتيجة عندما تكون مع هايكس. كانت تتصرف كإمبراطورة في مملكتها الخاصة مع قوانينها الخاصة: ينتهي الليل في الحادية ظهراً، والليل الثاني يبدأ بعد الظهيرة التالية حين يمكن لرجل عجوز تلتقيه في الحانة أن ينتهي به الأمر نزيلاً مؤقتاً في بيتك. كانت حاضرة بالكامل، بالمجمل، بالتمام، فاتنة جداً، شبقة على نحو تحسد عليه. تهورها وشهيتها اللامحدودة للأوقات الجيدة هي ما ضبطت إيقاع السنوات الثلاث التالية.

22 رواية للأطفال بقلم كليف كينغ، نشرت أول مرة عام 1963.

كان مناخ إكسيتر ذكورياً مشاكساً بطريقة كبيرة. غالباً ما أتساءل هل هذا يعد تفسيراً لتلك الطريقة التي كنا نتصرف بها عندما كنّا طالبات، وهل مجموعتي الأنثوية بالكامل من الصديقات تحاول ربط سلوكنا بتلك الطاقة. كان ذلك تخليداً لثقافة أخوية الفتيان الأميركية الموجودة في الأفلام التي كبرنا على مشاهدتها، متداخلة مع النظام الهرمي الفظ للمدارس العمومية. استمتعنا بالتبول الجماعي خلف مجمعات النفايات (أُمسك بنا، أنا وفارلي، ذات مرة وتلقينا التوبيخ لفعل ذلك على أطراف مقبرة، حيث كانت مؤخراتنا العارية معروضة للسيارات العابرة، ولسوء الحظ، تصادف أن واحدة منها كانت سيارة شرطة). سرقنا مخاريط المرور التحذيرية المطليّة بلونٍ فوسفوريّ، التي تكوّمت في غرفة معيشتنا. اصطحبنا بعضنا بعضاً وانكببنا على حلبات الرقص في النوادي. تحدثنا عن الجنس كأننا فريق رياضي. كنا مفعمين بالتبجح والتفاخر وعملنا معاً بصراحة لا ترحم ومن دون منافسة.

غالباً كنا نملّ المحاضرات الطويلة التي لا معنى لها والتي كنا نلقيها على أنفسنا حول كم هي رائعة صداقتنا.

في المنزل الآيل للسقوط ذي الباب الأحمر الذي عشت فيه مع آج وفارلي ولاسي، كانت لدينا حجوزات زائرين لـ"ضيوف الليل" ليتابعوا طريقهم في الصباح التالي. كان هناك تلفاز متوفٍ منذ الثمانينيات في الحديقة الخلفية حيث مكث سواء أكان الطقس مشمساً أم ماطراً. كنت أنقذ البزاقات التي غطت رواقنا واحدةً واحدة، بعد ليلة أقضيها خارجاً، بنقلها إلى الخارج ووضعها في زاوية خاصة من العشب (اعترفت لي لاسي لاحقاً أنهن كن يقتلهن لكنهن لم يخبرنني أبداً بذلك). كان وقتاً من الفجور الغريب المتزايد. عالم تبقى فيه اثنتان من صديقاتي ترقصان طوال الليل قبل التوجه إلى كاتدرائية إكسيتر من أجل قدّاس الأحد وأداء التراتيل الدينية وهما ترتديان الليكرا الذهبية. عالم استيقظت فيه فارلي ذات مرة من أجل محاضرة في التاسعة صباحاً لتجدني وهايكس لا نزال في الأسفل نتناول Baileys[23] مع سائق أجرة في منتصف العمر كنا قد دعوناه في الليلة السابقة. كنا أسوأ نوعٍ من الطلاب يمكن تخيله. كنا متهورين وأنانيين وطفوليين ومرتاحي البال جداً. كنا Broken Britain[24] في الحقيقة. اعتدنا أن نصرخ بذلك ونحن نسير إلى الحانات. الآن، أنا أعبر الطرقات وأنزل من القطار في محطة سابقة لمحطتي لتجنّب التماس المباشر مع النوع نفسه من الإزعاج والسخافة والرضا عن النفس الذي يظهره المتباهون الذين كنا منهم.

23 أحد منتجات آيرش كريم، وهو مشروب كحولي أساسه الويسكي وقشدة الحليب.

24 تعبير استخدمته صحيفة *The Sun* والحزب المحافظ البريطاني لوصف حالة واسعة الانتشار من الانحطاط الاجتماعي في المملكة المتحدة.

إذا أردت قياس مدى ثقافة الإسراف في الشراب بين مجموعة صديقاتي في جامعتي، عليّ فقط أن أرى ذلك في عيون الأشخاص الذين زاروني. فأخي الصغير، بن، الذي أتى ليبقى عندنا يومين حين كان في السابعة عشرة أصيب بالهلع من الأشخاص نصف العراة الذين لم يكادوا واعين، والذين التقاهم في النوادي التي أخذته إليها. استاء تحديداً من الحانة المعروفة باسم Legend’s Corner لأن أعضاء فريق الركبي كان يسمح لهم بالجلوس هناك فقط. وقد أخبر والداي بعد أن زيارته إلى إكسيتر، التي استمرت ثلاثة أيام، كانت واحدة من الأسباب الرئيسية التي دفعته ليرفض دخول الجامعة واختار بدلاً من ذلك أن يذهب إلى مدرسة المسرح.

ذهبت لورين لدراسة الإنكليزية في جامعة أكسفورد وأقمنا في بعض المرات نوعاً من برنامج التبادل بين الجامعات. كانت تستقل megabus نزولاً إلى إكسيتر وترمي بعض خلايا دماغها

خارج رأسها بضعة أيام وهي بصحبتي. كنت أعود إلى أكسفورد معها وأتجول حول حديقة الغزلان، وأتخيل الحياة البديلة التي يمكن أن أعيشها حيث أقرأ الكتب وأكتب مقالات نصف أسبوعية وأعيش في سكن جامعي برجي بقمة مستدقة وليس فيه أجهزة تلفاز.

في زيارة لورين الأولى، كنت كأنّما أعلمها كيف تكون طالبة. في ليلة قضيناها خارجاً، طلبتُ زجاجة نبيذ أحمر بخمسة جنيهات من الحانة.

"حسناً"، قالت. "هل هذه لكلينا؟"

"لا، هذه لي فقط". أجبت ولورين تجول بنظرها على صديقاتي الأخريات تحمل كل منهن زجاجة نبيذ وكأساً بلاستيكياً من الحانة. "لدينا زجاجة لكل واحدة". في اليوم التالي، بينما كنا نستلقي على الأريكة ونأكل البيتزا الطرية اللذيذة الباهظة، شاهدت حلقتها الأولى من American's Next Top Model. بعد ظهر ذلك اليوم التقت لاعب اللاكروس في حرم الجامعة الذي بدأ على نحو معلن كتابة أطروحته، عن الجغرافيا البشرية، في الحانة عند الثانية بعد الظهر في اليوم الذي كان يستوجب تقديمها فيه. قالت لورين إنها كانت دوماً تعود إلى أكسفورد وهي تشعر بالاسترخاء والانتعاش بعد مدة انقطاع تحتاجها كثيراً بعيداً عن تجربتها الجامعية المرهقة مع الادعاء الفكري. بعد أيام عدة في أكسفورد، كنت دوماً أعود إلى إكسيتر وأنا أشعر بالإحباط قليلاً وبالاستعداد للمغادرة.

عند تفسير فقاعة السلوك السيئ التي لا جواب لها، والتي كانت تمرّ دون عقاب وتمثل تجربتي في الجامعة، غالباً ما أعود إلى حادثة محددة تخص صوفي – باتت اليوم صحافية محترمة وناجحة تكتب في قضايا المرأة والمثلية الجنسية – لأتذكر كم غدونا مختلفات. في إحدى الليالي، بعد أن غادرتْ حفل اكتمال القمر التايلاندي في نادٍ على رصيف الميناء – وهي ترتدي ثياب صياد تايلندي – تمدّدتْ قرب الماء جوار صديق سكران وهي تفكر أنها على وشك تقيؤ دلو فودكا Shark الذي اشترته واستهلكته عن آخره للتو. كانت إلى جانبها صديقة نصف سكرانة وهي صديقة لأخرى تتمدد على ظهرها مثل نجم البحر. حاولت صوفي إصابة عصفورين بحجر واحد: توصل الفتاة إلى منزلها، وربّما تحظى بفرصة مبيت الليلة عندها. لكن حال وصولها إلى سكن الطالبات اتضح أنّ لا اسم للفتاة على البطاقات، فاضطرت إلى العودة إلى النادي بسيارة أجرة. هناك التقت فتىً قال إنه متوجّه إلى مطعم هندي شعبي يبقى مفتوحاً حتى ساعة متأخرة ليأخذ وجبة جاهزة. ذهبت صوفي معه. هتفت: "بسنده، بسنده[25]" وهي تضرب على القاطع في المتجر. أخذا طعامهما وتوجّها إلى

منزله. أكلا الطعام الهندي. تقيأت صوفي في وعاء بلاستيكي في غرفة نوم الفتى وتركته جانباً. أغمي عليها في سريره واستيقظت في الصباح التالي ببدلة الصياد التي ترتديها. نظرت إلى إناء القيء لكنها لم تفعل شيئاً حياله، ثم أخذت دراجة الفتى الصغيرة وقادتها ببهجة على طول الطريق إلى المنزل. ''كنا نحاول فقط أن نجمع قصصاً لبعضنا بعضاً''، تقول لي الآن كلما سألتها كيف استطعنا أن نمتلك تلك الشهية الطفولية للتهور، والقليل من الوعي الذاتي، ''كان ذلك الثمن الذي كنا ندفعه. لم يكن تباهياً أمام الآخرين وإنما أمام بعضنا بعضاً فقط''.

25 طبق هندي من شرائح اللحم المطبوخة في صلصة الطماطم واللبن والتوابل.

كان واضحاً أنه بينما أحبّ الجميع تناول الشراب، كنتُ أحبّه بصورة حقيقية. كنت أغرق في السكر بسرعة خطيرة. الأمر ببساطة أنني أحببت مذاق الخمر وإحساسه، شربت وأنا طالبة في الجامعة للسبب نفسه الذي شربت من أجله حين كنت في الرابعة عشرة. كان سكب الكحول في دماغي يشبه سكب الماء في نبات القرع. كل شيء مخفف وطري. الفتاة التي كانت رصينةً كان يملؤها القلق، متيقنة أن كل شخص أحبته سيموت، قلقة بشأن نظرة الآخرين إليها. الفتاة التي كانت ثملة دخنت سيجارة باستخدام أصابع قدمها ''من أجل الضحك'' وقفزت ودارت على حلبات الرقص.

تخرجت في إكسيتر قبل أن أكمل الحادية والعشرين بشهر. عندما حلّ سبتمبر كنت طالبة في لندن أدرس لنيل شهادة الماجستير في الصحافة. كانت هذه السنة، صدقوا أو لا، السنة التي بلغت متعتي فيها الذروة. تم هجري بطريقة غير رسمية وبمنتهى القسوة ورميت نفسي في خسارة الوزن لأشغلها عن الحزن، وشربت ودخنت لأصرف انتباهي عنه.

لم أفقد طعم ذاك العام حتى الآن. كان الأمر مثيراً في الحادية والعشرين تماماً مثلما كان في حفل ''بات ميتسفا'' لناتاشا برات قبل أحد عشر عاماً. أذكر الجلوس في نفق القطار في واحدة من ليالي السبت الكثيرة في ذاك العام، أنظر خارجاً إلى المدينة المتلألئة بينما أسافر من الضواحي إلى وسط لندن بواسطة المترو. كان ذلك أشبه بامتطاء حصان يخبّ على السكك. كل لندن لي، فكرت، أي شيء ممكن.

أتت متعتي هذا العام أساساً من طريقة مميزة محددة: رحلة طويلة بسيارة أجرة. في دفاعي عن الأمر، أقول إن هايكس هي من بدأته. اشتهرت بين الطلاب في عامنا الثالث في الجامعة، حين غادرت ذات ليلة سهرة في حانة في High street، واستقلت سيارة أجرة وطلبت من سائقها أن يأخذها إلى برايتون. أنفقت كل بنس معها للوصول إلى هناك ونامت على الأرض في جناح في فندق

مع صديقيها المتزوجين اللذين كانا هناك في حالة هرب رومانسي. وعادت إلى إكسيتر في الأسبوع التالي لتحكي القصة.

بدأت الليلة عندما وصلنا، أنا وصديقتي الجديدة الذكية ذات الشعر الأجعد، هيلين، التي كانت زميلتي في دراسة ماجستير الصحافة، إلى منزل صديقتنا مويا لتناول كأس من النبيذ والاستعداد لامتحان كبير سنتقدم إليه قريباً. بدأنا، أنا وهيلين، تناول النبيذ زجاجة وراء الأخرى قبل أن تغيب الشمس، حتى ثملنا. غادرنا منزل مويا في منتصف الليل.

قررت أن الليلة لم تنتهِ وأردت الاحتفال، ولذا ركبنا الحافلة من ويست هامبستيد إلى مركز مدينة أكسفورد. لكنني فجأة، في اللحظة التي بدأت فيها رحلة الحافلة، وقد استغرقت وقتاً طويلاً على نحو غير معقول بسبب حادث في الطريق، أصبحت أكثر ثمالة، وفي وقت ما أثناء الرحلة أقنعت نفسي أننا لم نكن على متن حافلة متجهة إلى أكسفورد سيركس، وأننا كنا نتجه إلى مركز المدينة. هيلين، التي كانت ثملة مثلي، سايرت نظريتي المقنعة. كانت لورين قد تخرجت في أكسفورد في هذا الوقت، ولذا لم أتصل بها. بدلاً من ذلك أرسلت رسائل نصية إلى عدد من أصدقائها الذين التقيتهم في زياراتي إلى هناك والذين عرفت أنهم كانوا في السنة الأخيرة. لم تكد الرسائل مفهومة، لكنها تماشت مع فكرة: أنا وصديقتي هيلين وجدنا أنفسنا مصادفة على حافلة متجهة إلى أكسفورد. وصلنا تقريباً: أين يوجد مكان جيد لقضاء سهرة وهل تريد أن تنضم إلينا؟

نزلنا قرب متجر Topshop الرئيسي، الذي لاحظت أنه كان أكبر مما أذكره آخر مرة زرت فيها أكسفورد. وقفنا خارج المتجر بينما أواصل محاولة الاتصال بأي شخص التقيته مرة من جامعة أكسفورد ولم يعلم بعد أنني كنت في لندن؛ لكن لا فائدة. اتفقنا، أنا وهيلين، أن قضاء الليلة خارجاً كان قضية خاسرة، لكن الوقت كان متأخراً جداً بالنسبة إليّ لأستقل مترو الأنفاق الأخير عائدة إلى منزل والديّ في الضواحي. لذا ركبنا حافلة أخرى عائدتين إلى الشقة التي كانت هيلين تتشاركها مع حبيبها قرب متنزه فنسبري إذ قالت إنني أستطيع النوم على أريكتهم.

رافضة التخلي عن هلوسة السكر، عندما خطوت داخل الشقة، استنتجت أننا كنا في سكن جامعة أكسفورد، حيث صديق هيلين ربما لا يزال طالباً هنا. ذهبت هيلين إلى السرير، وتفحصت دليل هاتفي لأرى هل ثمّة أحد ممن أعرفهم يريد أن يخرج لحضور حفلة. اتصلت بصديقي ويل الذي كان طويلاً وطائشاً وكندياً نحيلاً مع شعر أجعد طويل وعيون شاحبة كحجر العقيق. كنت على الدوام معجبة به.

"مرحباً، عزيزتي"، غمغم بصوته الغارق في الفودكا.

''أريد حفلة''، قلت.

''إذاً، تعالي إلى هنا''.

''أين أنت؟'' سألت، ''ألا تزال في جامعة في برمنغهام؟''

''في واروِيك. أعيش في ليمنغتون سبا''، قال، ''سأرسل إليك العنوان في رسالة نصية''.

تجولت خارج شقة هيلين بحثاً عن شركة سيارات أجرة، وبعد عشر دقائق من التجوال في الشوارع – بدأت الكحول مغادرة جسمي ببطء – وبينما كنت أخيراً أوشك أن أدرك أنني كنت في لندن ولست في أكسفورد، وجدت شركة سيارات أجرة صغيرة بواجهة خشبية. أخبرتهم أنني أريد سيارة تأخذني إلى ليمنغتون سبا، والمال ليس مشكلة على ألّا يتجاوز 100 جنيه، بما أن هذا كان كل رصيدي، وكنت أوشك على السحب دون رصيد. ذهب واحد من الرجال الثلاثة المربكين خلف الفاصل الزجاجي وتناول من جاروره خريطة لإنكلترا مليئة بالغبار. فتح الخريطة ونشرها بطريقة مسرحية فوق طاولتين ألصقهما معاً، لتسلية زميليه أكثر. اجتمعوا كلهم حولها كأن أحدهم خطط لرحلة مع علامات منقطة بقلم أحمر، أو كما لو كان كابتن سفينة يخطط لهجوم على القراصنة. حتى في حالة الثمالة التي كنت فيها، ظننت ذلك لمسة مبالغة.

''250 جنيهاً''، قال أخيراً.

''هذا سخف''، قلت مع موجة غضب كمن يدافع عن حقوق الطبقة المتوسطة، وكأنه هو الشخص الذي يقوم بالفعل الأسخف بيننا.

''سيدتي، تريدين الذهاب إلى مكان يبعد ثلاث مقاطعات في الثالثة صباحاً. 250 جنيهاً سعر منطقي جداً''.

جعلته يخفض المبلغ إلى 200. وقال ويل إنه سيدفع المئة الأخرى.

بدأت أصحو على نفسي في الطريق M1 نحو الرابعة فجراً (هناك جملة أتمنى ألا يكون على أحد منكم قولها أو كتابتها طوال ما بقي من عمركم) لكن الوقت كان متأخراً جداً للعودة؛ كنت أشعر غالباً بذلك وسط هذه المغامرات مقنعة نفسي أنني كنت أنفق المال على شبابي فقط. خيّم اقتباس من مارغريت أتوود على هذه المرحلة من حياتي مثل مصباح بمظلة متدلٍّ من السقف:

> عندما تكون وسط قصة هي ليست قصة على الإطلاق، وإنما مجرد التباس، هدير مظلم، عمى، حطام زجاج مكسور، خشب متشقق، مثل منزل في زوبعة، أو حتى زورق تحطم بفعل جبل جليدي أو انزلق على منحدر نهري، وكل من في الخارج أضعف من أن يوقفوه، بعد ذلك فقط، تصبح شيئاً مثل قصة على أي حال، عندما ترويها لنفسك أو لأحد آخر.

''سيُدفع الثمن في النهاية''، فكرت ورأسي ممدود خارج النافذة على الطريق السريع، ولون السماء يتحول إلى ألوان الفجر. لن تنضب الأميال القصصية في هذه الحكاية.

وصلت في الخامسة والنصف صباحاً. حيّاني ويل عند الباب مع خمس قطع من فئة عشرين جنيه. شعرت بالانتصار أنني خططت للوصول إلى هناك. الرحلة والوجهة كانتا القصة. ما لم يحكى كان تقريباً خارج الموضوع. استمررنا في تناول الشراب والتحدث، واستلقينا في السرير شبه عاريين ندخن الحشيش ونصغي إلى مجموعات Smiths، ونتوقف قليلاً لتبادل بعض القبلات اللامبالية. غرقنا في النوم في الحادية عشرة صباحاً.

استيقظت عند الثالثة ظهراً، مع صداع سيئ وإحساس سيئ بأن مزاج المرح لم يكن مسليّاً كما ظننته في الليلة السابقة. تفحصت حسابي في البنك: صفر. تفحصت هاتفي: عشرات الرسائل القلقة من الصديقات. نسيت أنني أرسلت إلى فارلي صورة وأنا أبتسم ببهجة في المقعد الخلفي لسيارة الأجرة عند الرابعة صباحاً بينما أندفع على الطريق السريع مرفقة برسالة: ''رحلة سريعة إلى ميدلاندز الغربية!''.

وضعت خطة. حبيبي المراهق الذي احتفظت بصداقة مبهمة معه كان يتدرب ليصبح طبيباً في جامعة وارويك. أستطيع البقاء معه بضعة أيام حتى يصلني بعض المال المستحق الدفع من عملي فتاة إعلانات في عطلة نهاية الأسبوع، وعندئذ أستقل القطار عائدة إلى المنزل في موعد امتحان الماجستير في الصحافة يوم الثلاثاء. لكن عندما أرسلت إليه رسالة نصية، أخبرني أنه كان في عطلة بعيداً.

رنّ هاتفي، كانت صوفي.

''هل صحيح أنك في ليمنغتون سبا؟'' سألتني عندما أجبت.

''نعم''.

''لماذا؟''

''لأنني رغبت في صحبة بعد حفلة وصديقي ويل كان مستعداً لذلك وهو يعيش في ليمنغتون سبا''.

كان ويل لا يزال نصف نائم. ابتسم بعيون مغمضة ورفع إبهامه في حركة مؤيدة مع إحساس بالذنب.

''حسناً، هذا ليس له معنى''، قالت، ''كيف ستعودين إلى المنزل؟''

''لا أعرف. كنت ذاهبة للبقاء مع صديق قديم لكنه ليس هنا وليس لدي مال لأعود بالقطار''.

لحظة صمت طويلة استطعت خلالها سماع قلق صوفي عليّ يتحول إلى غضب.

"حسناً، سأحجز لك مقعداً في حافلة العودة"، قالت، "هل هاتفك مشحون؟"

"نعم".

"سأرسل إليك التفاصيل حالما يتم الأمر".

"شكراً لك، شكراً لك، شكراً لك"، قلت، "سأردهم إليك".

حجزت لي صوفي مقعداً على أطول رحلة استطاعت أن تجدها؛ كانت خطتها أن أحظى ببعض الوقت الذي أحتاجه لمراجعة أفكاري وتأمل نتائج أفعالي. لكن، لزيادة إزعاجها، انتهى الأمر بي على متن حافلة تقلّ مجموعة من الأشخاص متجهين إلى لندن لحضور حفل وداع عروس. شربنا التيكيلا وألبسوني قبعة مكسيكية عريضة. في اليوم التالي، عندما اتصلت لأشكر صوفي لإنقاذها لي، سألتها هل هي غاضبة مني.

"دولّي"، قالت، "لست غاضبة منك، أنا قلقة عليك".

"لماذا؟" سألت.

"لأنك كنت ثملة جداً. ظننتِ أنك في مركز مدينة أكسفورد عندما كنت أمام متجر Topshop في أكسفورد سيركس. هل تعرفين إلى أي مدى يجعل ذلك الشخص ضعيفاً؟ التجول في أنحاء لندن بتلك الحالة من الثمالة؟"

"أنا آسفة"، قلت بعصبية، "كنت أستمتع فقط".

"كم عدد صديقاتنا اللواتي يجب أن يفلسن وهن يذهبن في سيارات أجرة عبر بريطانيا قبل أن يتوقف هذا الجنون؟"

(احتاج الأمر واحدة أخرى فقط، فارلي، بعد بضعة شهور، اتجهت من جنوب غرب لندن إلى إكسيتر، إذ كانت في سيارة أجرة عائدة إلى المنزل من النادي عندما تلقت رسالة نصية من فتى كانت معجبة به وكان لا يزال في الجامعة، فطلبت من السائق أن يستدير ويأخذها إلى ديفون بدلاً من وجهتها الأولى. وهي حتى اليوم ما زالت تتجاهل اتهامها بالتبذير وتقول إن الرحلة بكاملها كلفت 90 جنيهاً وعلبة سجائر. كانت قيمة الرقم تزداد كلما سألناها عنه أكثر).

لكنها كانت قصصاً جيدة، وذلك هو المهم. كانت رمز وجودي في بداية العشرينات. كنت كاشفاً معدنياً إنسانياً بطول ستة أقدام يبحث عن قصص محتملة. أزحف على طول الأرض بحثاً عنها، وأنفي مضغوط على العشب على أمل إيجاد شيء ما أحفره.

كان هناك ليلة أخرى كلفتنا 20 جنيهاً تقاسمناها بيننا، عندما ذهبنا، أنا وهايكس، إلى فندق فخم في لندن حيث وُعدنا بوجود ''رجلين من أصحاب الملايين مع زجاجات خمر ضجرين ويريدان رفقة مسلية من الشابات''. كان هذا كافياً بالتأكيد. وجدنا رجلين في منتصف العمر من دبي يملكان على الترتيب مطعماً هندياً على شارع إدجوار وواحدة من جامعات اللغة الإنكليزية فوق متجر بيع الهواتف المحمولة في جادة توتنهام كورت. مارسنا، أنا وهايكس، عادتنا القديمة برواية قصتنا المصطنعة بتكلف، عن لقائنا على متن رحلة بحرية، وقد تدربنا عليها جيداً: ''كنتُ أغني مع فرقة. زوجها رمى نفسه من السفينة. تعارفنا في أحد الأيام بينما كنا نجلس وحيدتين على سطح السفينة ندخن ونتطلع إلى البحر''.

سألانا هل نرغب في الذهاب إلى منزل صديقهما رودني الذي أكدا لنا أنه كان ''محباً للحفلات''، وهي كناية لطيفة عموماً عن ''الكرم بالكحول والمخدرات''. صعدنا جميعاً في سيارتهما التي كانت تنتظر خارجاً، وأخذنا سائقهما إلى بناء برجي في شارع إدجوار، بعيداً عن الاستوديو 54 زيادةً في المرح الذي وعدنا به. أنا وهايكس أمسكت واحدتنا بيد الأخرى أثناء عبورنا المدخل، وفي المصعد، أرسلتُ رسالة نصية إلى فارلي بالعنوان الذي كنا فيه تحسباً لحدوث أي شيء لي في تلك الليلة. هي تقاليد مريبة نوعاً ما. كانت قد اعتادتها.

فتح الباب لنا رجل قبرصي في منتصف السبعينات يرتدي سترة نوم مخططة.

''يا إلهي!''، صاح وهو ينظر إلينا جميعاً، ''أليس هذا متأخراً جداً!''، رمى يديه في الهواء بيأس، ''أنا هرِمٌ جداً على هذا!''.

وعده صديقانا الجديدان أنها لن تكون حفلة طويلة جداً وأننا نرغب في بضعة كؤوس من الشراب فقط. دعانا رودني للدخول بلطف وسأل هل نريد الشراب. قال إن الكوكتيلات هي تخصصه وهو يشير إلى خزانة المشروبات التي جمعها بعناية منذ سبعينيات القرن الماضي. طلبت مارتيني جافاً.

كنت مسحورة تماماً برودني خاصة بعشرات الصور المؤطرة لأحفاده والموزّعة في كل مكان. تجولنا ونحن نحمل كؤوس المارتيني وهو لا يزال في ثياب النوم يخبرني بأسماء وأعمار وأوصاف كل شخصية من أصحاب الصور. في تلك الأثناء، كانت هايكس تفعل ما تفعله عادة في ليالٍ كهذه: كانت تتحدث عن الفلسفة بحماسة مع أحد الرجلين، مليونيري دبي، وتحرك يديها جدياً خلال مونولوجها عن الوجوديين الفرنسيين، وعيناها تبرزان خارج وجهها مثل نبات أذن الفأر الذي يبرز من شقوق الرصيف.

جلسنا، أنا ورودني، على أريكته، وروى لي أسطورة ماضيه: مغامرات الأعمال الفاشلة، والحانة التي امتلكها وأصبحت الآن Waitrose، والعارضات اللاتي كسرن قلبه. توقف عن روايته قليلاً، ولف ورقة من فئة خمسة جنيهات من أجل الكوكائين الموجود على طاولة القهوة خاصته، ثم عاد ليجلس وينظر إليّ.

"تعرفين، هذا مسلٍّ، أنت تذكرينني كثيراً بامرأة قابلتها مرات عدة في السبعينيات. كان شعرها طويلاً وأشقر. كانت تملك عينين كعينيكِ تماماً. واعدتُ صديقاً لي لمدة".

"أوه، نعم"، سألت وأنا أشعل سيجارة، "من كانت؟"

"باربي، أظن أن اسمها كان باربي".

ابتلعت ريقي وأنا أذكر قصة أخبرتني إياها أمي ذات مرة عن لقبٍ مسلٍّ لكنه كريه كانوا يطلقونه عليها في بداية العشرينات من عمرها.

"باربرا"، أجبت، "باربرا ليفي".

"نعم!"، صاح، "تعرفين تلك المرأة؟"

"إنها أمي"، أجبت. فكرت فيها، في سرير في الضواحي، وتخيلت ماذا ستفعل بابنتها وهي تنتشي مع رجل قبرصي عجوز في الخامسة والسبعين كانت قد التقته هي في السبعينات. ذهبت إلى الغرفة الأخرى. قاطعت صالون هايكس الأدبي الذي تديره مع جمهور مفتون غير مبالٍ، وأخبرتها أنه علينا المغادرة فوراً. قالت إننا موعودتان بحفلة تالية رائعة في المطعم الهندي الذي يملكه أحد الرجلين في شارع إدجوار. أخبرتها أننا كنا فعلاً في الحفلة التالية. تساءلتُ هل سقطت عرضاً في المنطقة النائية المظلمة بعد الحفلة، والآن أنا عالقة هناك طوال الوقت؟ تساءلتُ هل أحتاج سلّماً لأخرج؟

لكن لا أستطيع القول إن كل شيء كان مأساوياً لأنه لم يكن كذلك. واصلنا، أنا وصديقاتي، الاعتقاد أننا كنا نفعل فعلاً عظيماً من تمكين النفس والتحرر. غالباً ما أخبرتني أمي أن هذا كان فعلاً مضلّلاً للأنوثة، إذ لم تكن محاكاة السلوك الأكثر وحشية للرجال علامة على المساواة (كانت ضارة جداً، هكذا علقت زوي بال ذات مرة). لكن ما زلت أعتقد أن الحفلات في تلك السنوات كانت شائعة، وكانت فعلاً جريئاً واحتفالياً وقوياً لرفض استخدام جسدي بالطريقة التي كانت متوقعة مني. الكثير منها كان وقتاً جيداً بفهومنا الخاص. عدد من الذكريات تدور حولي مع واحدة من الفتيات اللائي تركن وضعاً مضجراً لنا أو لا نحبه فقط لنمضي الوقت مع بعضنا بعضاً. كنت نهمةً للتجربة وراضيةً عن تلك الرغبة الشديدة برفقة المتسكعين المتماثلين بالتفكير. لقد تكوّنت ذهنية جماعية لم

يفلت منها أيّ منّا. بعض ذكرياتي ممتعة، وبعضها حزينة، ذلك كان الواقع. رقصت أحياناً مبتسمةً حتى الفجر في حلقة من أقرب صديقاتي، وأحياناً سقطت على أرض الشارع وأنا أركض لألحق حافلة المساء تحت المطر، وتمددت على الرصيف المبلل لمدة أطول بكثير مما كان علي. اصطدمت بعمود الكهرباء أثناء سيري وبقيت ذقني محمرّة لأيام نتيجة الضربة. لكنني أحياناً كنت أستيقظ وسط مجموعة محببة من الفتيات وليس لديّ شيء سوى الراحة والبهجة. بين حين وآخر، ألتقي الآن أشخاصاً غامضين نوعاً ما من ذلك الزمن يقولون إنهم أمضوا ليلة معي نتناول الشراب في ركن من حفل منزلي، فأمتلئ رعباً عندئذ لأنني لا أستطيع تذكر ذلك. قبل سنة أو نحوها ارتجفت حرجاً عندما سألني سائق سيارة أجرة سوداء هل اسمي "دوني" لأنه كان متأكداً تقريباً أنه أقلني وأنا "ثملة" وأسير في نهاية شارع لندن من دون حذاء عام 2009.

لكن الكثير من هذا كان مسلياً جداً وهانئاً. الكثير منه كان مغامرة، عبر المدن والمقاطعات، والقصص والأشخاص، مع مجموعة من المستكشفين، وأنا أرتدي جوارب لامعة وأضع الكثير من الكحل الأسود.

على الأقل، أظن أنني أثبت أخيراً للجميع أنني كنت أكبر. على الأقل، تمكنت في النهاية من أن أؤخذ على محمل الجد.

وصفة طعام: Mac and Cheese التقليدية
(تكفي لأربعة أشخاص)

من أجل تجربة تغمرك بالكامل، تناولي هذه الوجبة وأنت ترتدين ثياب النوم، وتتابعين فيلم Maid in Manhattan أو فيلماً وثائقياً عن قاتل متسلسل:

– 350 غ باستا
– 35 غ زبدة
– 35 غ دقيق أبيض
– 500 مل حليب كامل الدسم
– 200 غ جبن تشيدر مبروش
– 100 غ جبن ليستر الأحمر
– 100 غ جبن بارمزان مبروش
– ملعقة واحدة كبيرة خردل إنكليزي
– باقة من البصل الأخضر، مقطع
– رشة من صلصة ورشستر
– كرة صغيرة من جبن الموزاريلا، مقطعة قطعاً صغيرة
– ملح وفلفل أسود للنكهة
– زيت زيتون، للرش

اسلقي الباستا في وعاء كبير من الماء المغلي لثماني دقائق. يجب أن تكون غير مطبوخة تماماً؛ سوف تتابع استواءها عند الخبز. صفّيها وضعيها جانباً، ضعي عليها زيت الزيتون كي لا تلتصق ببعضها بعضاً.

في إناء كبير آخر، ذوّبي الزبدة. أضيفي الدقيق واستمري في الطهي لدقائق. حركي باستمرار حتى يحمر الدقيق. أضيفي الحليب شيئاً فشيئاً واطبخي على نار هادئة من عشر إلى خمس عشرة دقيقة. تابعي التحريك طوال الوقت واطبخي حتى تحصلي على صلصة ناعمة ولامعة تزداد كثافتها تدريجياً.

أطفئي النار، وأضيفي إلى الصلصة نحو ثلاثة أرباع جبن التشيدر، وجبن الليستر الأحمر، والبارمزان، إلى جانب الخردل، وبعض الملح والفلفل، والبصل المقطع، وكمية قليلة من صلصة ورشستر، واستمري في التحريك حتى تتجانس كلها.

سخني الشواية إلى أعلى درجة. اسكبي الباستا داخل الصلصة وضعيها معاً في صحن الخبز. أضيفي جبن الموزاريلا ثم ما بقي من جبن الشيدر والليستر الأحمر والبارمزان. اشوي المزيج (أو ضعيه في فرن ساخن على درجة 200 س لخمس عشرة دقيقة) حتى يصبح المزيج بلون ذهبي وعليه فقاعات مع سطح مقرمش.

وقائع موعد سيئ: فندق على الطريق الرئيسي في إيلنغ

إنه أول عيد ميلاد يمرّ بعد عودتي من الجامعة وأنا أعمل فتاة مبيعات في متجر Bennett .K .L في بوند ستريت بدوامٍ كامل. وضعت لي ديبي، وهي طالبة الأزياء الفاتنة التي تحقق دوماً أعلى عمولة، أحمر شفاه بلون أحمر شبيه بما تضعه لي فيفيان في غرفة تبديل الملابس استعداداً لموعد مهم.

الرجل يدعى غرايسن. التقيته قبل شهر في جامعة يورك عندما كنت أزور صديقة لي من أيام المدرسة. كنت أنتظر في حانة اتحاد الطلبة لأشتري زجاجتي فودكا وكولا بلا سكر عندما أمسك أحدهم يدي. كان هذا غرايسن – شابٌ نحيل، وشاحب، ومثير، وله عينا إلفيس بريسلي محاطتان بهالة من الكحل الأسود – أمسك يدي وأدار كفي إلى الأعلى.

''ثلاثة أطفال، ستموتين في التسعين''، نظر إليّ، ''كنت هنا قبل''، همس بطريقة مسرحية. كان أول شخص ألتقيه من سني، واختار ألا يكون موجوداً على ''فايسبوك''. أظنّه فيلسوفاً. التقينا تحت شجرة في كنيسة عملاقة وأخذني إلى حانة تقدم مارتيني لأنه يذكر قولي إنه مشروبي المفضل (عند هذه النقطة كنت لا أزال في مرحلة تدريب نفسي على حب المارتيني، ولذا خشيت أن يلحظ رعشة الرشفة الأولى، لكنني استطعت تمالك نفسي). انتقلنا بعدها إلى أقدم حانة في لندن حيث احتسيت الجعة بطعم الفراولة. أراني مجموعة من المفاتيح كانت لغرفة في فندق حجزها له مديره في العمل لليلة واحدة. لم يشرح أبداً السبب في ذلك.

نبدل ثلاث حافلات، وهو يشرح لي لماذا ''كانت لندن أكثر أبوية لي من والديّ''، قبل أن نصل إلى فندق حقير في منزل ريفي تم تحويله إلى فندق على الطريق الرئيسي في إيلنغ.

لا أريد النوم معه لأنني رغبت في أن أعرفه أكثر، ولذا نقضي الليل كله مستلقيين في السرير، نحدق إلى السقف ذي اللون الأبيض الناصع ونتحدث عن سنواتنا الثماني عشرة التي عشناها حتى الآن. كان ابناً لرجلٍ عجوزٍ جداً، وذكيٍّ جداً، وثريٍّ جداً. كان من ''آخر المستعمرين'' وقد اكتشف أثناء أسفاره نوعاً نادراً من السمك، فألّف كتاباً عنه، ومنذ ذلك الوقت كان يحصل على المال عبره. أندهش وأتلهف لسماع القصة. ننام عند الخامسة.

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، يكون على غرايسن الذهاب إلى العمل. يقبلني، ويقول لي وداعاً، ويترك لي فطيرة خوخ على الطاولة قرب السرير. كانت تلك آخرة مرة نرى فيها بعضنا

بعضاً.

سأقضي السنوات الخمس التالية وأنا أتساءل باستمرار هل غرايسن مجرد ممثل يبحث عن جمهور ساذجٍ وعن مهرب من نفسه لليلة، وهل كل ما حدث، من قراءة الكف، والفندق، والسمك، والكحل، مصطنعاً.

بعد سنوات كثيرة، سأتعرف إلى طالب دكتوراه في العلوم يصبح حب حياتي العظيم. وفي إحدى ليالي الأحد، سأكون مستلقية في سريره مرتديةً سترته، وسيخرج كتاباً ليقرأ قبل أن ننام، ويكون الكتاب عن رجل اكتشف نوعاً من السمك. سآخذ الكتاب منه وأنظر داخل الغلاف لأرى صورة رجل له وجه غرايسن نفسه ولقبه. سوف يسألني حبيبي لماذا أضحك. سأقول: ‘‘لأن كل ذلك كان حقيقة، وكان سخيفاً جداً‘‘.

وقائع الحفلة السيئة: كوبهام، عشية العام الجديد، 2007

''لا بد أن يحدث شيء ما''، أقول لفارلي ونحن نتابع الحلقة الثلاثين من مسلسل Friends ونسترخي على الأريكة في منزل أمي عند الخامسة مساءً، عشية العام الجديد. ''نحن في التاسعة عشرة، يجب أن نكون قادرين على إيجاد حفلة في مكانٍ ما''. أرسلت رسالة شخصية تقريباً إلى جميع من وجدت اسمهم في دليل هاتفي. يقترح صديقنا دان حفلاً في مستودع في حي هكني، لكن فارلي كانت تخشى الناس الذين يتعاطون المخدرات وهي لم تذهب قبل باتجاه الشرق أبعد من شارع ليفربول.

حالما نفقد الأمل، يغير أحدهم الأمر، كان هذا فليكس. صديق من المدرسة أصغر مني بعام، وكنت على الدوام أكن له مودة حقيقية. يتحدث عن ''حفل كبير'' في كوبهام، ويقول إنني لست من يريد أن يفوّت حفلاً كهذا. يطلب مني أن أُحضر معي صديقة. توافق فارلي على الذهاب بما أنه كان خيارنا الوحيد، ولأنها تعرف كم أنا معجبة بفليكس. تضحي بنفسها في سبيل الجماعة كونها داعمتي، فالذهاب إلى الحفل أكثر لمصلحة أعضائي الأنثوية، إنه نظام عادل وناجح لتبادل الأدوار كنا معتاداتٍ إياه دوماً، طالما نحن الاثنتين غير مرتبطتين، وكنا متعادلتين فيه: أنا أضحي بليلتي لأساعدها في إقامة علاقة، أفعل هذا الفعل بنية طيبة من أجلها، ويمكن أن أطلب منها في أي وقت أن تفعل الشيء نفسه من أجلي. إنها ديموقراطية المعاشرة. إنها تقلبات ودورات.

نصل إلى منزل مستقل كبير في سرّي، المكان الذي يصور فيه The footballers wives، لنجد أنه لم يكن حفلاً كبيراً وإنما نوع من حفل بيتزا كسول مؤلف من عشرة أزواج يحضنون بعضهم بعضاً وكتلة كبيرة لشاب يرتدي قميص لاعبي ركبي ويلعب مع كلب العائلة، من نوع لابرادور.

''مرحباً''، أبادر بالحديث، ''هل فليكس هنا؟''

''ذهب إلى المتجر ليشتري الفودكا''، يجيب لاعب الركبي الممل دون أن يرفع نظره عن الكلب.

''ألم تكوني في السنة التي سبقتنا في المدرسة؟'' تسألني فتاة لها وجه كالحصان وشعر أجعد.

''نعم''، أقول وأنا أتناول بخجل شديد قطعة من بيتزا البيروني.

''أليس هناك أي من صديقاتك حرةٌ الليلة؟''

يظهر فليكس وهو يحمل كيساً يصدر منه صوت تصادم زجاجات الفودكا.

''مرحباً!'' يصيح وهو يفتح ذراعيه لمعانقتي.

''مرحباً!'' أقول وأنا أعانقه، ''هذه فارلي، جميع من هنا مرتبطون؟'' تمتمت من طرف فمي.

''نعم''، يقول فليكس. ''كنا نتوقع حشداً أكثر تنوعاً، لكن الأشخاص الذين قالوا إنهم سيحضرون لم يحضروا''.

''صحيح''.

''سنمرح رغم ذلك!'' يقول وهو يلف ذراعيه حولنا، ''الفرسان الثلاثة''.

تمر الساعات القليلة التالية بسهولة في ثملٍ وودٍّ، ما يكفي لجعلي أفكر أن الطريق الطويل إلى كوبهام كانت تستحق ذلك. نذهب، أنا وفليكس وفارلي، إلى الغرفة الزجاجية ونلعب ألعاب الشراب ونتحدث ونضحك. وفي اللحظة التي يلف فيها ذراعيه حولي نتبادل، أنا وفارلي، ابتسامة قصيرة سريعة وأغمزها ما يكفي لجعلها تخرج لإجراء محادثة هاتفية كاذبة في الطابق العلوي وتتركنا وحدنا. لا أستطيع أن أحبها أكثر.

''هل يمكنني أن أتحدث معك في مكان هادئ؟'' يسأل.

''بالتأكيد''، أقول مبتسمة. يمسك يدي ونخرج إلى الحديقة.

''هذا محرج''، يقول وأنا أجلس على كرسي بلاستيكي وهو يتحرك قافزاً مبدلاً بين قدميه.

''لماذا؟ قل ببساطة''.

''أنا حقاً معجب بصديقتك فارلي''، يقول، ''هل هي عازبة؟''

في جزء من الثانية، أختبر كم أنا شخصٌ جيد.

''لا''، أجيب وأنا أقرر أنه سيكون لدي الكثير من الوقت في الحياة لأحترم نفسي، ''لا، ليست عازبة''.

''تباً''، يقول، ''هل هي في علاقة؟''

''نعم، علاقة جدية جداً''، أقول وأنا أومئ باتزان، ''مع فتى يدعى ديف''.

''لكنها كانت تتحدث كأنها عازبة؟''

''حسناً، ليسا معاً رسمياً الآن''، أرتجل، ''لكن لا يزال بينهما نوع من شيء ما. إنها علاقة جدية جداً. هي تتحدث معه على الهاتف الآن. في الحقيقة، تعرف كيف يمكن أن تكون الأمور في السنة الجديدة. التفكير في كل ما تندم عليه والأشياء التي لم تقل وهكذا، وهكذا. على أي حال، هي بالتأكيد ليست جاهزة للدخول في علاقة مع أي كان''.

تعود فارلي إلى الطاولة بحماسة وفي يدها زجاجة نبيذ. يختلق فليكس المنكمش على نفسه عذراً ليذهب إلى المرحاض.

''هل قبّلته؟'' تسأل بانفعال، ''هل قاطعتكما؟''

''لا، هو معجب بك ويسأل هل أنت عازبة وقد قلت إنك في علاقة متقطعة معقدة مع فتى يدعى ديف، وهذا كله مزعج جداً، وإنك لست جاهزة للانتقال إلى علاقة مع أيٍّ كان''.

''حسناً''، تجيب.

''هل هذا جيد؟''

''بالطبع جيد''، تقول، ''ليس النوع الذي يعجبني على أي حال''. سمعنا خطوات فليكس.

''قلت إنك كنت تتحدثين مع ديف على الهاتف''، أهمس لها.

''نعم''، ترفع فارلي صوتها بينما يعود فليكس للجلوس، ''نعم في جميع الأحوال، كان ذلك ديف على الهاتف منذ قليل''، تقول بطريقة آلية مع كامل الدهاء الموجود في شخصيات برنامج Acron Antiques، ''مرة ثانية!''

''ماذا قال؟''

''أوه، الكلام القديم نفسه. يريدني أن أعود. يظن أننا يمكن أن ننجح، وأنا قلت ما أقوله عادة: ديف لقد جربنا ذلك قبل. مع ذلك، تحركت مشاعري رغم أننا لسنا معاً. هذا تماماً يجعل الأمور أكثر وضوحاً بالنسبة إليّ، فأنا بالتأكيد لست مستعدة لإقامة علاقة مع أي كان''، رددت كالببغاء.

يعضّ فليكس شفته بقوة ثم يبتلع ما بقي من نبيذ في كأسه جرعةً واحدة. ''إنه منتصف الليل تقريباً''، يقول ويترك الطاولة ليتجه إلى الداخل.

بينما نجري العد التنازلي مع نهاية العام، أقف في غرفة معيشة مملة باهتة تعود إلى عائلة هذا الفتى الذي لم ألتقِه من قبل أبداً وأقسم أنني لن أخطط أبداً لأمسية على أساس وجود احتمال لإقامة علاقة مرة ثانية. نحدق إلى شاشة التلفاز المسطحة، حيث تعرض قناة BBC الناس الثملين المحمرّي الخدود يهتفون سكارى على الضفة الجنوبية وأتمنى لو كنت هناك. تدق ساعة Big Ben معلنة منتصف الليل. وتصدح أغنية ''Auld Lang Syne''. ثم، لسبب لا أظن أنني سأكون قادرة على فهمه، يبدأ الجميع في الغرفة الرقص البطيء كأنها كانت الأغنية الأخيرة في الديسكو، عدا فليكس الذي كان يجلس في الجانب الآخر من الغرفة يلعب عابساً على هاتفه. أدير مقبض النحاس لخزانة الشراب المصنوعة من خشب الماهوجني العتيق وأتناول زجاجة ويسكي. أنظر إلى فارلي

التي كانت تلاعب كلب العائلة، لابرادور الأسود، فتوقفه على ساقيه الخلفيتين وكفّاه في يديها. كانا يرقصان أيضاً ببطء على اللحن الجنائزي "Auld Lang Syne".

يفوتنا القطار الأخير العائد إلى لندن، ولذا أقف خارج المنزل وأتصل بشركات سيارات الأجرة المحلية لمعرفة كم يكلف الوصول إلى المنزل، لكنه يكون مكلفاً جداً. نصبح محجوزتين في سرّي لثماني ساعات على الأقل في منزل مليء بالأزواج مع شاب منزعج غير معجب بي وجميعهم من السنة الأصغر مني في المدرسة. أعود للدخول في الدائرة السابعة[26] من الحياة المملة وأرى فارلي مع لاعب الركبي الغريب وهما يتعانقان مقابل الثلاجة قبل أن ينسلا إلى غرفة تهوية الغسيل. أخرج إلى الحديقة لأدخن بقية سجائري بمفردي.

26 إشارة إلى دوائر الجحيم التسع حسب تقسيم دانتي لها في **الكوميديا الإلهية**. والدائرة السابعة هي من يسكنها مستخدمو العنف والمنتحرون والمسرفون والكافرون بالله ومدمرو الطبيعة.

"أين فارلي؟" يسأل فليكس. كانت لديه فكرتي نفسها. لن أزعج نفسي بالتمثيل بعد الآن.

"إنها في غرفة التهوية مع لاعب الركبي ذاك"، أقول ببرود قبل أن أتناول جرعة من زجاجة الويسكي.

"ماذا؟ ماذا عن ديف؟"

"لا أعرف"، أقول وأنا أشعل سيجارتي وأنفث الدخان في هواء الليل الساكن البارد، "هي وديف علاقتهما معقدة جداً، وكلما أدركت ذلك بسرعة، كان الأمر أفضل. مرة تكون فوق، ومرة تحت، مرة تنجح، ومرة تفشل".

"لكنها قالت إنها كانت تنجح منذ ساعة"، يجيب بغضب.

"نعم، حسناً أرجّحُ أنه اتصل مرة ثانية وغالباً عادا إلى شجار آخر، وهي ربّما أدركت أنهما انتهيا بالفعل".

"عظيم"، يقول وهو يجلس على مقعد الحديقة قربي ويتناول سيجارة، "هذه أسوأ حفلة رأس سنة في حياتي".

"نعم"، أقول ونحن نشاهد آخر الألعاب النارية في سرّي بصمت، "إنها كذلك".

العاشر من نوفمبر

"عزيزي أي شخص التقيته يوماً والقليل من الناس الذين لم ألتقهم أبداً،

سامحوني على مجموعة الرسائل الإلكترونية التي لا أندم عليها إطلاقاً. عذراً عن الغرور الوقح الذي أشعر تماماً أنه لا عيب فيه. أرسل إليكم رسالة إلكترونية بسبب مشروع غرورٍ عملت عليه طوال خمسة عشر يوماً، وأشعر أنكم جميعاً مدينون له بوقتكم ومالكم وانتباهكم.

أنا أستضيف أمسية موسيقية وسينمائية وشعرية في حدثٍ يدعى صالون لانا الأدبي. تعقد الأمسية في موقف سيارات مهجور في ليتونستون. وفكرة الأمسية هي استحضار تقاليد الحوار المساهمة في تنمية الفكر، وقد كانت سائدة في جامعة أكسفورد، ضمن مناخ من [27] Noel's House Party.

[27] برنامج تلفزيزني للتسلية يستضيف فيه نويل أدموندز ضيوفه في منزل كبير في قرية خيالية.

لنبدأ: سيكون هناك بعض القصائد كتبتها إنديا تاولر–باغز حول مواضيع تتعلق بـ: قص شعرها، الأمر الذي غيّر حياتها أخيراً، وبالخيار الصعب لاختيار إعدادات متصفح الشبكة الافتراضية لديها وإيجاد طريق العودة إلى نفسها عبر مزيج من تقاليد أياهواسكا[28] ودروس الزومبا. ستلقيها كلها بلهجة جامايكية خفيفة رغم انتسابها إلى معهد شلتنهام للسيدات.

[28] مشروب مصنوع من نبتة الياغيه المثيرة للهلوسة، ويشكل تقليداً قديماً لدى سكان منطقة الأمازون الأصليين.

بما أن معظمكم يعرف مسبقاً من البريد المتواصل المزعج على "فايسبوك" أن أولي أطلق حزبه السياسي الخاص، الشباب الليبيرالي الجاهل، لذا هو سيقرأ شعاراته بصوت عالٍ. يلي ذلك نقاش على المنصة مع الصحافي فوكس جيمس (T4، أخبار MTV) حول الأهداف الثلاثة الرئيسية للحزب: مالكو البيوت للمرة الأولى، ورسوم الدراسة في الجامعات، وإعادة افتتاح ملهى Fabric. ستكونون قادرين على الانتساب إلى الحزب في مكان اللقاء.

ثم الحدث الرئيسي، فيلمي القصير No one minds عن أوليركا جونسون المهاجرة التي تستكشف مواضيع الهوية الثقافية، والمواطنة، والسيادة في هوية مستقبلية بائسة. بعد أن ينتهي الفيلم الذي مدته ثلاث دقائق، سيجري فوكسي معي لقاءً حول الفيلم لساعتين. سنتحدث عن الفيلم وطاقم العمل (عائلتي أساساً) كأنّه تحفة فنيّة معترف بها عالمياً، وعن آلية العمل واختيار الكوادر والاعتراضات التي واجهتنا وروح التعاون وعن القصص وراء الكواليس، كأنني مارتن سكوريزي يعلّق على فيلمه GoodFellas.

ستكون هناك جعة محضرة يدوياً، خمّرتها رفيقتي في السكن على شرفة بنائنا الجديد في بنج. مذاق The Death of Hackney يشبه نوعاً من المارمايت الفوار ورائحتها تشبه التهاب المسالك البولية مقابل ١٣ جنيهاً للزجاجة. استمتعوا!

سيكون هناك أيضاً وعاء يدور عليكم ويمكنكم التبرع فيه بكرم قليلاً أو بقدر ما تريدون لسبب جدير بالاهتمام حقاً... هو أنا. Ulrika حالياً في مرحلة ما قبل الإنتاج وأريد إتمامه في أقصر وقت لكنني لا أريد عملاً مملاً مثل أي شخص آخر (أريده شبيهاً بأعمال جاك كيروك[29]، أنا بالفعل لست كائناً صباحياً).

[29] شاعر وكاتب وروائي أميركي، يعتبر محطم التقاليد الأدبية.

شكراً كثيراً جداً جداً على دعمكم لهذا. أنا حرفياً سأحب كل شخص يحضر، باستثناء الأشخاص الذين لا أعرفهم جيداً، والذين سوف أرحب بهم بطريقة سريعة ثم أقول: "أوه، يا إلهي، لماذا هو هنا حرفياً، لم أَلقَهُ منذ المدرسة الابتدائية؟ أظن أنه مهووس بي".

إلى أصدقائي

لعلّ الفن يساعدكم

لانا. قبلاتي ‘‘

سمينة قليلاً، نحيلة قليلاً

''هل ما زلت تحبني؟'' سألت.

''لا''، قال، ''لا أظن ذلك''.

''هل أنت معجب بي على الأقل؟'' سألت. كان هناك صمت.

''لا أظن أيضاً''.

أغلقت الهاتف.

(منذ ذلك الحين وأنا أنصح للناس أنه من الأفضل أن يكذبوا بهذا الشأن إذا كانوا ينهون علاقتهم بأحدٍ ما. فكرة ''انتهاء الحب'' سيئة تماماً. فكرة ''أنا غير معجب بك'' قاتلة).

كنت في الحادية والعشرين فقط. تخرجت قبل شهر في الجامعة. وأول حبيب حقيقي لي أنهى علاقته بي للتو عبر الهاتف.

بقينا، أنا وهاري، معاً أكثر من عام بقليل رغم أننا لم نكن مناسبين تماماً لبعضنا بعضاً. هو كان محافظاً مهووساً بالرياضة ويؤدّي مئة تمرين ضغط كل ليلة قبل النوم. كان مسؤول العلاقات العامة لنادي Lacrosse في جامعة إكسيتر ولديه قميص لطيف كتب على صدره ''Lash Gordon''. كره الإفراط في إظهار المشاعر، والمرأة الطويلة التي ترتدي الكعب العالي أو تلك الصاخبة جداً، وهذا كان الأساس الذي شكّل شخصيتي آنذاك. ظن أنني كنت كارثة، وظننت أنه كان مضجراً.

أمضينا علاقتنا كلها في الجدال، ليس بسبب بقائنا دوماً جنباً إلى جنب فقط. فهو عملياً كان يعيش في الشقة التي تشاركتها مع لاسي وآج وفارلي في عامنا الأخير في الجامعة، وقد انتقل إلى منزل والديّ في الصيف حين كان يمضي وقت تدريب على عمله.

عند نهاية أغسطس الطويل والحار والمثير، في ذاك العام الذي لم نبتعد فيه عن بعضنا بعضاً، عشنا واحدة من أسوأ لحظاتنا. ركبنا قطاراً إلى أكسفورد لحضور حفل عيد ميلاد لاسي الحادي والعشرين. بعد الحدث الرئيسي ذهبت قاصدةً العزلة بعيداً عن الطاولة باتجاه بركة السباحة التي بدت جذابة، فخلعت ملابسي كلها وغطست. وعندما أتى بعض الأصدقاء باحثين عني، تشجع الجميع لفعل الشيء نفسه. تدهورت الليلة إلى حفلة جماعية في بركة السباحة وأصبحت مثل رئيسة تقاليد بركة السباحة العارية. كاد هاري ينفجر. في الصباح، اختبأت فارلي وآج خلف شجرة تضحكان بشدة وهما تراقبانه يصيح فيّ: ''لن تحرجيني بمثل هذه الطريقة ثانية أبداً!'' ما زاد خجلي

وجعله أكثر وضوحاً هو كميّة الكلور الكبيرة التي عولجت بها مياه البركة فحوّلت شعري المبيض إلى اللون الأخضر الداكن الحيوي.

لم يكن لدينا شيء مشترك أبداً. لكنه رغب أن يكون حبيبي الحقيقي الأول، ولكوني في التاسعة عشرة، وجدت ذلك سبباً كافياً للخروج مع أحدهم.

في الليلة التي هاتفني فيها، كنت في شقة شرقي لندن، حيث اخترت، تجنباً للسفر الطويل من ستانمور بعد بدء دورة الصحافة، أن أبقى مع صديقة لي. اتصلت فارلي بعد ساعة من ذلك، عند الحادية صباحاً، وأخبرتني أنها قادمة من منزل أمها، وستأتي لاصطحابي إلى المنزل.

خلال رحلة العودة كنت في حالة يرثى لها، أحاول وصف محادثتنا لفارلي لكنني لم أكد أستطيع تذكر أي تفصيل. رنّ هاتفي؛ كان هو. أخبرتها أنني لا أستطيع التحدث إليه. فسحبت الهاتف مني وضغطته إلى أذنها.

''هاري، لماذا فعلت هذا؟'' صاحت. لم أتمكن من سماع ما كان يقوله على الطرف الآخر. ''جيد، لكن لماذا تخبرها ذلك عبر الهاتف؟ لماذا لم تأتِ لرؤيتها وإخبارها ذلك وجهاً لوجه؟'' صاحت من جديد. كان ثمّة حديث أكثر صعوبة من جانبه. أصغت فارلي. ''نعم؟ حسناً اذهب إلى الجحيم''، صاحت وأغلقت الجوال ورمته إلى المقعد خلفها.

''ماذا قال؟''

''لا شيء، حقاً''، قالت.

نامت فارلي في سريري تلك الليلة، والليلة التالية، لينتهي ذلك بعد أسبوعين. لم أتمكن من العودة إلى الشقة. كانت تلك أوّل مرّة أختبر فيها انكسار القلب ولم أظن أبداً أن الشعور السائد سيكون بمثل هذا الالتباس الحاد، كأنما لم يعد لدي سبب لأثق بأي شخص مرة ثانية. لم تكن لدي فكرة واضحة عما حدث أو لماذا. كل ما عرفته أنني لم أكن جيدة كفاية.

لم أستطع تناول الطعام أيضاً. سمعت عن هذه النتيجة لانكسار القلب من قبل، لكنني لم أتخيل أبداً أنها ستؤثر فيّ. كنت، وكنت دائماً، فتاةً جائعةً جداً. ربما الأكثر جوعاً بين الجميع. لم أواصل حمية أبداً لأطول من يومين. عائلتي كلها كانت تحب الطعام، أنا وفارلي أحببنا الطعام. أمي طباخة بالفطرة وكبرت مع جدين إيطاليين. بدأت تعليمي الطبخ عندما كنت في الخامسة. كانت توقفني قربها على كرسي فأتمكن من مساعدتها في عجن العجين أو خفق البيض على طاولة المطبخ. طهوت لنفسي خلال مراهقتي وطهوت للجميع في الجامعة. بدأت تدوين مذكراتي في السادسة؛ كان توثيقاً حماسياً لما تناولته في ذاك اليوم. أذكر مراحل حياتي وفق محتويات الأطباق: البطاطا المخبوزة

المقرمشة في العطلات قرب البحر في ديفون، فطائر المربى الدبقة المثيرة في عيد ميلادي العاشر، الدجاج المشوي ليالي الأحد، الغرق المرعب في المرق في الأسبوع المدرسي. لا يهم كم تصبح الحياة سيئة، ولا يهم كم هو قاسٍ الألم، طالما كنت دوماً متأكدة من أنني أملك مكاناً لحصة إضافية من الطعام.

لم أشعر أبداً بالوزن الزائد، لكن نمط جسدي كان غالباً يوصف بارتباك أنه جسد "فتاة كبيرة". أنا من سلالة طويلة قديمة من العمالقة. أخي، يحبه الله، كان مراهقاً بطول ستة أقدام وسبعة إنشات. كان عليه أن يشتري ثياباً من متاجر تدعى بأسماء [30] "Magnus" و "High and Mighty". وأنا عندما كنت في الرابعة عشرة كنت بطول خمسة أقدام وعشرة إنشات. في السادسة عشرة، كنت بطول ستة أقدام. لكنني لم أكن واحدة من تلك المراهقات النحيلات الطويلات اللواتي يشبهن المهرات. كنت عريضة مع أثداء وأوراك كبيرة. كنت نقيضة الفتيات اللواتي يتصورن على صفحات Bliss ويوصفن في سلسلة كتب (نادي جليسات الأطفال). ومثلما لم أكن مبنية ذهنياً على نحو صحيح لأكون مراهقة، كذلك لم يكن جسدي ملائماً لذلك.

30 *Magnus*: كلمة لاتينية تعني الضخم. High and Mighty: الكبير الهائل.

وجدت فكرة أن تكوني طويلة جداً وأنت مراهقة أمراً صعباً. لم أعرف أبداً الوزن المثالي الذي كان يفترض أن أكون عليه، لأن الفتيات اللواتي كان طولهن نصف طولي كنّ يتحدثن عن "وزن الدهون" كوزن لم أعرفه منذ الطفولة، ما خلق لديّ إحساساً كبيراً بالعار، ترافق مع تناول الطعام بسبب الملل وسمنة البلوغ، وعنى أنه ينبغي لي شراء ملابس بقياس 16s وأنا لم أكمل السادسة عشرة بعد. كنت مدركة أنني أكبر حجماً من صديقاتي وأنني أدعى أحياناً بالسمينة. لكن كانت ثقتي دوماً أن شكلي سيكون دليلاً على أنني لم أكن طفلة. اللحظة المحرجة حقاً كانت في الخامسة عشرة، في حفل شواء، عندما كانت تيلي، صديقة والديّ المفرطة في السمنة، ثملة جداً فأمسكتني بحب بقبضتيها كأنها تحرك مقود سفينة قبل أن تعلن للجمع في الحديقة أننا "نحن الفتيات الممتلئات يجب أن نتآزر". وتخبرني بوضوح أن "الرجال يحبون قليلاً من اللحم على جسد الفتاة"، لأتلقى غمزة تواطؤ من زوجها الذي كان، بالمصادفة أيضاً، بحجم سيارة Vauxhall zafira.

خسرت بعض الوزن عندما ذهبت إلى المدرسة الداخلية، وحين وصلت إلى الجامعة كنت بقياس 14 المريح، لكنني لم أهتم فعلياً بأنني لم أكن نحيلة جداً. ما زلت أقبّل الفتيان كما أردت أن أقبّلهم. وكان يمكنني أن أرتدي ثياباً من Topshop. وأحببت الطعام والطبخ. فهمت أن ذلك كان مفاضلة.

رغم ذلك، وصلت إلى هذا. فهذه أنا أخيراً غير قادرة على تناول أي شيء. غرقت، من رأسي إلى أخمص قدميّ، في شعور بالضعف الشديد. وشهيتي، التي هي أكبر ثروة متألقة لدي، تلاشت. شعرت بحركة أمعائي، وكان هناك كتلة ثابتة في حنجرتي. كانت أمي تقدم إليّ إناء الحساء في المساء، وتقول إنه سهل البلع، لكنني كنت أتناول بضع ملاعق فقط وأرمي الباقي في المغسلة بعد خروجها.

صعدت إلى الميزان بعد ليلتين لأجد أنني خسرت حجراً[31]. وقفت عاريةً أمام المرآة، ورأيت للمرة الأولى في حياتي البداية الأولى إلى ما قادني للاعتقاد أنها كانت المؤهلات الحقيقية للأنوثة: خصر أصغر، عظام الورك، عظام الرقبة، عظام الكتفين. في هيئتي الجديدة التي لم أستطع فهمها – حيث صار الفتى الذي شاركته منزلاً وحياةً لأكثر من سنة فجأة مرفوضاً مني – ارتجفت وأنا أشعر بشيء ما بدا منطقياً في النهاية. توقفت عن تناول الطعام؛ راح جسدي يتغير. نجح هذا. هنا، في هذه الفوضى، وجدت صيغة أبسط لوضعٍ كنت سيدته. كان أمراً استطعت جعله يقودني إلى مكان جديد، مكان قدرتُ أن أكون فيه شخصاً مختلفاً. الجواب كان في انعكاسي في المرآة: لا تأكلي أكثر.

31 وحدة قياس وزن تساوي 6.45 كلغ تقريباً، ومن أجزائها الباوند ويساوي تقريباً نصف كيلو غرام.

وضعت مخططاً لمهمتي الجديدة: وزنت نفسي كل يوم، حسبت خطواتي، حسبت الحريرات التي أتناولها، نفذت تمارين الضغط في غرفة نومي كل صباح ومساء، سجلت مقاساتي أسبوعياً. عشت على الكولا الخالية من السكر وأصابع الجزر. إذا شعرت برغبة في تناول شيء ما، كنت أذهب إلى السرير أو آخذ حماماً ساخناً. انخفض وزني أكثر. تخلصت منه يوماً بعد يوم، باونداً وراء الآخر. لم يبدُ أبداً أن وزني سيثبت عند حد معين. ملأني هذا بالطاقة التي عملت مبدئياً كبديل عن الطعام. شعرت أنني كالقطار السريع جداً الذي يتحرك سحرياً دون وقود. مرّ شهر آخر؛ خسرت حجراً آخر. غابت عادتي الشهرية، الأمر الذي أرعبني وحمّسني في آنٍ، فهذا كان يعني على الأقل أن شيئاً ما يتغير داخلي وخارجي أيضاً. على الأقل، كنت أقترب من أن أكون شخصاً جديداً.

في ذلك الوقت، حين كنت أتغيب عن المحاضرات، كنت ألتزم المنزل. كنت لا أزال أشعر أنني سريعة التأثر بسبب الانفصال ولم أكن راغبة في التواصل الاجتماعي. أول شخص لاحظ أن ثمة شيئاً ما ليس على ما يرام كانت أليكس، شقيقة هاري، التي أصبحنا، أنا وهي، صديقتين مقربتين جداً خلال علاقتنا، والتي بمنتهى الشكر بقيت قربي خلال انفصالنا. كانت قد انتقلت أخيراً إلى نيويورك

وكنا نتحدث عبر تطبيق Skype يومياً. في أحد الأيام، في منتصف إحدى محادثاتنا، وقفت بينما كنا نتحدث، ورأت جسدي بالطول الكامل لأول مرة منذ أشهر.

"أين ثدياك؟" سألتني. اتسعت عيناها وهي تحرك كاميرتها من الأعلى إلى الأسفل لتتفحصني.

"هنا".

"لا ليسا كذلك. ومعدتك مثل لوح الكيّ. دولز، ماذا جرى؟"

"لا شيء، فقدت بعض الوزن فقط".

"أوه، عزيزتي"، قالت عابسة، "أنت لا تأكلين، أليس كذلك؟"

كان الآخرون أقل انتباهاً. بدأت الخروج أكثر لرؤية أصدقاء من جامعتي. أخبرني الناس أنهم سمعوا عما جرى بيني وبين هاري، وكم كانوا آسفين لذلك. أخبرني الناس أن لديه صديقة جديدة. أخبروني مراراً وتكراراً كم أبدو رائعة. وكل إطراء كان يغذيني كوجبة غداء.

خرجت وشربت باستمرار آملة أن أصرف انتباهي عن ألم الجوع. كانت أمي، التي ازداد قلقها بدرجة كبيرة، تترك لي أطباق الطعام على طاولة المطبخ كي أتناولها عندما أعود من سهرةٍ في الخارج. وقد ظننت بحق أنني على الأرجح سأتناولها عند ذلك. لكنني تعلمت عندما أصل إلى المنزل أن أصعد مباشرة إلى الأعلى وآوي إلى الفراش.

بحلول ديسمبر، كنت قد فقدت ثلاثة حجارة: ثلاثة حجارة في ثلاثة أشهر. صار من الأصعب استدعاء الأفكار الصارمة التي أبقتني بعيدة عن الطعام حتى تلك النقطة. أُرهقت؛ بات شعري خفيفاً وكنت أشعر بالصقيع على الدوام. مرّةً جلست تحت الدوش أحاول تدفئة نفسي بالماء الشديد السخونة فأحرق ظهري وترك آثاراً عليه. واصلت الكذب على والديّ القلقين حيال كمية الطعام التي تناولتها ذلك اليوم أو متى كنت سآكل ثانية. كنت أحلم أنني أتناول جبالاً من الطعام وأستيقظ غارقة بدموع الإحباط لأنني خرقت بغباء التعويذة التي اصطنعتها لنفسي.

كانت هايكس لا تزال في إكسيتر لسنة إضافية بعد أن تخرّجنا جميعاً. قررنا في إحدى المرّات، أنا وصوفي وفارلي، الذهاب لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معها وزيارة أماكننا القديمة كلها. عنى هذا أيضاً أنني أستطيع رؤية هاري الذي كان في سنته الأخيرة هناك، ما جعلني أشعر كأن شيئاً ما قد أتم دورة كاملة ووصل بي إلى النهاية. قلت له إنّ علينا أن نعيد أغراض بعضنا بعضاً، ووافق أن يراني.

قادتني الفتيات إلى منزله في وقت مبكر عشية السبت وانتظرنني في الخارج.

''سننتظرك هنا، يا صديقة''، صاحت هايكس من نافذة السيارة، وقدمها وسيجارتها تتدليان خارجها.

ذهبت إلى بوابة منزل هاري الأمامية وقرعت الجرس.

''أوه، إلهي''، قال عندما فتح الباب، ''تبدين...''.

''مرحباً، هاري''، قلت ومشيت أمامه وصعدت إلى الطابق العلوي. تبعني. وقفنا متواجهين في طرفي غرفة نومه نحدق إلى بعضنا بعضاً.

''تبدين مذهلة''.

''شكراً''، قلت، ''هل يمكنني استرداد أشيائي؟''

''نعم، نعم، بالتأكيد''، قال ذاهلاً. ناولني كيساً بلاستيكياً فيه ملابسي وكتبي. أخذت سترته الملفوفة من حقيبتي ورميتها على سريره.

''تلك كلّ أشيائك التي وجدتها في منزلي''.

''حسناً، شكراً''، قال، ''إلى متى ستبقين هنا؟''

''العطلة. أنا وفارلي وصوفي سنبقى مع هايكس''.

''أوه، عظيم''، قال. كان يتحدث بأسلوب عادي على نحو غير معهود. ''حسناً، هلّا أبلغتيهن مودتي، مع أنهن على الأرجح لا يرغبن في سماع شيء مني''. حدّقنا إلى بعضنا بعضاً بصمت وجيز، ثمّ: ''أنا آسف من أجل...''.

''لستَ كذلك''، قاطعته.

''أنا''، قال، ''أنا آسف بشأن الطريقة التي تصرّفت بها''.

''حقاً لستَ كذلك، قدّمتَ إليّ أكبر خدمة''، قلت، ''انظر، حتى أن أظفاري طالت، ولم أعد أقضمها أبداً. لقد وضعت طلاء أظفار لأول مرة في حياتي، هل تصدق؟ وهذا كلّفني خمسة جنيهات فقط''، قلت وأنا أمد يديّ بعدائية تجاهه. سمعت صوت بوق السيارة في الخارج؛ كانت صوفي وهايكس تحتسيان الشراب من علب معدنية وكلاهما تضغط على بوق السيارة، بينما خرجت فارلي في محاولة لإيقافهما.

''يجب أن أذهب''، قلت.

''بالتأكيد''، أجاب. نزلنا الدرج بصمت وفتح الباب الأمامي.

''هل أنت بخير؟'' سأل، ''تبدين حقاً...''.

''نحيلة؟'' سألت.

"نعم".

"أنا بخير، هاري"، قلت قبل أن أعانقه عناقاً سريعاً، "إلى اللقاء".

اصطحبتني الفتيات إلى مطعم هندي للاحتفال بما رأينه نهاية كبيرة لفوضى شاملة ومؤسفة. غصت في طبق الأرز، واحتسيت الجعة زجاجة بعد أخرى. شعرت بالارتباك، وبالإهانة أكثر، شعرت أنني أكثر غضباً وأكثر خروجاً عن السيطرة من أي وقت مضى، أياً كان ما أردت تحقيقه من رؤيته، فهو لم ينجح.

كان غضبي يشحنني. واصلت خسارة الوزن على نحو أسرع، ما تسبب في اضطرابات استقلابية في جهازي الهضمي جعلتني أكتسب بعض الوزن، فعدت إلى تخفيض كميّات الطعام التي أتناولها. بدأت الصديقات يواجهنني بالأمر. قالت فارلي إنني مهووسة. حاولت مساعدتي طالبةً أن أفتح لها قلبي، لكنّني رفضتُ جميع أسئلتها بمرح. أتقنت تكتيكاً جيداً لإزاحة آراء الآخرين عن كاهلي، فكنت أطلق النكت حول قلة ما آكله. أستحضر النكتة قبل أن يفعلها أحد آخر، فأدركوا أنها كانت مجرّد حمية غذائية ولا توجد مشكلة. رغم ذلك، كان مقاسي لا يزال 10. لم يكن وزني قليلاً، فقد بدأتُ سمينةً بالفعل.

واصلتُ الأمر كأنّه الشيء الوحيد الذي استطعت التحكم فيه. أردت أن أكون سعيدة فقط، والجميع يعلم أنك عندما تكون أنحف، تكون أسعد. تابعتُ لأن المجتمع كان يكافئني في كل مناسبة بسبب تعذيبي لذاتي. تلقيت إطراءات، حصلت على مقترحات، شعرت أنني مقبولة أكثر من أناس لا أعرفهم، وتقريباً الملابس كلها بدت رائعة عليّ؛ شعرت كأنني كسبت أخيراً الحق في أن أؤخذ على محمل الجد كامرأة. فكل شيء قبل ذلك كان زائداً. لقد كنت حمقاء لأفكر أنني كنت أستحق المودة. عادلت الحب مع النحافة، ولزيادة خوفي، كان تعزيز هذا الاعتقاد موجوداً في كل مكان. كانت صحتي تتراجع، وأسهمي تزداد.

المشكلة هي أن المرأة لا يمكن فعلاً أن تكون نحيلة كفاية. إذ لا يعدّ بقاؤك جائعة طوال الوقت، ولا اقتصار غذاؤك على مجموعة محددة من الأطعمة، ولا قضاؤك أربع ليالٍ في الأسبوع في النادي الرياضي ثمناً مرتفعاً تسددينه. وفق التجربة يكفي لتكون شاباً جذاباً أن تمتلك ابتسامة لطيفة، وشكل جسم متوسط (يزيد أو ينقص حجراً) وقليلاً من الشعر، وأن ترتدي سترة مناسبة. أمّا لتكوني امرأة مرغوبة، فالسماء هي الحد. يجب أن تزيلي الشعر عن كامل جسدك، وأن تضعي طلاء أظفار مرة في الأسبوع، وأن ترتدي الكعب العالي كل يوم، لتبدي مثل عارضات Victoria's Secret

Angel [32] حتى لو كان عملكِ في مكتب. لا يكفي أن تكوني امرأة بقياس متوسط مع قليل من الشعر وسترة مناسبة. ذلك غير كافٍ. تمّ تلقيننا أنه علينا الظهور مثل النساء اللواتي يُدفع لهن ليظهرن بتلك الصورة لأن ذلك هو عملهن. وكلما كافحت أكثر لتحقيق الكمال، لاحظت العيوب أكثر. عندما كنت بقياس 14، كنت أكثر ثقة بجسدي مما أنا عليه بوزن أخف بثلاثة أحجار. فعندما تعريت مع شريك جديد، أردت الاعتذار عما كنت سأظهره. أذكر سلسلة الأشياء التي غيرتها مثل سيدة من الطبقة المتوسطة تقول وهي تتجول في بيتها مع ضيوفها: ”أوه، لا تنظروا إلى السجادة، السجادة قبيحة جداً، أعد أن كل شيء سيتغير“.

[32] أكبر محلات التجزئة الأميركية لبيع الملابس الداخلية.

بدأت مخاوف بعض صديقاتي تظهر بغضب. وصلت إلى الحفلات نصف عارية تقريباً، وأنا لم أتناول شيئاً لأيام، وكنت أقع في غيبوبة، ولا أكاد أقوى على قول شيء. كانت صابرينا وآج مسافرتين معاً ووصلتُ إلى حفل وداعهما متأخرة. شعرت أنني مرهقة ولا أقدر على الحديث إلى أي شخص. اختلقت عذراً وغادرت بعد نصف ساعة. استطعت أن أشعر أنني أدفع حياتي كلها بعيداً وغرقت أكثر وأكثر في المعنى الخطأ للسيطرة. وعندئذ، وقعت في الحب للمرة الأولى.

كنت أتجول خلال حفلة صاخبة في Elephant and Castle [33] عندما التقيت ليو أول مرة. لم أرَ رجلاً أكثر كمالاً في حياتي: طويل ونحيل مع شعر خفيف داكن، وفك قوي، وعيون لماعة، وأرنبة أنف مرتفعة، وشارب على نمط السبعينيات؛ وجهٌ كان نصفه لجوش برولين ونصفه لجيمس تايلور، وأفضل ما فيه أنه ليس لديه فكرة أبداً عن جماله. كان طالب دكتوراه، هبيّاً، ومصاباً بالهوس الأحادي[34] بحاجبين متصلين.

[33] متجر تسوق بالقرب من لندن.

[34] مرض نفسي ينشغل فيه المريض بهاجس واحد أو أكثر من الأوهام. وله أنواع: هوس السرقة، جنون العظمة، الهوس الشبقي... وغيرها.

بدأنا نلتقي مباشرة بعد تلك الليلة. عرفت أنه كان جاداً لأنني لم أذهب معه إلى السرير لشهرين كاملين؛ راغبة أن أفهمه بطريقة صحيحة، وأن أستمتع بكل لحظة معه، دون التسرع في أي شيء. كان يعيش في كامدن وعند نهاية إحدى لياليناً معاً، بطريقة عادية نحو الرابعة صباحاً، أوصلني إلى موقف الحافلات خارج محطة Chalk Farm حيث كنت أنتظر الحافلة N5 لتأخذني عشرة أميال شمالاً، إلى إدجوار. ومن هناك، كان عليّ المشي خمساً وأربعين دقيقة باتجاه الغرب إلى ستانمور. أدور عبر الشوارع المقفرة التي اصطفت سيارات Volkswagen على جانبيها. أشاهد شروق

الشمس فوق المنازل نصف المهدمة ذات الآجر الأحمر. كنت أشعر بسعادة أكبر من تلك التي تخيلت في حياتي أنني أستطيع بلوغها.

في إحدى الليالي، بينما كنا نسير عبر كامدن كالعادة، توقف ليقبلني وترك يديه تلعبان بشعري، وصدمه أنني أضع وصلة للشعر. أبعد الشعر الكثيف عن وجهي وأعاده خلف رأسي.

"ستبدين جميلة حقاً بشعر قصير"، قال.

"مستحيل"، أجبت، "كنت أقصه بتسريحة بوب عندما كنت مراهقة وكنت أبدو مثل راهبة".

"لا، أنا أتحدث عن شعر قصير حقاً، يجب أن تفعلي هذا".

"جيد"، قلت، "ليس لدي وجه لذلك".

"لديك!"، قال، "لا تكوني قطة خائفة. إنه مجرد شعر".

عرف قليلاً أن فكرة "مجرد شعر" كانت كل ما فكرت فيه. مجرد شعر، مجرد عظام رقبة، مجرد تمرين معدة، "مجرد" كانت كل ما صرفت طاقتي عليه خلال الجزء الأفضل من السنة وكل ما فكرت أنني أستحقه.

بعد شهر التقطت صورة لقصة شعر تويغي[35]. تناولت جرعة من الفودكا، وقصصت خمسة إنشات من شعري. ذهب معها بعض هوسي حول كيف أبدو. لقد قُصّ وسقط أرضاً.

35 عارضة أزياء وممثلة ومغنية إنكليزية. كانت رمزاً ثقافياً بريطانياً وأنموذجاً بارزاً في سن المراهقة في الستينيات.

لم يعرف ليو سرّي، لأنني لم أرغب أن يظن أنني كنت مخبولة، لكن بعد بضعة أشهر من المواعدة، أضاف بضعة أشياء. تمكنت من تجنب تناول الطعام أمامه. كنت أقول دوماً إنني سأتناول الفطور لاحقاً عندما نتودّع في الصباح. أخيراً قالت له صديقة إنها تظنني مريضة.

"هل هذه مشكلة؟" سألني.

"الأمور بخير"، قلت محرجةً وخائفة من كوني على وشك خسارة أفضل شخص التقيته على الإطلاق. "يمكنني مساعدتكِ لأنني أستطيع تحمل الأمر معك، لكن لا أستطيع الوقوع في حبك إن لم تكوني قادرة على التحدث إليّ".

"حسناً، كانت مشكلة"، أخبرته، "لكن الوضع سيتغير، أعدك".

كنت سأفعل أي شيء للمحافظة على هذا الرجل في حياتي. الحب الذي شعرت به كان كبيراً وعنيفاً؛ أحببته بألم وشغف. لم أقع في الحب؛ الحب وقع عليّ. وقع عليّ مثل طن من قطع الآجر

تسقط من ارتفاع كبير. لم يكن ثمّة خيار أمامي غير التخلص من الهوس الذي كان في طريقه لتدمير كل شيء.

لهذا، بدأت. قرأت الكتب الصحيحة كلها، وذهبت إلى الطبيب، وببطء، زحف الوزن عائداً إليّ فزدت حجراً. عدت ببطء إلى تناول الطعام على نحو عادي. استعدت صحتي. جربت حتى لقاءات مجموعات الدعم في مراكز المجتمع حيث، هل تصدقون، أول شيء يفعلونه هو وضع صحن من الكعك وسط الغرفة والاهتمام بتحديد من سيعدّ الوجبات الخفيفة في الأسبوع التالي، الأمر الذي بدا لي مفيداً كوضع زجاجة جاك دانييل وسط لقاء AA [36].

36 منظمة عالمية تساعد في علاج إدمان الكحول.

استعدت حبي للطبخ والطعام. وقضيت عطلات الأسبوع مع ليو مشغولة بهما. شاهدت مع أمي الحلقات التلفزيونية القديمة لفاني كرادوك ونايجيلا. الجميع قالوا إنني بدوت "بصحة أفضل" في كل مرة رأوني فيها، وحاولت تجاهل ما يعنيه هذا لجهة أنني كنت سمينة مجدداً. انتهت الحرب؛ بدأ التعافي؛ استعدت حياتي.

حررني الهيبي من عبوديتي للكمال. كنا نثمل ونقص شعري ليصبح أقصر. كان يقص القطع الكبيرة بمقص المطبخ وأنا جالسة إلى الطاولة أعصر الليمون الحامض في كؤوس الجعة. أخيراً حلق كلا الجانبين وتركني بقصة Mohawk [37]، بخصلة كثيفة في المنتصف. قضيت الوقت مرتدية أحذيته الخفيفة وستراته وكنت أقضي أياماً بصحبته دون أن ألمس حقيبة التجميل أو شفرة حلاقة جديدة. كنا نذهب لقضاء العطلات الأسبوعية على الشاطئ ونغسل وجوهنا وأجسامنا والصحون في البحر. ننصب خيمة في غرفة نومه لليالي الأحد عندما نشعر بالملل. كان ذلك نقياً وحراً ورائعاً.

37 قصة شعر يحلق فيها كامل الرأس ويبقى الشعر وسط الرأس كخط يمتد من الأمام إلى الخلف.

لكنني عرفت في العمق أنني كنت لا أزال أصوغ نفسي تحت إشراف نظرة الرجل، أنا ذهبت إلى النهاية المقابلة للطّيف فقط. كره ليو أن أضع كثيراً من مساحيق التجميل، ولذا كنت أمسحها في الحافلة وأنا في طريقي إلى منزله بعد حفلة. كنت أبدل حذاء الكعب العالي إلى tops-High.

لم يكن الوزن الذي استعدته شيئاً أردت فعله لنفسي. لو لم ألتقِ ليو، لربّما كنت سأتابع لأغدو أنحف، لكنّه ساعدني، بضربة حظ، لأرجع إلى الشفاء الكامل. بينما كنت أغدو أكبر وأكثر وعياً للهبة الثمينة التي تقدمها الصحة إلى الجسم، شعرت بالخجل والارتباك لأنني استطعت معاملة نفسي بهذا السوء. لكن سيكون كذباً قولي إنني ظننت بإمكانية تحرري بالكامل مما حدث في ذلك الوقت؛

هو شيء لن يخبرك عنه أحد أبداً. يمكنك أن تجعل جسدك يستعيد صحته. يمكنك أن تطور موقفاً منطقياً، متوازناً، مهتماً بالوزن إضافة إلى العادات اليومية الجيدة. لكن لا يمكنك نسيان عدد الحريرات الموجودة في بيضة مسلوقة أو عدد الخطوات اللازمة لحرق عدد من الحريرات. لا يمكنك أن تنسى الوزن الدقيق الذي كنت عليه في أي أسبوع من كل شهر في تلك المدة. يمكنك محاولة تجاهله بأقصى ما تستطيع، لكن أحياناً، في الأيام الصعبة جداً، يبدو الأمر كأنك لم تكن أبداً مبتهجاً وأنت تلعق المربى عن أصابعك وأنت في العاشرة. لن تعود تلك البهجة ثانية أبداً.

كل ما عرفته عن الحب في الحادية والعشرين

يحب الرجال المرأة البرية الفاحشة. مارسي الجنس في الموعد الأول، أبقهم مثارين طوال الليل، دخني بكثافة في أسرتهم في الصباح، لا تطلبي منهم العودة أبداً، أخبريهم أنك تكرهينهم، أن تقفي على عتباتهم في زي ممرضة في الصيف، أن تكوني أي شيء غير تقليدي. تلك هي الطريقة لإبقائهم مهتمين.

إذا تجاهلت أحباء أفضل صديقاتك لوقت طويل كفاية، سيبتعدن عنك في النهاية. تعاملي معهم كما تتعاملين مع الزكام العادي أو كحالة معتدلة من القلاع الفموي.

لن يكون هناك انفصال أصعب من الأول. ستتحركين في الشهور التالية دون هدف، ستشعرين أنك ضائعة ومشوشة كطفل، تسألين عن الأشياء كلها التي عرفت أنها صحيحة وتتأملين الأشياء كلها التي عليك تعلمها من جديد.

احرصي دوماً على قضاء الليل في منزل رجل، ويمكنك أن تغادري عندما تريدين في الصباح.

الرجل المثالي يكون ذا بشرة زيتونية وله عيون بنية أو خضراء، وأنف قوي، ولحية كثيفة وشعر أجعد غامق. لديه وشوم ليست محرجة وخمسة أزواج من سراويل الجينز Levis الكلاسيكية.

عندما لا تمارسين الجنس، اتركي شعر جسمك يصبح كنبتة برية متسلقة؛ ليس هناك فائدة من إضاعة ذلك الوقت والمال والبخار كله على كريم إزالة الشعر إن لم يكن هناك من سيرى النتائج.

عندما تكونين نحيلة كفاية، ستكونين سعيدة مع نفسك وعندئذ ستكونين جديرة بالحب.

لا تخرجي مع من لا يدعك تثملين وتتبادلين الغزل مع الآخرين. إذا كان ذلك جزءاً من هويتك، عليه أن يتعامل معك كما أنت.

من السهل التظاهر بالوصول إلى الرعشة وهذا سيجعل الشريك يشعر أنه بحال أفضل. اعملي معروفاً بهذا.

ستشعرين بالاستقرار والمركزية والهدوء عندما تقعين في الحب مع الشخص المناسب.

أسوأ شعور في العالم أن تُهجري.

الرجال بالمجمل ليسوا محط ثقة.

أفضل جزء من العلاقة هو الأشهر الثلاثة الأولى.

الصديقة الجيدة سوف تفضّلك دوماً على الرجل.

عندما لا تستطيعين النوم، احلمي بعلاقات حب مع رجال بلون بشرة زيتونية وشعر أجعد يستلقون أمامك.

حلوى عنب الثعلب[38]
حياتي كعَجَلة ثالثة

38 أن يشبه شخص نفسه بعنب الثعلب هو تعبير يستخدم في بريطانيا للحديث عن شخص ثالث في علاقة بين اثنين، خاصة علاقة غرامية.

بدأ الأمر برحلة قطار. كنت دوماً أظن أن شيئاً ما رائعاً سيحدث لي على متن قطار. لطالما بدا لي السفر في رحلة طويلة من أكثر الأماكن رومانسية وسحراً، أن تجد نفسك منقطعاً في حجرة مريحة وأفكارك الخاصة عالقة في الجو. تسافر عبر إسفين الصمت، صفحات بيضاء بين فصلين، مكان تغيب عنه إشارة الهواتف وتعود لتكون مجبراً على قضاء بعض الوقت مع أفكارك، تكتشف ما تحتاجه ليعاد تشكيلك ويعاد ترتيبك. حلمت أحلاماً كبرى وأنا أجلس على متن القطارات. عشت أكثر لحظات الامتنان والتجلي صفاءً عند المرور عبر الريف الإنكليزي غير المحدود، أحدق خارجاً إلى حقول اللفت الذهبية، وأفكر في ما أتركه خلفي أو في ما يقترب.

صعدت عام 2008 على متن قطارٍ في بادينغتون، وكان ذلك ما غير حياتي إلى الأبد، لكن ليس بالطريقة التي توقعتها. لم يكن الأمر على الإطلاق كما في أفلام Before Sunrise أو Some Like It Hot أو Murder on the Orient Express. لم أقع في الحب، ولم أقم بالأداء الشبق والثمل على أنغام الأُكلال كما في أغنية Runnin’ Wild، كما لم أجد نفسي متورطة في جريمة غامضة. بدلاً من ذلك بدأت سلسلة من الأحداث ستمتد ببطء خلال السنوات الخمس التالية حتى تصبح أخيراً القصة الأكثر إحباطاً التي لم أستطع فيها أن أفعل شيئاً سوى إفساد ما بدأته. في المجمل قصة رحلة القطار التي غيرت حياتي فعلياً لم تكد تتضمنني.

كان أبرد شتاء أذكره (على الأرجح بسبب ولعي بارتداء فستان bodycon في تلك الفترة)، وبينما كنت على متن القطار الأخير المتجه من لندن عائدة إلى جامعة إكسيتر في ليلة الأحد، بدأت تثلج. توقف القطار تماماً خارج بريستول، وفيما كان المسافرون يتذمرون ويتنهدون ويتجولون محبطين، وجدت ذلك رومانسياً جداً. اشتريت زجاجة نبيذ أحمر رخيص من عربة المقصف الغربية الكبيرة الأولى وعدت إلى مقعدي لأحدق خارجاً في الريف الصامت الداكن الذي كان متجمداً تماماً تحت غطاء من الثلج السميك يلفه كطبقة السكر على كعكة الميلاد.

في المقعد المقابل لي، كان هناك فتى من عمري تقريباً مع أجمل وجه رأيته في حياتي. وكان يحاول أن يلتقط نظرتي وأنا أحدق خارج النافذة أحلم برجل على متن قطار معطل يحاول أن يلتقط

نظرتي. أخيراً التقت عيوننا، فقدم نفسه أنه هكتور وسأل هل بإمكانه أن ينضم إليّ لنشرب معاً.

كان لديه نوع من الثقة الغريبة الثابتة، مؤكّدٌ أنها نتيجة للدراسة في مدرسة عمومية. إنها ثقة تتأتّى من كونه تسلّم سترة بشعار قديم وهو في الثالثة عشرة، سترة ملونة لمجموعة مدرسية ولقب بليد، يمكن تذكرهما في أغنية حتى بعد خمس زجاجات من الشراب. إنها الثقة التي تتراكم من النقاش في قضايا المجتمع بعمر الثالثة عشرة، ثم تجد طريقها في النهاية إلى قمة الحكومة: النوع الذي يجعلك تظن أنه يملك الحق ليكون هناك وأن لديه أشياء ليقولها. لحسن الحظ، تمكن هكتور من الحصول على مثل هذا التكبر لأنه امتلك صفات ملاك: عيون زرقاء براقة مع قزحية كالعنبر، وأنف معقوف كفتى في إعلان صابون من الخمسينيات. كان شعره أجعد خفيف يشبه هيو غرانت إلى جانب صوت مثير وجذاب ولعوب. تحدثنا لساعتين بينما لا يزال القطار واقفاً، ضحكنا وشربنا وتناولنا فطائر اللحم التي كانت أمي قد أرسلتها معي.

الآن، أعرف ما تفكرون فيه: هل يمكن أن تكون هذه المصادفة أن تكون أكثر عذوبة؟ حسناً، ذلك ما دار في دماغي الذي كان بعمر التاسعة عشرة أيضاً. لذا، بوحيٍ من الأفلام الرومانسية التي كانت تعرض على التلفاز الأرضي ليلة الأحد، قررت أنها ستكون فعلاً مصادفة إذا لم نتبادل الأرقام وأملنا أن نعود للاجتماع مرة ثانية بالمصادفة. ذهب بعيداً، وتركني في الليل البارد في محطة بريستول، مع مادة كافية لأكتب مدونة "مغامرات عازبة" مغفلة متسكعة بثلاثة أفكار على الأقل.

بعد سنتين من ذلك، وبعد بضعة أشهر من انفصالي، أنا وهاري، كنت أقف عند البار في حانة في شارع بورتبلو عندما دخل. رغم أنه كبر عامين فإن وجهه الملائكي أصبح ساخراً وجذاباً عندما ترافق مع بزة للناضجين ومعطف وشعر أنعم نوعاً ما.

"من بين الحانات كلها في العالم"، قال وهو يقترب مني ويقبلني على الخدين. وكرر التاريخ نفسه. أمضينا الليل نتناول نبيذاً أحمر رخيصاً بينما يتساقط الثلج في الخارج. مع وصول آخر الطلبات، كنا محتجزين من جديد؛ كان الثلج كثيفاً جداً ولن أتمكن من ركوب الحافلة إلى المنزل، وكنت ثملة جداً وعاجزة عن استجماع طاقتي. لهوت كثيراً حتى صرت غير قادرة على الخوض في الثلج وأنا أرتدي زوج الحذاء ذي الكعب العالي الرخيص المهتز. رماني فوق كتفه مثل بساط فارسي وعدنا إلى شقته.

بحلول الرابعة صباحاً، كنا لا نزال مستيقظين، مستلقيين عاريين على أرض غرفته، ندخن دون توقف American spirits وننفض الرماد ضمن فنجان موضوع بتوازن على معدتي. أخذ قلم الكحل من حقيبة يدي، وكتب سطراً من قصيدة تيد هيوز على جداره (عيناها ما أرادتا تفويت شيء/

نظراتها كانت تسمّر يديه، معصميه، مرفقيه). علقت الكلمات، اختفت وتلطخت في الكحل قرب عدد من الرسوم المرسومة بالفحم لامرأة عارية ("أنا رسمتها. إنها حبيبتي السابقة"، تفاخر وأنا أستلقي عارية كأنني مشروعه الحالي. أحدق في جداره المليء بأعمال فنية لمعاشرات مرت. "فتاة جميلة، المخجل أنها كانت متزوجة"). قرب سريره كان هناك كتاب بغلاف جلدي أسود مع ثلاث كلمات منقوشة على مقدمته: الشقراوات، السمراوات، الحمراوات. يجب الاعتراف: ربما يكون عاهراً، لكنه بالتأكيد عاهر خيالي.

كان هكتور فاسقاً، محتالاً، هزلياً، مؤذياً، صبيانياً، وضيعاً، يحمل الصفات كلها التي يمكنك أن تستخدمها لوصف رجل في مسرحية لنويل كوارد[39]. لم ألتقِ أبداً شخصاً مثله من قبل. كل شيء يخصه كان عتيقاً: عائلته لديها ألقاب، ارتدى معطفاً من فرو الذئب يصل طوله إلى الأرض أتاه من روسيا التي ينتمي إليها جده، قمصانه كانت تحمل شعارات من مدرسة داخلية. كل شيء في غرفته كان مفرط الاستعمال أو مستعاراً. حتى مهنته كانت مستعارة، فمديره في العمل هو الحبيب السابق لأمه التي كانت قبل عضواً بارزاً في المجتمع، وهو من أعطى هذا العمل لهذا الخريج الكارثي في المدينة تعبيراً عن حبه لها.

39 كاتب مسرحي بريطاني وممثل ومؤلف موسيقي.

اعتدت أن أترك هكتور في الصباح وأتساءل ماذا كان يفعل في العمل ووسطه ينتفض بثيابي الداخلية التي يلبسها تحت سرواله الواسع، ويرسل إليّ طوال اليوم رسائل إلكترونية إباحية من حسابه في العمل.

كانت علاقتنا ليلية بالكامل لأنه كان كائناً ليلياً بالكامل، مثل وحش الليل الأسطوري، مثل الذئب الجوال الذي سلخ جلده ليصنع معطفه من فروه. خرجنا وثملنا في حانات مظلمة. كانت مواعيدنا تبدأ عند منتصف الليل. في إحدى المرات، عدت إلى منزله عارية تحت المعطف. كنت في الحادية والعشرين وأعيش كبطلة خارجة من رواية لجاكي كولينز، أو كمن تلعب دور البطولة مقابل شخصية *Just William*[40].

40 مجموعة قصص قصيرة للأطفال بقلم ريتشمال كرومبتون، تتحدث عن الفتى الشاب ويليام براون.

لم يلتقِ صديقاتي ولم ألتقِ أصدقاءه أبداً. الأمر الذي ناسب كلينا. لم أعرف حتى أن لديه شريكاً في السكن حتى تعثرت وأنا ثملة في المطبخ صباح أحد الأيام عند السادسة، عارية تماماً، فدفعت الباب وأضأت النور لأفاجأ برجل، يدعى سكوت، جالس ببزّته يتناول فطوره ويقرأ الصحيفة قبل

الذهاب إلى العمل. وجد هكتور الأمر مسلياً، بل أكثر من مسلٍّ، وجد إثارة كبيرة في فكرة أن يراني شريكه في السكن عارية تماماً. وتشاجرنا لأول مرة.

بعد أيام، كنت أعد البيض المقلي في مطبخه عندما عاد سكوت للظهور بثيابه. ابتسم لي معتذراً.

"مرحباً"، قال مع إيماءة مربكة.

"مرحباً"، أجبت، "أنا آسفة جداً بشأن ذاك الصباح. لم يخبرني هكتور أنه ثمّة أحد في المنزل. غضبت جداً منه".

"لا بأس. الأمر عادي".

"ليس عادياً، إنه شنيع، أنا آسفة جداً"، قلت، "آخر شيء تريد أن تراه قبل أن تذهب إلى العمل".

"كانت... أ... مفاجأة لطيفة"، قال. قدمت إليه بعض البيض والخبز كعلامة سلام.

جلسنا وأجرينا حديثاً مؤدباً. قادنا إلى موضوع المواعدة، هل كان يقابل أحداً؟ لا، هل لديّ صديقات عازبات لطيفات يمكن أن يواعدهن؟ نعم، كان لدي صديقة رائعة، أفضل صديقاتي، فارلي.

"لكنها بالتأكيد لا تبحث عن علاقة في هذه اللحظة؛ إنها سعيدة كونها عازبة، ولذا قد يكون الأمر أكثر من علاقة عابرة"، حذرته.

"يبدو ذلك رائعاً".

"عظيم! سأعطيك رقمها. وهذا أقل ما يمكنني فعله". سجلت رقمها في هاتفه. لم لا؟ إنه يبدو شاباً لطيفاً، جذاباً، مهذباً، على الأرجح إنها ستعجب بعلاقة مؤقتة معه.

ذكرت ذلك لفارلي في حديث عابر ولم أعد إليه مرة ثانية.

ربّما من المهم التوقف هنا لأقدم تفسيراً صغيراً كي تفهموا لماذا أنا أنثى بيضاء عازبة لبقية هذه القصة.

لم نصبح، أنا وفارلي، صديقتين فوراً. لقد قضت عامها الأول في المدرسة مرتبطة بمجموعة من الأميرات القويات كن مجموعة من فئة فتيات ضواحي لندن الشمالية اللواتي حكمن المدرسة. كان لديهن شعر أشقر ومجوهرات تيفاني وحكايات عن برادي[41]، وكن يذهبن إلى نادٍ اجتماعي ورياضي للمراهقين اليهود في إدجوار، وإلى ملهى The Chinawhite في الضواحي. أما أنا، فارتديت الكثير من الثياب السوداء في عطلات نهايات الأسبوع، وقضيت الوقت في المدرسة أبتكر المسرحيات في قسم الدراما محاولة تصوير حادثة تحطم طائرة باستخدام كتلة خشبية فقط. لكننا كنا

نجتمع في صفوف دراسة الفرنسية والرياضيات واكتشفنا في الحال أننا نملك إحساساً مشتركاً بالمرح والشغف بـ"The Sound of Music"[42] ومرطّب الشفاه بنكهة البطيخ.

41 لاعب كرة قدم أميركية.

42 [صوت الموسيقا] فيلم موسيقي أميركي مبني على مسرحية غنائية تحمل الاسم نفسه.

بدأت صداقتنا بعد أشهر من جلوسنا متجاورتين أثناء الدروس. دعوتها إلى منزلي أولاً وأعدت أمي الدجاج المشوي. فعل أبي ذاك الشيء الذي يفعله مع صديقاتي كلهن عندما يتمسك بحقيقة تتعلق بهن ليكتشف أمراً محدداً يذكره في كل جملة أخرى. مع فارلي لم يكن هذا الأمر إلا تعليقاً على اليهود أو اليهودية، الأمر الذي استمر يفعله نحو عشر سنوات فيقول أشياء مثل: "هل علمت أن السير آلان شوغر قلص حجم Amstrad[43]؟ هذا عار كبير"، أو "رأيت أخيراً إعلاناً لتخفيضات على بطاقات الطيران إلى تل أبيب. لا بد أنها جميلة؛ الطقس هناك دافئ في هذا الوقت". لكن بعد بداية بطيئة أصبحنا متلازمتين. قضينا كل لحظة استطعناها معاً في المدرسة، وعندما كنا نعود إلى المنزل كنا نلتهم وجبة العشاء ثم ندعو بعضنا بعضاً للخروج بحجة أعمال نسيناها أو لنغطي لقاءاتنا المختلفة أثناء اليوم. كانت هذه التقاليد متأصلة جداً ولذلك ما زلت حتى الآن أستطيع تذكّر رقم هاتف والدة فارلي الأرضي بين عامي 2000–2006 أسرع مما أستطيع تذكر رقم بطاقة ائتماني.

43 شركة بريطانية لإنتاج الحواسيب والبرامج الإلكترونية.

كرهت المدرسة وكنت غالباً أقع في المشكلات. كنت في الثانية عشرة عندما عدت إلى درس الجغرافيا بعد خلاف ونزاع مع معاونة المدير وصل إلى الاحتجاز. المدرّسة لم تكن تحبني أبداً. طلبت منا أن نخرج دفتر وظائفنا، وكنت قد نسيت إحضاره، كما فعلتُ مع كل شيء عندما كنت طفلة. كنتُ كارثة. كل عام في حفلة عيد الميلاد كنت أحصل على كيس قمامة كـ"جائزة دولّي ألدرتون لغياب التنظيم". الطالبة المختارة كان عليها أن تجري حول المدرسة وتلتقط كلّ أشيائها التي تركتها خلفها. كرهت هذا.

"أين دفتر الوظائف؟" سألت المدرّسة وهي تنحني على مقعدي، كان نفسها حامضاً مفعماً برائحة القهوة والدخان.

"نسيته"، تمتمت.

"أوه، هناك مفاجأة"، قالت وهي ترفع صوتها كأنها تلقي تصريحاً عاماً بينما تدور في الصف، "نسيته، هل هناك يوم في حياتك لم تنسِ فيه شيئاً ما؟ إنه دفتر، دفتر واحد، ليس صعباً. رمت ممحاة السبورة فوق مكتبها".

احمر وجهي وشعرت بالغثيان يتصاعد إلى حنجرتي نتيجة الدموع الحارة. ضغطت فارلي على يدي ضغطتين سريعتين قويتين من تحت المقعد. فهمت ذلك. كانت رسالة صامتة عبر شِفرة مورس[44] تقول: أنا هنا، أحبك. أدركت في تلك اللحظة أن كل شيء تغير: عبرنا، واختارت كل منا الأخرى. كنا عائلة.

44 شِفرة حرفية لإرسال المعلومات التلغرافية باستخدام تتابعات قياسية من عناصر طويلة وقصيرة تعبر عن الحروف والأرقام والعلامات الخاصة الموجودة في الرسالة.

كنا، أنا وفارلي، قريبتين من بعضنا في كل يوم من حياتنا. ملتصقتان في كل عشاء عائلي، وكل عطلة، وكل حفلة. أرجّح أننا لم نتشاجر أبداً ما لم نثمل حتى النهاية في ليلة قضيناها خارجاً. لم نكذب أبداً على بعضنا. لأكثر من خمسة عشر عاماً، لم أقضِ سوى بضع ساعات دون أن أفكر فيها. أنا أشعر فقط أنها هناك، نصيرتي، والعكس بالعكس. من دون حب فارلي أنا مجرد مجموعة أفكار منهكة وغير منتهية، من دم وعضلات وجلد وعظام وأحلام غير قابلة للتحقق ومخزون من شِعر مراهقةٍ سخيف تحت سريري. تأخذ فوضاي شكلاً صحيحاً فقط مع الجزء المألوف والمفضل من حياتي وهي تقف قربي.

نعرف أسماء أجدادنا كلها وألعاب طفولتنا ونعرف الكلمات الدقيقة التي عندما توضع في ترتيب محدد ستجعل الآخر يضحك أو يبكي أو يصرخ. ليس هناك حصوة على شاطئ تاريخي لم نقلبها. تعرف أين تجد كل شيء فيّ وأعرف أين أجد أشياءها كلها أيضاً. هي باختصار صديقتي المفضلة.

عيد الحب 2010 هو اليوم الذي اختاره سكوت وفارلي لموعدهما الأول. من يفعل هذا؟ لا أعرف حتى لماذا يهتمون بالتاريخ! كان لدي انطباع بأنّ تناول الشراب أمرٌ شكليّ وأنّ ما يخططان له حقاً هو ترتيب لقاء لإقامة علاقة ليلة واحدة.

"أعرف أن هذا يبدو غريباً"، شرحت لي فارلي، "لكننا كنا نتبادل الرسائل لمدة وهذا هو اليوم الوحيد الذي يمكننا أن نلتقي فيه".

"أين ستذهبان؟"

"لا أعرف. سيأتي لاصطحابي من العمل. يقول إن هناك مكاناً لطيفاً في نوتينغ هيل للعشاء".

"عشاء؟" جأرت، "لماذا تخرجين إلى عشاء لعين؟ أظن أنها مجرد دعوة لمعاشرة".

"حسناً، لا يمكنني الذهاب إلى منزله مباشرة فقط. دول، عليّ على الأقل أن أتحدث إليه أولاً".

"نعم، لكن لماذا العشاء، إنه لا يبدو كأننا... في الأربعين. لماذا هدر المال. أيضاً، لماذا عيد الحب؟"

"أخبرتك، وإلا سيكون علينا أن ننتظر عمراً، كلانا مشغول جداً".

"كلانا مشغول جداً"، قلّدتها، "أنت تتصرفين كما لو كنتما متزوجين".

"أوه، اخرسي".

"ألا تظنين أنه سيكون غريباً عندما يذهب إليك في العمل رجل لم تلتقه أبداً ويأخذك لتناول العشاء في عيد الحب بين مجموعة من الأزواج؟ ألا تظنين أن الأمر سيفسد حكمك في ما إذا كنت تحبينه فعلاً أو لا؟"

"لا، سيكون الأمر عفوياً جداً".

جرى العشاء على نحو جيد ولم يكن عفوياً على الإطلاق. اصطحب سكوت فارلي من متجر Harrods حيث كانت تعمل في قسم المجوهرات. تحت المطر (مطر المسيح، لتجميل الموقف) ركبا سيارة أجرة إلى نوتينغ هيل. ذهبا إلى مطعم، وحصلت فارلي على أفضل موعد في حياتها. عرفت أنه كان الأفضل لأنها لم تثرثر عنه كعادتها. عندما سألتها عن سكوت، كانت خجولة، حتى أنها بدت كالبالغين.

كان ذلك النضج المغيظ لتودد سكوت وفارلي هو ما جعلني أدرك أي مزحة أصبحت علاقتي مع هكتور. تفاقمت صفات هكتور السيئة كأنانيته وحمقه وجموحه. كان مفجعاً جداً ولم يعد أسلوبه الفكاهي مسلياً أبداً. لم أكن أريد أن أشرب زجاجة من النبيذ الأبيض على الفطور، أو أن أضربه على رأسه بالحذاء الخفيف في لعبةِ قتالٍ، أو التظاهر بأنني جنية شقية كجزء من رواياته المعقدة جداً في تخيلاته الجنسية. ثمل مرتين في غضون أسبوع، وأغمي عليه واحتجزني خارج منزله تحت المطر طوال الليل. وثقة الفتى التي كان يحسد عليها أصبحت مخلوطة بأمر آخر: الحاجة إلى مراقبة، ولم يكن ذلك العمل المناسب لي.

"أرجوك، دولّي"، توسلت فارلي إليّ في ليلة كنا نسهر فيها خارجاً، "أرجوك، التقيه مرة واحدة بعد، أرجوك".

"لا"، قلت بحزم، "أنا لم أعد معجبة به".

"أوه، لكن أنا وسكوت لم نصل إلى وضع يمكنني فيه أن أذهب إلى شقته، سأبدو كمن تلاحقه".

"لم يزعجك هذا من قبل" (أعطت فارلي في إحدى المرات رجلاً 20 جنيهاً من أجل بطاقة هاتف وجعلته يعدها أنه سوف يراسلها، ولم يفعل أبداً).

"نعم، لكن أريد أن أكون عفوية معه"، قالت بجدية، "أنا أتعامل معه بعفوية، هذا شيء لطيف فعلاً. أرجوك أرسلي رسالة إلى هكتور. يمكننا أن نذهب معاً. لن يكون هذا صعباً".

''فكرت في هذا، هيا، سأفعل هذا من أجلك''.

فلتذهب إلى الجحيم، أقنعتني.

أرسلت رسالة إلى هكتور وقلت إنني قادمة برفقة فارلي. وصلنا إلى نوتينغ هيل في حافلة الليل.

كما هو متوقع، بعدما تناولنا العشاء نحن الأربعة في غرفة معيشتهم، استمر هكتور في حديثه المزعج عن تاريخ مشابك حلمتيه بصوته الغاضب الثمل مثل نايجل هافيرز بينما لفت فارلي خصل شعرها، وأعطت ابتسامات خجولة لسكوت. خرج كلاهما. قادني هكتور إلى غرفته في الأعلى لأنه أراد أن ''يريني شيئاً ما''. كان قد أصبح حنوناً ومحتاجاً على غير عادته. وهي الطريقة التي يتصرف بها الرجال عادة حين يدركون أنك تحافظين على مسافة منهم (لم أجبه على رسائله الإلكترونية الإباحية الفكاهية في غضون أسبوعين). جلست على سريره وشربت نبيذاً أبيض دافئاً مباشرة من الزجاجة.

''ما هو؟'' سألت بحزم. التقط غيتاراً. أوه لا، ليس هذا، أي شيء إلا هذا. غرفة النوم التي أمضيت شهوراً أحلم أن أكون فيها أصبحت بسرعة كهفاً لكوابيسي الشخصية. رأيت فجأة الفوضى البوهيمية فيها: الجوارب القذرة فوق الأرض، رائحة العفن والتخمر الخفيفة كأنها جناح كريكيت في يوم ماطر، اللحاف ذا الثقوب المحترقة من التدخين المتواصل بلا وعي. تحولت رسوم الفحم الجميلة للمرأة العارية إلى تماثيل معروفة قبيحة تحدق فيّ. لتهمس لي، كان لا بد لنا أن نمر بهذا، والآن أنت تفعلين ذلك.

''هناك شيء أريدك أن تسمعيه''، تمتم وهو يضرب بعنف على وترين من غيتاره، ويبدأ محاولة العزف.

''أوه، يا إلهي... نحن جيدون هكذا، لا داعي ذلك''.

''دولّي ألدرتون''، أعلن كأنه كان في حفل مفتوح، ''أنا مغرم، كتبت هذه الأغنية من أجلك''. بدأ يعزف نمط الأوتار الثلاثة الذي عزفه لي مراراً وتكراراً من قبل.

''رأيتها على متن قطار''، غنى بصوت أشبه بنعيب غراب أميركي.

''لن تعود الحياة هي نفسها، بعد الليلة الأولى التي قضيناها...''.

''هكتور''، قلت بتجهم وأنا أشعر بتأثير النبيذ يضربني بقوة، ''ربّما يجب أن نكفّ عن رؤية بعضنا بعضاً''.

غادرت مع فارلي باكراً في الصباح التالي وكان ذلك كلّ شيء. لم أره أبداً بعد ذلك. فارلي وسكوت أكدتا أنني كسرت قلبه وبصراحة، ويبدو أن حقيبة يد Mulberry Bayswater لضيفة

ليلية لم تظهر على طاولة المطبخ لثلاثة أسابيع على الأقل بعد تلك الليلة.

(هامش: هكتور الآن مقاول ناجح جداً. تزوج ممثلة من هوليوود. اكتشفت ذلك من مقالة في Mail Online بينما كنت أجلس بثياب النوم أتناول حلوى الشوكولا بوش دو نويل وحدي؛ تخيلوا).

أشياء أخاف منها

– الموت
– موت الناس الذين أحبهم
– موت الناس الذين أكرههم لأنني أشعر بالذنب تجاه اللحظات التي قلت فيها عنهم أشياء سيئة
– رجال ثملون في الشارع يقولون لي إنني طويلة
– رجال ثملون في الشارع يقولون لي إنني سمينة
– رجال ثملون في الشارع يقولون لي إنني مثيرة
– رجال ثملون في الشارع يقولون لي إنني قبيحة
– رجال ثملون في الشارع يدعونني لنشرب نخباً
– رجال ثملون في الشارع يريدون معاشرتي
– أشخاص ثملون يحاولون سرقة قبعتي في الحفلات
– فقدان مجوهرات
– السقوط من النافذة
– قتل طفل عن طريق الخطأ
– ألعاب الكازينو
– الحديث عن تاريخ السياسات الأميركية
– إشعال النيران في كل مكان
– ألّا أفهم آلة الغسيل
– السرطان
– الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي
– العض على العيدان الخشبية
– حوادث تحطم الطائرات
– طعام الطائرات
– العمل في مكتب
– أن أُسأل هل أؤمن بالله (قليلاً)
– أن أسأل هل أؤمن بالأبراج (قليلاً)
– أن أسأل لماذا أؤمن بما سبق
– الاستمرار في السحب من دون رصيد على نحو غير محسوب
– عدم امتلاك كلب أبداً

أن أكون Björn Again[45]

45 مجموعة موسيقية تهكمية أسست عام 1988 في أستراليا وتضم اليوم مجموعات متنقلة وتأخذ اسمها من بيورن ألفيس، عضو فرقة ABBA.

بعد توقفي عن رؤية هكتور، افترضت أن القصة ستكون مسألة وقت قبل أن تفشل علاقة فارلي وسكوت. لقد كنت بمكانة الغِراء الذي جمعهما إلى بعضهما وظننت أنّه لن يكون بينهما إلا القليل من القواسم المشتركة بعدما غادرتُ تلك الكتلة القذرة من شقق نوتينغ هيل. لكنّ فارلي، بعد بضعة أسابيع، أخبرتني أنهما ذاهبان في إجازة قصيرة إلى كامبردج. أخذ دمي يغلي غيرةً، وانتفض جسدي كأنني ابتلعت خلّاً. كنت دوماً وحدي في المشهد من تملك فتىً. الآن هي لديها الحبيب المناسب والأكبر سناً بالفعل. ليس ذاك الذي يرتدي ثيابها الداخلية في العمل، وليس من جعلها ترتدي الجوارب الشبكية الطويلة، أو الذي لا يعرف لقبها حتى، أو الذي يرسل إليها رسالة نصيّة مرة في الأسبوع. لدى فارلي حبيب يمضي معها حين تكون متيقظةً وقتاً أطول ممّا يمضيه حين تكون ثملة، ويصحبها في إجازات قصيرة ويتصل بها عوضاً عن الرسائل نصية. يرغب في محادثات حقيقية معها.

"ماذا يوجد في كامبردج؟" صرخت بمرارة في وجه آج، "ماذا، هل هي إيطاليا الجميلة؟ حسناً حظاً سعيداً. فليستمتعا".

"كيف يبدو؟" سألتْ آج. الحقيقة أنني لم أكن أعرف تقريباً.

"أخبار سيئة"، قلت باتزان، "جدّي كثيراً، وكبير جداً بالنسبة إليها".

بعد ثلاثة أشهر من ذلك اليوم تقريباً أخبرها أنه أحبها. أعلنت ذلك على عشاء مع الصديقات. شربنا نخب ذلك وصرخنا من الفرح. كتبتُ خاطرة حزينة في ملاحظات هاتفي الجوال أثناء عودتي ليلاً إلى البيت في الحافلة.

رغم كرهي لسنواتٍ مراقبةَ فارلي وهي تُعامَل معاملة سيئة من الفتيان المراهقين الأغبياء، كرهت أن يغرّر بها وأن تكون مرفوضة ومهجورة، لكنني تلمّستُ في ذلك شيئاً من الأمان. فطالما لم يلحظها الفتيان بجدّية، هذا يعني أنني لا أزال أمتلكها لنفسي. أمّا وقد وصل رجل بالغ ناضج واهتم بها، فهذا جعلني في حال سيئة تماماً. كيف يمكنه مقاومة الوقوع في حبها؟ كانت جميلة ومرحة، ألطف شخص عرفته. ظلّت لسنوات تقرضني المال كي أخرج من المشكلات وتقلّني عند الثالثة صباحاً في سيارتها حين تتوقف الحافلة التي أعود بها إلى المنزل. كانت فارلي كتلةً من

الصفات التي تخلق الشريك المثالي: فكرتْ في الآخرين أولاً، أصغت، تذكرت الأشياء. تركت لي ملاحظات في صندوق غدائي المعدّ قبل أن أذهب إلى العمل، وأرسلت إليّ البطاقات لتقول فقط كم كانت فخورة بي.

كنت دوماً ألجأ إلى التدخين والمرايا والمبالغة بالتظاهر بالشجاعة والمكياج الكثيف والشرب دون حدود لأجذب اهتمام الفتيان إليّ. لم يكن هناك تمثيل أو كذب مع فارلي، فإن انتهى الأمر بفتى أن يحبها، فهذا يعني أنه أحب كل خلية منها من اللقاء الأول، سواء عرف ذلك أو لم يعرف. كانت سرّي المحفوظ جيداً. الذي أُعلن الآن.

أول مرة تشاجرنا منذ أصبحنا بالغتين كانت في حفل الميلاد في منزل صديقتنا ديانا في السنة التالية. كنت هناك مع ليو. ووصلت هي متأخرة مع سكوت وكان قد مضى شهر على آخر لقاء بيننا. لم أقم بجهد ملحوظ لأحييها وإنما راقبتهما من زاوية عيني. أطلقت ضحكات عالية جداً على أشياء غير مضحكة أبداً لأعرّفها أنني هناك وأنني كنت أحظى بمستويات جيدة من المرح دونها.

عندما جاءت أخيراً كان الحديث متكلفاً ومقتضباً.

"لماذا تتجاهلينني الليلة؟" سألتني أخيراً.

"لماذا تتجاهلينني منذ عام؟" أجبت.

"ما الذي تتحدثين عنه، أرسلت إليك رسالة نصية أمس".

"أوه، نعم، أرسلت رسالة. أنت بارعة في إرسال الرسائل النصية. إرسال الرسائل هو بطاقة خروجك حرة من السجن. لا أراكِ لأشهر وتذهبين إلى سكوت كل ليلة، وعندما يسألك شخص ما عن ذلك يمكنك القول: أوه، لكنني أرسلت إليها رسالة نصية. أرسل إليها رسالة كل يوم".

"هل يمكننا إجراء هذا الحديث في الأعلى؟" همست.

أعدت ملء فنجاني البلاستيكي بفودكا Glen وقليل من الكوكا كولا وصعدنا إلى غرفة نوم ديانا. تابعنا الصراخ في وجه بعضنا بعضاً لساعتين. تحدثنا بدايةً بصوت عالٍ جداً راح يهدأ رويداً رويداً، حتى بلغنا الثمالة أخيراً وبتنا متعبتين، فتصالحنا. أخبرتها أنها هجرتني. ابتكرتُ تشبيهاً معقداً لأقول لها إنني أعي أنها كانت دوماً تَعتبرني كـBjörn Again.

"ماذا يعني ذلك؟" صاحت.

"Björn Again كانوا فرقة الإحماء في حفل Spice Girls الذي حضرناه معاً. كانوا هراءً ولم نتمكن من الانتظار حتى ينتهوا. لقد فهمت، فهمت أنني كنت ألعب دور الإحماء في حياتك لإحدى عشرة سنة. حتى وصل حدثك الرئيسي. حسناً، أنت لم تلعبي دور الإحماء في حياتي أبداً، كنتِ دوماً

فرقة Spice Girls وكم أتمنى لو عرفت ذلك مبكراً، كنت استطعت عندئذ أن أمسحك من الفاتورة وأجعلك rn AgainöBj“.

أخبرتني أنني كنت أتصرف بطريقة ميلودرامية لأنها استطاعت الحصول على حبيبها الأول. قلت إنها تستطيع الحصول على الحبيب الأوّل غير أنني لم أفهم لماذا تبدّيه على كل شيء آخر. نزلنا بوجهين ملطخين كلوحات سكب الألوان عليها جاكسون بولوك مع دلوٍ من الماسكارا. وقف سكوت وليو صامتين خجلين عند أسفل الدرج بعدما كان واضحاً انتهاؤهما من محادثات لطيفة حول كرة القدم والمستجدات. أمسكنا بهما. أخذنا معاطفنا وغادرنا منفصلين. بعد سنوات أخبرتني ديانا أنهم خفّضوا صوت الموسيقا في الطابق السفلي ما سمح لجميع من كانوا في الحفل سماع نقاشنا.

”هو حبيبها“، قال حبيبي، المثقف العقلاني، بغضب أثناء سيرنا عائدين إلى شقته في ستوكويل ونحن نشرب الجعة خلال الطريق الطويل. ”إنهما يحبان بعضهما، لقد تغيّرت. هذا جيد، جزءٌ من النضج“.

”أنت حبيبي“، قلت، ”أنا في علاقة حب، لم أتغير. ما زالت هي الشخص الأكثر أهمية في حياتي. ما زالت هي الشخص الذي أرغب في رؤيته أكثر من الجميع. لم أدع علاقتي تصبح أولوية“. أخذ جرعة من علبة الجعة خاصته.

”حسناً، ربما ذلك ليس عادياً“، أجاب.

بعد سنتين أمضيناهما معاً انفصلنا، أنا وليو. بذلت جهدي لإنجاح الأمر، لكن أشياء كثيرة تغيرت منذ التقينا كطالبين يتجولان في حفل منزلي في Elephant and Castle. كلانا كبر، وتحولنا إلى أشخاص مختلفين جداً.

بقيت تسعة أشهر طويلة، بعد أن أنهيت تدريبي الصحافي، أنتقل من مجلة إلى صحيفة لملء مكان شاغر دون أجر بحجة أنني أكتسب خبرة. كنت قد رُفضت كمتدربة في *Tatler*، وكمساعدة تحرير في مجلة *Weight Watchers* ونادلة في مطعم بيتزا محلي. عدت إلى عملي القديم فتاة إعلانات لأدعم نفسي. كنت أسير في طريق برومبتون القديم مع مجموعة من الراقصات من الطرف الغربي ومضيفات طيران متعطلات عن العمل نوزع نشرات لمطعم يقدم الأطعمة المشوية. تركت العمل في اليوم الذي جعلوني أرتدي فيه ثياباً أبدو فيها خنزيراً وهاجمنا متظاهرون للدفاع عن حقوق الحيوان أمام هارودز.

كنت محتاجة جداً إلى عمل، وكان هذا ما يشغلني منذ أستيقظ وحتى أنام في غرفة نوم طفولتي. تقت إلى العمل في بداية عشريناتي باللهفة نفسها التي كانت لدي في مراهقتي للحصول على الحبيب

الأوّل. صار لديّ هوس بسؤال كل من أعرفهم عن آلية حصولهم على عمل. كنت أستلقي في السرير ليلة بعد أخرى أتساءل كيف يمكن أن تمضي الكثير من السنوات على هذا النحو. أخيراً، في بداية أحد المساءات، وبينما أقف على منصة قطار جاءتني مكالمة من رقم غير معروف. كان تيم، منتج منفّذ يتصل بي من أجل تنظيم جديد لعرض تلفزيون الواقع Made in Chelsea في شبكة القنوات التلفزيونية E4. كنت قد كتبت مراجعات عبر الإنترنت لحلقات السلسلة الأولى (Again، This time it worked ،grad Currency of exposure–Paid in the Post) وقد قرأت شركة الإنتاج ما كتبته ووجدته ممتعاً. طلب إليّ تيم أن أحضر إلى مكتبهم شرق لندن للتحدث عن عمل إبداعي محتمل حول هذا العرض.

أجرى المقابلة معي كل من تيم وديلي التي كانت تقريباً في الثلاثين، صغيرة، بوجه بشوش، حائزة جائزة BAFTA لأفضل منتج منفذ. أوضحا لي أنهما اطلعا على مراجعتي للحلقة الأخيرة التي تضمنت بعض النصائح الهزلية لمنتجي العرض لجعل السلسلة التالية أفضل. كان صاحب الشركة دان، الذي اشتهر في التسعينيات بصفته منتجاً ومقدماً مشاركاً لبرنامج دردشة ناجح جداً آخر الليل، بحث عن كل مراجعة على الإنترنت وعندما وجد مراجعتي طبع منها نسخاً وزعها على جميع المنتجين الذين قرؤوها وهم في طريقهم إلى اجتماع مع القناة. المفاجئ أنهم وافقوا على كل ما جاء فيها.

غادرت مقابلتي الأولى، التي استمرت نصف ساعة مع ديلي وتيم، مرتاحة حول حقيقة أنني ربّما لن أسمع أصواتهم ثانية. لم أستطع تخمين ما الذي كانا يبحثان عنه. لقد أمضينا معظم اللقاء نشرح عادات الناس الأثرياء ونحلل شخصيات فريق العمل. لم نتحدث فعلاً عن صفاتي أو تاريخ عملي أو متطلبات العمل على الإطلاق. القليل الذي أعرفه هو أن التحليل النفسي الدقيق يمثّل 90% من صناعة تلفزيون واقع ناجح، وسنوات مراقبتي لعادات الناس الأثرياء وهم يعبّرون عن مشاعرهم خارج نواديهم، والوقوف في متاجر الحلويات في مدرسة داخلية وفي أماكن التدخين في نوادي شارع كينغ، كلّ ذلك سيجعلني لمرة واحدة مناسبة لعمل.

تلقيت مكالمة ثانية من منتج السلسلة بعد ثلاثة أيام بينما كنت في احتفال موسيقي مع ليو. كنا قد أصبحنا رموزاً للألق الرسمي لحفلة تخييمنا، وهو دور لعبناه بثقة. أتى فتى يحمل هاتفي بعد أن أزعجه رنينه المتكرر الآتي من خيمتي وظنّ أن فرقة كرافت فيرك يحضّرون مفاجأة. كانت ديلي المتصل. أخبرتني أنني حصلت على العمل منتجةً منفذة للعرض وأنه عليّ الحضور إلى اجتماعي الأول في اليوم التالي.

ذهبت إلى المكتب من الحفل مباشرة، وأنا لم أستحم منذ أربعة أيام، وأنفي محروق من الشمس، وشعري الأشقر حدّ البياض مشعّث ومتلبّد بتسريحة موهوك. انتظرني ليو في غرفة الاستقبال مع خيمتنا وحقائب ظهرنا بينما توجّهت إلى اجتماعي في الطابق الأول. كانت قد نفدت مني الملابس النظيفة ولذا ارتديت قميص ليو الكبير كثوب مع سترته القماشية، مع جوارب ممزقة وزوج من أحذية رقص الباليه. كان الزيّ ملائماً للوداع: علامة على آخر أيامي كطفلة ويومي الأول كناضجة.

أحببت الإبداع في عملي الجديد بمتعته وقسوته، وأحببت زملائي ورؤسائي بعنفوان، تقريباً مثلما أحببت ليو. فعندما لا أكون في المكتب أو الموقع، كنت أتدرب على عمل الصحافة المستقل، ولذا كتبت في الأمسيات وعطلات نهايات الأسبوع، دون أن أفسح لنفسي القليل من الوقت لأي شيء آخر، الأمر الذي أحبط ليو كثيراً، إذ شعر بالغش بعض الشيء؛ لقد وقع في حب فتاة دون جذور ولم تكن تريد سوى حزم حقيبة من الأحذية الخفيفة وسراويل الجينز والذهاب في مغامرة يأخذها إليها، فتاة طرّزت حروف اسمه الأولى على ستراته وأمضت معه حفلاً كاملاً حبيسة في الحمام، جالسة في حوض الاستحمام الفارغ تحدق في وجهه بعيون كالأطباق. وكل هذا انتهى مع بلوغها هويتها الخاصة وانشغالها بعملها.

شعرت أن علاقتنا أصبحت واحدة من أغنى التجارب في حياتي وعرفت أنها ستكون دوماً جزءاً كبيراً من الكائن الذي أصبحت عليه. عرفت أن كلينا نما في الآخر، عرفت أنني يجب أن أتركه يذهب ليتمكن من العثور على نفسه مع شخص يريد فعلاً أن يكون في علاقة بكلّ ما تتطلبه من حب والتزام يستحقهما.

أخيراً انتقلنا، أنا وفارلي وآج، تاركاتٍ منازل آبائنا في الضواحي إلى منزلنا الأول في لندن. آج أيضاً أصبحت عازبة منذ مدة قصيرة، بينما فارلي لا تزال مع سكوت.

جزء مني كان يأمل أن تدرك فارلي، بالعيش مع امرأتين عازبتين، ما الذي تفتقده في العشرينات من عمرها، وأنها سوف تنفصل عن سكوت. لكن الأمر كان مختلفاً، إذ إنّها بالعيش معنا باتت تقدّره أكثر. راقبتني مرة وأنا متعجّلة في الاستعداد لموعد أول، أشذّب بعض الرموش الاصطناعية الجديدة وألصقها، ثم أصرخ بيأس مدركةً أنني استخدمت مقص المطبخ الذي قطّعت به الفلفل الحار فوق قطعة بيتزا في الليلة السابقة. عثرتْ فارلي على كيس من البطاطا المجمّدة على شكل وجه مبتسم فرفعته في عيني وأنا أرسل رسالة نصية لألغي الموعد. "يا إلهي، ليس هذا ما ينقصني"، قلتُ، فتنهّدتْ.

بينما كان سكوت في رحلة عمل بعيدة، خرجنا، أنا وآج وفارلي، في إحدى الليالي للرقص في حانتنا المفضلة في كامدن. ثم عدنا إلى المنزل وفتحنا زجاجة Tia Maria منتهية الصلاحية وتحوّلت الأمور إلى جلسة اعتراف كما يحدث غالباً بعد ليلة تمضيها في الخارج.

"أشتاق لسكوت"، قالت فارلي بعد أن رشفت آخر رشفة من كأسها.

"لماذا؟" صحت. نظرت آج إليّ فاستدركتُ: "أقصد... هو بعيد لبضعة أيام فقط".

"أعرف، لكنني ما زلت أشتاق إليه عندما يذهب. حتى عندما يذهب إلى المتجر القريب ويعود أنتظر سماع الباب يفتح من جديد"، رأت عبوسي، "أعرف أن هذا يبدو غباءً، لكنه حقيقة".

"أظنها تحبه حقاً"، قلت في اليوم التالي.

"طبعاً تحبه"، قالت آج وهي تستلقي على الأريكة تقضم شطيرة لحم الخنزير، "لماذا في رأيك هما معاً منذ ثلاث سنوات؟"

"لا أعرف، ظننتها تريد اختبار معنى أن يكون لديها حبيب".

هزت آج رأسها غير مصدقة: "هيا، صديقتي".

بعد أن أدركت هذا أخيراً بدأت ألحظ علامات صغيرة في كل مكان. التقى والدا سكوت بوالدي فارلي. قضت فارلي المزيد والمزيد من عطلات نهاية الأسبوع مع أصدقائه الناضجين. فعلت أشياء ناضجة مثل قضاء عطلة نهاية الأسبوع للاحتفال بعيد الميلاد الثلاثين لأحدهم في كوتسوولدز وتذوق النبيذ في ليالي الأسبوع. كان سكوت موجوداً في كل مكان، الأمر الذي كرهته، وكرهت ذلك أيضاً عندما لم يكن هناك. لا يستطيع أن يربح. لم أرده أن يربح.

أكثر الأشياء المزعجة التي يقولها الناس

– "لن أطلب مقبلات، وأنت؟"
– "أنا أكثر من مجرد فتاة لأحدهم"
– "أنا بائع بالفطرة"
– "أنا مرتبط!"
– "أنت دوماً تتأخر"
– "كنت ثملة تماماً الليلة الماضية"
– "أخبرتني هذه القصة من قبل"
– "هو يقول إنه كذلك"
– "إنها جميلة جداً"
– "أظن أنك بحاجة إلى كوب ماء"
– "أنا لدي وسواس قهري تماماً"
– "علاقتنا معقدة جداً"
– "هل ترغبين في التوقيع على بطاقة عيد ميلاد أليسون؟"
– "دعونا نذهب بطريقة جماعية"
– "دعونا نلحق بالركب"
– "هل تمانع؟"
– "مارلين مونرو كانت بقياس 16"
– "عليك أن تدفع في موعدك التالي مع طبيب أسنانك"
– "متى كانت آخر مرة قمت فيها بنسخ احتياطي؟"
– "كيف تجدين الوقت لكتابة كل هذه التغريدات؟"
– "آسف، كان هذا غباءً"
– "أفكر في قضاء إجازة في الخارج"

الفتيات الفريدات في كامدن الفريدة

عندما كنت في الرابعة والعشرين، في السنة الأولى لسكني في لندن مع فارلي وآج، خرجت لتناول الشراب مع صديقة لي ليلة الثلاثاء بعد العمل. رغم محاولاتي لإبقائها خارجاً حتى الفجر، كان عليها أن تعود في الثامنة والنصف بسبب اجتماع مبكر في الصباح التالي. أرسلت رسالة نصية إلى كل من وجدت اسمه في هاتفي وأعرف أنه ربما يكون قريباً ويريد أن يكمل الليلة معي، لكن الجميع كان مشغولاً أو نائماً أو متعباً. قررت متجهّمةً العودة إلى المنزل فركبت الحافلة 24 – حصاني الوفي الذي يقلني من أي نقطة وسط لندن إلى باب بيتي في غضون عشرين دقيقة تماماً – وشعرت بالقلق والإحباط لعجزي عن البقاء خارجاً أكثر من ساعة واحدة مع أكثر من كأس نبيذ. هو شعور كبرت عليه: أن أكون مضطربة ومختنقة وأشعر أن الجميع في لندن، باستثنائي، يقضون وقتاً ممتعاً، وأنه ثمّة أوانٍ من ذهب التجارب مخفية في زوايا كل شارع ولا أجدها، وبما أنني سأموت في النهاية، لماذا عليّ أن أخسر يوماً كان له أن يكون رائعاً ومثالياً فينتهي أوّل المساء بطريقة غير مكتملة.

تخلصت من ضيقي مع وصول الحافلة 24 إلى الحانة الموجودة في آخر طريقي. كوخ NW5 الذي كان مكاناً موسيقياً مشهوراً ثم تحول إلى حانة تعثر فيها على ثمالى كامدن في التاسعة صباحاً. نزلت من الحافلة ودخلت. كانت المرة الأولى التي أفعل فيها ذلك منذ يوم انتقالنا عندما قيل لنا، أنا وفارلي، أنها قامت بسبق تاريخي لكونها الزبون الأول خلال أربعين عاماً الذي طلب قهوة. حينذاك ذهب صاحب الحانة إلى متجر الزاوية ليشتري بعض النسكافيه Gold Blend والحليب وكلفها ذلك 26 باوندا.

طلبت جعة وأجريت محادثة مع الساقي الذي بدا غير متفاجئ من خدمته زبوناً مفرداً آخر. كان إلى جواري رجل في أواخر الستينات من العمر بثياب رياضية ولحية رمادية وبيضاء سألني كيف كان يومي فانتحبت لافتقادي من يشاركني الشراب. قال إنه الرجل الذي سيفعل هذا. ونحن نشرب أخبرني كل شيء عن حياته التي أمضاها في هذه المنطقة: المدرسة التي هرب منها، كيف تغيرت الأشياء، الحانات التي أغلقت، حفلة جون مارتين التي حضرها في قصر كامدن قبل أن أولد والتي خلّدتها التسجيلات الحية التي كنت أستمع لها بهوس. غادرت عند منتصف الليل بعد أن خربشت رقم الرجل على ظهر علبة الجعة مع وعد متبادل أننا سنقضي ظهيرة أحد الأيام معاً نستمع للتسجيلات. لكنني كنت مدركة أنني لن أتواصل معه أبداً مرة ثانية. كانت مجرد "ليلة" من الليالي التي أردت

منها الكثير. تجربة، حكاية، وجه جديد، ذاكرة، كان قصةُ ثرثرة وحقيقةٌ مثيرة للاهتمام سكنت عقلي الثمل اللاواعي، فقط، كي أحكيها لاحقاً على أنّها واحدة من حكاياتي الخاصّة. وإذا ما سأل أحدهم أين سمعت ذلك؟ سأقول: إنها ذاكرتي الضبابيّة.

في المساء التالي، عند عودتي مع صداع من العمل إلى البيت، رأيت فارلي وآج مسلتقيتين على الأريكة فأخبرتهما كيف انتهيت إلى حانة قذرة في الليلة الفائتة.

"لماذا تفعلين ذلك؟" سألت آج بارتباك.

"لأنها كانت ليلة الثلاثاء"، أجبت، "وكان بإمكاني فعل ذلك".

أنا ممتنة جداً لأنني تذوّقت جرعات صغيرة من البلوغ في مراهقتي. ذلك جعل عبء البلوغ أقلّ وطأة حين وصلته أخيراً. أحببت أن أدفع إيجاري الخاص. عشقت الطهو لنفسي كل يوم. حتى أنني اعتدت الجلوس المثير في غرفة الانتظار في عيادة طبيب عام وأنا أعرف أنني حجزت موعدي ووصلت هناك دون مساعدة من أحد. في سنتي الأولى من تسديدي الفواتير، كنت فعلياً أشعر بارتجاف ركبتيّ عندما تصل رسالة من إدارة مياه التايمز موجهة إليّ. تحملت عبء المسؤولية المرتبطة بكونك بالغة بالتزامن مع معرفة أنني دوماً أملك حرية الذهاب إلى الحانة بمفردي وصنع صداقة مع رجل عجوز في أي يوم من أيام الأسبوع.

حتى اليوم، لم أستوعب أنني لم أعد مضطرة إلى أن أشرب الجن من علب الشامبو، وأنه ليس هناك أضواء في الخارج، وأنني أستطيع البقاء مستيقظة حتى الرابعة صباحاً أشاهد الأفلام أو أكتب في أي ليلة إن أردت ذلك. شعرت بالخلاص والنشاط والانتعاش لأنني أستطيع تناول طعام الفطور على العشاء وأستمع للموسيقا بصوت عالٍ جداً وأدخن عند نافذتي. ما زلت لا أصدق حظي تماماً. حياتي كلها كفتاة بالغة في العشرينات كانت تبدو مثل ماكولي كولكين في فيلم Home Alone 2: lost in New York عندما يجد نفسه محجوزاً في فندق The Plaza ويطلب من غرفة الخدم تلالاً وتلالاً من المثلجات ويشاهد أفلام العصابات. ألقي باللوم في هذا كله على التربية الصارمة. تقريباً جميع البالغين الذين التقيتهم ممن ذهبوا إلى مدرسة داخلية لا يمكنهم التصديق أنهم يعيشون الآن حياة يمكنهم فيها الذهاب إلى حانة قديمة في بلدة كنتش ليلة الثلاثاء دون التعرّض إلى احتجاز أو توقيف أو فصل مؤقت. أياً كان ما يعنيه هذا، إذا كانت الجامعة تعتبر ملعباً عشت فيه تخيلاتي البالغة، كان منزلي وراتبي في لندن جنة حقيقية.

بحثنا ثلاثة أشهر قبل أن نجد منزل بلوغنا الأول في لندن. كانت ميزانيتنا صغيرة والشقق التي تحوي ثلاث غرف نوم يصعب العثور عليها. كان ثمّة منزل في محيط متنزه فينسبري صُوّر بمكر

ليبدو كمنزل في الشوارع الخلفية لنوتينغ هيل. عندما وصلنا إليه أدركنا أنه لم يكن يشبه أكثر من جناح في سجن بنتونفيل (كل ما سنفعله هنا هو الجلوس لمشاهدة The X factor ونحن نتناول باستا Sainbury's، علّقت آج). كان منظر الشقة في بريكستون كارثياً، انضمت آج وفارلي إلى مجموعة كبيرة من المتفائلين بالألفية الذين اصطفوا في رتل في الخارج كأنهم أمام متحف مدام توسو للشمع. نسي وكيل العقارات إحضار المفاتيح، ولذا بقي الجميع ينتظرون نصف ساعة، ثم أخيراً أجروا رحلة الدقائق الثلاث في هذا المستودع وغادروا جميعاً، وكان عليهم أن ينبطحوا أرضاً لأن الشرطة تطارد رجلاً مسلحاً طليقاً. أخيراً، تماماً عندما أوشكنا على فقدان الأمل، وجدت فارلي ثلاثة أسرّة ضمن ميزانيتنا عن طريق المالك الأصلي على Gumtree.

كان المنزل تماماً عند الهلال الذي يصل نهاية تشوك فارم من كامدن مع نهاية بلدة كنتش، حيث يقام مرتين في الأسبوع سوق من الطراز القديم تباع فيه أزواج أحذية بخمسة باوندات، وشراشف الأسرة ذات الرسوم الكرتونية. فيه أكشاك يومية لبيع الخضراوات والفاكهة ومتاجر مستقلة تبيع نقداً فقط وهي تبيع الحشيش من تحت طاولة بيع الشطائر. كان جميلاً ومبهرجاً ووقحاً.

كان المنزل فوضى جميلة. يقع ضمن صفٍ في مجمّع سابق لشقق من طابقين مبنية من الآجر الأصفر، وأبعاد نوافذه وأبوابه غريبة، إذ تجعله يبدو كأنّ مراهقاً بناه على عجلة وهو يلعب لعبة The Sims. الحديقة الأمامية فيها أكمتان ناميتان جداً، أي أنه ليس بإمكانك أن تجد طريقك إلى البوابة الخشبية صيفاً دون أن تبعدها بذراعيك. بلاط المطبخ حمل رسوماً للريف الإنكليزي. الحديقة الخلفية كانت غابة من القصب. وكان ثمّة خط سائل غريب أسفل جدار المدخل، استطعنا بعد تفكير طويل الافتراض أنه كان بولاً. رائحة الرطوبة تفوح من كل شيء. الشقة التي فوقنا يسكنها مالكو الأرض.

كان جوردن، مالك البيت، رجلاً حسن المظهر في الأربعينات، يرتدي سترة جلدية مهترئة تشبه الصندوق مع شعر خفيف داكن على نحو مريب، ويعمل مقدم أخبار في قناة BBC وأحبَّ أن يعرف الجميع هذا. له صوت قوي أنيق. أسلوبه متكلف على نحو لافت.

"إذاً، هذا هو المدخل"، جأر جوردن، "كما ترون هناك مساحة كبيرة للتخزين". فتحنا واحداً من الأبواب المتربة الكبيرة. كان هناك صندوق أسود موضوع وسط رفوف فارغة كتب عليه بخط أصفر عريض: مبيد جرذان. "أوه، تجاهلن هذا"، قال وهو يبعده بيده، "قُتلت كلها الآن". تبادلنا نظرات سريعة، "هل تعرفن؟" قال مجعداً أنفه قليلاً، "أظن أن الشيء الأفضل هو أن أخرج وأدعكن تلقين نظرة على المكان بمفردكن. أخبرنني حين تنتهين من رؤية كل شيء".

كان البيت مضعضعاً ومريباً، لكننا عرفنا أنه سيكون الأفضل كمنزل أوّل ليس بالنسبة إلينا فحسب، وإنما العائلة الموسعة من الصديقات اللواتي نخطط لوجودهن معنا في عطلات نهاية الأسبوع. عدنا إلى الطابق السفلي لنخبر جوردن أننا نريده. كان يجري محادثة هاتفية.

"نعم... نعم... حسناً، ذاك السيناريو الأسوأ"، قال وهو يشير بيده إلينا باستخفاف.

"نعم. حسناً حتى اللحظة دعنا نبقيه بعيداً عن القضاء فقط. لا تريد أن تعود إلى هناك من جديد"، نظر إلينا ودوّر عينيه، "عظيم، حسناً سآتي غداً في العاشرة صباحاً لأرى هذا السقف. حسناً، اممم، نعم، نعم، حسناً. إلى اللقاء"، وضع هاتفه في جيب سرواله الجينز الخلفي، "المستأجرون اللعينون"، قال، "إذاً هل تردنه أم لا؟"

وفّرنا وادخرنا المال لتغطية ما دفعناه كأجرة، ولذا عشنا شهرنا الأوّل بإثارة وسط تقشّف شديد. تقريباً لم يكن لدينا شيء في البيت، فأحضرت فارلي، بأسلوبٍ فكاهي، ملصقات كتبت عليها أسماء الأدوات المزعومة، وألصقتها في الأماكن التي نفترض وجودها فيها، مثل: "التلفاز هنا"، أو "محمصة الخبز هنا". عشاؤنا صار شطائر مارميت وخيار كلّ ليلة. في الليلة الثانية لوجودنا في المنزل، عدت لأفاجأ بالفتاتين تركضان بأحذيتهما الشتوية في أرجاء الغرفة هرباً من فأر لا ترغبان أن يلامس سيقانهما العارية وهما تحاولان الإمساك به. اشترت فارلي قطعة من جبن الشيدر الممتاز من متجر Nisa المحلي ووضعتها في خزانتها الفارغة ونثرت بعضها على طول السجادة محاولة إغراء الفأر كوسيلة إنقاذ آمنة.

تعرفنا بسرعة إلى صاحب متجر الزاوية القريب: رجل في منتصف العمر يدعى إيفان. بنيته أقرب إلى جندي في البحرية. في زيارتنا الأولى، أخبرنا على نحو مشؤوم أن نقصده إذا ما صادفتنا مشكلة ما مع أيّ من العصابات، وهو سيتكفّل التعامل معهم. كانت فارلي ترتدي عقداً من اللؤلؤ في ذاك الوقت. لكنني شعرت بالأمان على نحو غريب لمعرفة أن إيفان كان دوماً على بعد عشر ثوانٍ من باب منزلنا، وحين باتت قصّة الفئران مشكلة متكررة صار يأتي للإنقاذ. كنت غالباً أركض خارج المنزل بثياب النوم حافية القدمين وأدخل إلى المتجر صارخةً بنوع من هيستيريا Blanche DuBois [46]: "لقد عادوا، إيفان! عادوا!".

46 شخصية خيالية من ابتكار الكاتب تينيسي ويليامز.

"حسناً دالاين حسناً"، كان يقول، "سآتي في الحال، "هل تريدين أن أحضر مسدسي؟" كنت أطلب منه فقط أن يحضر مصباحه بدلاً من المسدس. كان ينحني تحت الأسرّة والثلاجة والأريكة

بحثاً عنها. أخيراً اتفق جوردان مع رجل يعمل في قتل الجرذان ليأتي ويخلصنا منها، رجل غريب الأطوار من الطرف الشرقي، يحمل على نحو مثير للسخرية لقب ''الهر البارع في صيد الفئران''. عندما وضع بعض الأفخاخ، سألته هل هناك طريقة أكثر إنسانية للتعامل مع المشكلة.

''لا''، قال وهو يطوي ذراعيه بهلع.

''حسناً''، أجبت، ''الأمر أنني نباتية فقط''.

''حسناً، ليس عليك أن تأكليها''، أجاب.

بدت كامدن المكان الملائم لنا؛ كانت مركزية، وقريبة من حدائق جميلة. الأفضل للجميع أنها كانت مريبةً ويعشش فيها اليأس. لم يعش أي من أصدقائنا هناك، في الحقيقة، لم يعش أي شخص بمثل سننا هناك. عندما خرجنا إلى الشارع الرئيسي في كامدن، واجهنا حشوداً من المراهقين الإسبان في رحلة مدرسية أو رجالاً بعمر الأربعين مع قصة شعر بول ويلر وأحذية Winkle–Picker كانوا لا يزالون بانتظار عودة أمجاد كامدن التي مرّت في التسعينيات. ''مراقبون حمقى''، كما اعتادت آج أن تدعوهم. كنا نسير في الشارع الرئيسي ليلة السبت وكانت تتمتم في أذني مشيرة إلى العابرين قربنا: حمقى، حمقى، حمقى. خلال الأشهر القليلة الأولى التي عشتها هناك، كان عندي حبيب، موسيقي فاتن لكنه مهووس جداً، وكان يعيش شرق لندن ورفض تماماً أن يأتي لزيارتي لأن الذهاب إلى كامدن كان ''موضة قديمة جداً''.

أحياناً، خلال السنوات التي كنا فيها هناك، كنا نذهب إلى حفلة أو سهرة خارجاً، شرق لندن، ونحاط بشباب كِرامٍ ولطيفين، ونتساءل: هل هذا حقاً المكان الذي يفترض أن نكون فيه في سننا هذه؟ لكن حالما نغادر، كنا نشعر بشيء من الإنهاك بسبب التجربة ونشعر بالامتنان أننا عشنا في مكان ليس علينا فيه أبداً التظاهر أننا ألطف مما نحن عليه، وهو أمر لم يكن مطلوباً إطلاقاً. كنا نذهب إلى المتاجر بسراويلنا الضيقة وستراتنا الرياضية من دون حمالات الصدر ولا نلتقي أحداً نعرفه. نسيطر على حلبة الرقص. نرقص رقصة الكانكان المضحكة ونحن ثملات ونبقى بارتياح الأشخاص الألطف في الحانة. نخرج لنمضي المساء كاملاً نتبادل الاهتمام ببعضنا بعضاً دون محاولات للفت انتباه أحد. لم يكن في كامدن أحد نلفت انتباهه.

واحد من أول الأشياء التي اشتريتها للمنزل كان قدر طبخ كبير جداً ملائم لطبخ الحساء. كانت صديقاتنا على الدوام نهمات كبيرات للطعام وكنت سعيدة لامتلاك موقد وطاولة مطبخ لي. في السنوات الأولى من عيشنا معاً، كنا نستضيف أشخاصاً على العشاء ثلاث مرات في الأسبوع. بحثت عن الأشياء الأرخص ثمناً لتحضير قدر بعد الآخر من dhal، وصينية بعد أخرى من

parmigiana. كنا نتناول وجبات عشاء على ضوء الشموع في حديقتنا الوارفة في الصيف. وفي إحدى المرات، وصلت النار على نحو غريب إلى شجرة كثيفة الأوراق، وكنا جميعنا ثملين، فرمينا قدور الماء وكؤوس Sauvignon Blanc التي نشتريها من إيفان بخمسة باوندات عليها.

كنا نشعر بالحرية لأن منزلنا من الأصل خَرِب جداً ويصعب إصلاحه. كان جوردن مرتاحاً لهذا أيضاً؛ تركنا نطلي الجدران كلها بألوان مشرقة ولم يعلق أبداً عندما كان الطلاء ينتهي بخطوط متماوجة على جدار السلالم بعد انتهاء علبة طلاء Dulux. كل هذا كان يعني أنّه منزلنا الذي استطعنا العيش فيه ولم نعطه أهمية. وسّخناه في ليالي السبت ولم يحتج الأمر أكثر من عشر دقائق في الأيام التالية لجعله يبدو مقبولاً من جديد. كان في وسعنا أن نرفع صوت المسجل إلى الحد الأقصى حتى السادسة صباحاً دون أيّ تذمّر من الجيران. أقسم أنّ هذه البيوت من طراز السبعينات صمّمت لتكون مراقص ديسكو إذ إننّا طوال سنواتنا هناك لم نتلقّ تذمراً أو شكوى واحدة. للأمانة، أخبرتني جارتنا أنها لم تسمعنا أبداً. إنه واحد من الأسباب التي جعلت منزلنا ملائماً للجميع كي يبلغوا نشوتهم فيه.

خبرتُ تجربة المخدرات أكثر في أوّل سنتين لي في لندن. بدايةً خلقت وئاماً عائلياً مع تاجر مخدرات ودود يدعى فيرغوس. لم يكن تاجراً يجلس في السيارة على نحو مزاجي ويمرر لك الكيس الصغير من تحت لوحة القيادة. وإنما كان أحياناً ينضم إلينا متأخراً ليلة الجمعة حين أستضيف أصدقاء على العشاء. يلف سيجارة الحشيش على المنضدة ويحكي نكتاً مطولة وهو يتناول بقايا الطعام الموجودة قبل أن أنتهي بإرساله محزوماً مع حافظة طعام فيها معكرونة Carbonara. فارلي، التي كانت دوماً أكثر حساسية مني بكثير وكانت تأوي إلى الفراش دوماً عند منتصف الليل حين يكون لدينا أشخاص على العشاء، لم تكن مسرورة أبداً بلقاء فيرغوس، لكنها كانت حائرة من الطريقة التي أتحدث بها عنه كما لو كان "ابن عم أو صديق للعائلة". في إحدى الليالي، استيقظت في الرابعة صباحاً على صوتي وأنا أقوم بجولة في المنزل مع فيرغوس وهو يعطيني نصائح feng shui [47] لكل غرفة. في اليوم التالي، جاءت إلى غرفتي لتجدني أنقل سريري إلى الجدار المقابل.

47 فلسفة صينية تدور حول التناغم مع الفضاء المحيط وتدفقات الطاقة عبر البيئة والتصالح مع النفس والطبيعة المحيطة بالإنسان.

"ماذا تفعلين؟" سألتني.

"أغيّر مكان سريري، يقول فيرغوس إنه ليس في موضع جيد الآن".

"لماذا؟"

"لأن جهة الرأس قريبة جداً من أنابيب التدفئة. يقول ليس جيداً لرأسك أن يكون قريباً من الحرارة خاصة من أجل الجيوب".

"نعم دولّي؟ الرجل الذي يبيعك مخدرات من الصنف A ليس مؤهلاً لإعطائك نصائح صحية"، قالت فارلي.

اختفى فيرغوس بغتةً، وعلمت أنهم يقومون بذلك غالباً، ولذا اتجهت إلى سي جي الذي كان كارثة حقيقية. كان سي جي معروفاً بأنه أسوأ تاجر مخدرات في لندن. كان ضبطه للوقت مروعاً، وبانتظام يسلم "الطلب الخطأ" لـ"الزبون الخطأ" ويعود إلى عتبتك بعد نصف ساعة من التسليم يطلب إعادة "المنتج". هاتفه لم يكن أبداً مشحوناً وبوصلة اتجاهاته معطلة. بلغ الأمر حدّ تركي أنتظره لساعة ونصف، إلى أن اضطررت إلى إخباره عبر الهاتف أنّه أشبه بمعلّم محبط، وأنّه "أسوأ عدوّ لنفسه". القشة الأخيرة كانت يوم الخميس قبل أن أغادر لندن إلى احتفال. اتصلت به سائلة هل بإمكانه بيعي MDMA [48].

48 الاسم الشائع لـ"إكستاسي" وهو نوع من المنشطات له تأثير نفسي مشتق من الأمفيتامين، ويسمى أيضاً حبوب النشوة.

"ما هذا؟" سأل.

"MDMA"، أجبت، "ماندي".

"من هي؟"

"حبوب النشوة. هيا، MDMA".

"لم أسمع بها من قبل أبداً"، قال.

لم يكن مهماً كيف حصلت عليها أو ممن؛ كانت طريقة الحصول عليها أكثر إثارة من المخدرات بحد ذاتها. التحدث حول إمكانية الحصول عليها. طلب الرقم. انتظار المسلّم خارجاً. أحدهم ينتظر في شقة بينما يذهب الآخر ليجد السيارة عائداً مع حزمة بلاستيكية صغيرة من الحشيش أو المسحوق، الوعد بما سيأتي. كان ذلك الجزء الصغير الذي يجعل قلبي يدق أسرع. راقبت فارلي ذات مرة الجهد الذي تستهلكه عملية الشراء والتوزيع وتناول الكوكايين ولم تستطع تصديق كم من الوقت المضجر استغرق ذلك. "أشبه بإعداد فطيرة الراعي"، علّقت. لكن استهلاك الوقت في استنشاق المسحوق أو لف سيجارة حشيش هو المتعة الكبرى لشخص لا يريد أبداً أن تنتهي الليلة؛ هو إطالة مضمونةٌ للّيل، صرف انتباه، إسكات لعقلك المنطقي الذي يقول: اذهب إلى السرير في الحادية عشرة، ربما يمكننا التحدث الآن. ومكان ذلك يضع رغبة كاذبة في أن تستمر الحفلة إلى ما

لا نهاية. بالنسبة إليّ، كان الكوكايين دوماً مجرد عربة للاستمرار في الشراب والبقاء مستيقظة طويلاً بعد التعب. لم أكن أبداً مستثارة بأي إحساس يسببه.

ظننت أنني لأكون كاتبة عليّ أن أكون جامعة خبرات. وظننت أن كل تجربة تستحق الامتلاك، وكل شخص يستحق اللقاء وهو موجود بعد أن تحلّ الظلمة فقط. تذكرت دوماً شيئاً أخبرتني إياه هايكس بينما كنا نستلقي في سريرها، في غرفتها وهي طالبة، تحت أضواء الزينة المتلألئة حول نافذتها.

''يوماً ما سنجلس في دار للمسنين شاردات نحدق إلى اللحاف في حضننا''، قالت، ''وكل ما يمكنه عندئذ أن يجعلنا نبتسم هو هذه الذكريات''.

غير أنّ الانتظام المتزايد لهذه الليالي جعلني أشعر أنها باتت جزءاً من هويتي عوضاً عن أن أكون جامعة متخصصة لحكاياتها. توقف البقاء خارجاً حتى الفجر عن كونه يحدث مصادفة وصرت بدلاً عن ذلك أساوي أي مساء خارجاً مع متعة السهر طوال الليل. السيئ هو أنّ الجميع توقع هذا مني. ليلة بصحبتي كانت تعني أن تبقى مهدوداً إلى اليوم التالي والأصدقاء ينتظرون مني ذاك المستوى الثابت من الفسق حتى عندما نلتقي لتناول طبق سريع من pad thai[49] في مساء الخميس. لم تعد طاقتي ولا رصيدي المصرفي ولا حالتي العقلية قادرة على تحمل هذا. لم أكن أريد أسطرة ذاتي أو إقحام نفسي عبر السُّكر التراجيدي المفرط لأكون واحدةً من الشخصيات المأساوية التي يخشى الجميع حتى من التخطيط لتناول القهوة معها، لمعرفتهم أنّ الأمر سينتهي غالباً صباح اليوم التالي في كازينو يفتح طوال الليل في ميدان ليستر.

49 طبق تايلندي من أكثر المقبلات شيوعاً بين الأجانب لأنه غير حار.

''أنا حقاً أحب هذه الحكايات''، قالت هيلين مرة في الصباح التالي بعد حفلة كنت قد جمعت فيها عدداً من الأشخاص لأضجرهم بأفضل حكاياتي الفلكلورية عن الليالي التي أقضيها خارجاً، ''لكن لديك الكثير منها. دولّي''.

شيء آخر لا أحد يخبرك إياه عن تناول الشراب وأنت تكبر، وهو أنّ عجزك ليس ناجماً عنه مباشرة، وإنّما عن جنون العظمة الذي يتلبّسك بسببه ويتركك خائباً في ساعات الصحو في اليوم التالي. وهو ما أصبح بمكانة إيقاع ثابت لأواسط عشريناتي. تتسع الفجوة بين من كنت عليه ليلة السبت حين تستولي على حديقة حانة بأكملها، وقت الذروة، عبر الصراخ بفظاعة حول ما تشعر به دائماً وبأن لديك ما لا يقل على ثلاثة نصوص مسرحية هزلية، وبين من تكون في ظهيرة الأحد،

تفكر في الموت وتقلق مما إذا كان ساعي البريد يحبك أم لا. الوعي الذاتي يكبر. والوعي الذاتي يقتل اللقب الذي اخترته لنفسي: ”فتاة الحفلة“.

انتهى الأمر بأن يكون لدي عملان منفصلان تماماً: العمل في التلفاز، وأن أكون كاتبة مستقلة. وتطلب هذا المزيد والمزيد من وقتي وتركيزي، وكانت حالات السكر المنتظمة وحالات الصداع تعيق الإنتاجيّة والابداع. ”أنت تحاولين قيادة حياتين مختلفتين“، قالت لي صديقة ذات مرة وأنا على حافة الإرهاق، ”عليكِ أن تختاري من تريدين أن تكوني: المرأة التي تحتفل أكثر من أي أحد آخر، أو المرأة التي تعمل أكثر من أي أحد آخر“.

قررت أن أجتهد في الأخيرة. حياة تملأ ساعات النهار مع حاجة أقل إلى الهرب في الليل. لكنني ما زلت أحتاج مزيداً من الوقت لأدرك أن الطريق إلى المغامرة لا يقتصر على الليالي المتأخرة والحانات الساخنة والنبيذ البارد وشقق الغرباء والسيارات المركونة مع أضواء شغالة وحزم صغيرة من المخدرات. كنت دوماً أرى في الكحول تجربة مثيرة لكنها بنفسها كانت عائقاً لعيش التجربة وخاصة في عشريناتي. بالتأكيد كان هناك الاعترافات الرطبة التي ستحصل عليها من الناس مع حدقات متوسعة في حجرة الحمام، والرجال العجائز مع قصصهم الجيدة التي ربما لن تسمعها بغير ذلك، والأماكن التي قد يذهب إليها الناس الذين قد تتقبلهم، لكن كان هناك أيضاً العمل الذي لن ينجز عندما تعاني من صداع الخمر، والانطباعات السيئة التي قد تتشكل عند أصدقاء محتملين لأنك كنت ثملاً جداً ولا تكاد تستطيع التحدث. تلك المحادثات الضائعة التي قد يخبرك خلالها أحدٌ ما شيئاً مهماً حقاً والتي تترجم إلى أشياء لا معنى لها لأن أحداً منكم لا يستطيع تذكرها في الصباح التالي. هذه الساعات كلها التي تقضيها مستلقياً غارقاً في العرق والرعب في سريرك حتى الخامسة صباحاً، وقلبك يدق وأنت تحدق في السقف راغباً بيأس أن تنام... الساعات الضائعة في الطريق المسدود في رأسك وأنت تعذب نفسك بالأشياء الغبية كلها التي قلتها وفعلتها لتكره نفسك في الأيام القليلة التالية.

اكتشفت بعد سنوات أن استمرارك في التصرف بالطريقة التي تجعلك تشعر بالعار يعني أنك ببساطة لن تكون قادراً على أخذ نفسك على محمل الجد وأن احترامك لذاتك سينخفض أكثر وأكثر. على نحو مثير للسخرية، محاولتي كمراهقة أن أكون ناضجة عبر الإفراط في الشرب جعلتني أبدو طفلة أكثر من أي شيء فعلته في حياتي. خلال عشريناتي، كنت أتحرك وأنا أشعر أنني متهمة بشيء سيئ، كأن يقترب مني شخص ما ويقول بمنتهى السهولة: ”أنت الغبية التي شربت Jo Malone pear وزيت الاستحمام Freesia في كأس في حفلة منزلي، أنت مدينة بـ42 جنيهاً!“، أو: ”أوي! حمقاء! ما زلت لا أستطيع أن أصدق أنك تبادلت القبلات مع حبيبي خارج متجر

Sainbury’s في مورينغتون!‘‘ وأود أن أومئ بوقار وأقول: ’’نعم، لا أستطيع تذكر ذلك تحديداً لكنني سأصدق كلامك وأنا آسفة‘‘. تخيّل سيركَ في العالم وأنت تفكر أن شخصاً ما دوماً يوشك أن يخبرك أنك مقزز، وأنت مرغم أن توافقه. أي نوع من المرح هو ذاك؟

أينما كنت في ليلة الثلاثاء منذ الآن حتى اليوم الذي أموت فيه، يمكن أن تكونوا واثقين أنني سأفضل أن أكون في حانة كئيبة في كامدن أحتسي الجعة وأنا أتحدث إلى غريب. لكن في النهاية خرجت من تلك الليالي المظلمة للسُّكر، التي كانت تجتاح اليوم التالي مثل تسونامي، تماماً كما خرجت من منزل الآجر الأصفر الذي كاد ينهار. لمدة قصيرة أثناء ذلك المكوث في حديقتي الوارفة في إيدن أحتسي Sauvignon مع نساء أحبهن والموسيقا تصدح بصوت عالٍ والصحون الفارغة مكومة فوق المغسلة، ظننت أنني كنت أعيش في أفضل منزل في العالم. ما زلت أفكر أنني فعلت ذلك.

وصفة: سمك موسى بالزبدة والليمون
(وجبة لشخصين)

أعددت هذه الوصفة للموسيقي الذي واعدته عندما كنت في الرابعة والعشرين والذي ذكرته سابقاً في المرحلة المبكرة من علاقتنا، في محاولة لجعله يحبني. نجح الأمر نحو أسبوع. ورحت منذ ذلك الوقت أعدّها لشبان آخرين استحقوا وقتي والزبدة البنية؛ كانت التأثيرات ناجحة واستمرت لمدة أطول.

– 4 ملاعق دقيق أبيض
– شريحتان من سمك موسى
– ملعقة واحدة من زيت بذور اللّفت (أو زيت دوار الشمس)
– 50 غ زبدة
– ملعقتان من القريدس البني المطبوخ سابقاً
– عصير نصف ليمونة
– ملعقة واحدة من براعم القبّار
– حفنة من البقدونس الناعم المقطع
– ملح وفلفل أسود للنكهة

اخلطي الدقيق والتوابل على طبق واغمسي الشرائح فيه حتى تتغطى تماماً. حركيها للتخلص من الدقيق الزائد.

سخّني الزيت على درجة عالية حتى يسخن جداً. اطبخي الشرائح لدقيقتين على كل جانب. يجب أن تكون مقرمشة وذهبية.

ضعي السمك جانباً وغطيه بالقصدير ليبقى دافئاً.

أخفضي حرارة المقلاة. أضيفي الزبدة وذوبيها حتى تصبح بنية فاتحة. أطفئي النار. قلبي القريدس في الزبدة، أضيفي عصير الليمون.

ضعي شرائح السمك على الطبق. اسكبي مزيج الزبدة والليمون فوق كل شريحة. زينيها برشة من القبّار والبقدونس. نكّهيها.

تقدم إلى جانب سلطة خضراء أو فاصولياء خضراء وبطاطا مشوية (لا تقدميها مع قلبك الكبير المفتوح).

الثالث من فبراير

" أصدقائي الأعزاء الذين أثمل معهم فقط في العادة،

أود أن تشهدوا على محاولتي التصرف كبالغة. البعض يدعو هذا حفل عشاء لكنني أظن أن ذلك يبدو خانقاً قليلاً، ولذا سأقول إنه شيء غامض بما يكفي ليبدو مريحاً لكنه دون أن يلمح إلى عشاء راقص، مثل "أن نكون معاً" أو "بعض الطعام والشراب" أو "عشاء مريح عادي".

المهم أن هذا بالتأكيد لن يكون راقصاً. من فضلكم، تعالوا إلى شقتي في السابعة. ما أعنيه هو أن تخططوا للوصول في السابعة من فضلكم، حتى لو تلقيتم رسالة مذعورة جداً مني في السادسة تطلب منكم الحضور في الثامنة لأنني لم أستطع أن أجد الكرنب في أي مكان من أجل إعداد سلطة سلو الآسيوية على طريقة الشيف جيمي أوليفر، وكان عليّ أن أطلب سيارة أجرة من Uber كلفتني ٢٣ جنيهاً لأذهب إلى Waitrose وأعود وقد استغرق هذا مني أكثر من ساعة. كما قلت، هذا كله عادي جداً.

قائمة الضيوف هي كما يلي:

١× صديق شاذ فاحش (إد) سيكون سعيداً لمشاركتنا قصصاً منوعة من حياته الجنسية المتنوعة وسيكون نوعاً من المهرج الحقيقي في الأمسية. تخيلوا جوليان كلاري يلتقي حفاري القبور في هاملت.

١× صديق جديد طيب يخص إد (اسمه تي بي سي) سيبذل الجميع جهداً كبيراً معه إلى أن يتم تجاهله بعد الطبق الرئيسي، فيحجز سيارة أجرة من Uber ويعود باكراً إلى منزله ولا ينتبه أحد لمغادرته إلا بعد ساعتين.

١× صديقة من الشمال متعصبة للنساء (آنا) ستجعل إد يشعر بارتياح أكبر بسبب آرائها التحررية وسياستها اليسارية، والعكس بالعكس.

١× رجل عازب، هو زميلي في العمل لكنني لا أعرفه جيداً (ماثيو) الذي سوف يغازل الجميع. ماثيو ليس جذاباً عموماً غير أنه طويل ولديه صوت قوي. الخطة هي أن الجميع سيعجب به وهم يثملون شيئاً فشيئاً وسيدركون أنه الأفضل في المجموعة السيئة على نحو يشبه قليلاً ما شعرنا به جميعاً حول نك كلغ في انتخابات ٢٠١٠.

١× زوج مخطوبين أنيقين (ماكس وكورديليا) ليضيفا لمسة أسرية ناضجة على المساء. سيكونان سعيدين بالتحدث عن كل تفاصيل زواجهما المرتقب ليبقيا الأشياء فعّالة في لحظات انقطاع الحديث. ملاحظة مهمة: أبقيا ماكس وآنا بعيدين عن بعضهما بعضاً عند التحدث عن دولة الرفاهية أو التغير المناخي.

١× صديقة لعوب تشرب كثيراً جداً (ليزلي) ستجعلنا نشعر أننا ما زلنا في أوج الشباب وفي الوقت نفسه نشعر بشعور أفضل حيال حياتنا (شكراً لهذا، ليزلي). هي أيضاً ستتولى توثيق الأمسية على موقع "إنستغرام" مع هاشتاغ مثل #asianslawgivememore أو #sinnershavingdinner أو شيء من هذا القبيل.

من فضلكم، أحضروا معكم زجاجة نبيذ. سأفترض أنكم سوف تحضرون Oyster Bay بما أنه النوع الوحيد الذي نعرف أن مذاقه ليس مقرفاً وهو أيضاً يكلف العشرات فقط. كما أن Jacob's Creek سيفي بالغرض. سيكون بالطبع مرحباً بـEcho falls لكن سنتوقف عند سعره.

بعد رمي معاطفكم كلها على السرير وإعطائكم كأساً من النبيذ الأبيض الدافئ من الزجاجة التي سأكون قد شربت نصفها قبل وصولكم بدافع القلق الشديد الذي سببه التحدي السابق كما في Challenge Anneka[50] لمطاردة الكرنب، سأقدم إليكم أربعة أكياس من رقائق بطاطا Kettle ستكون مقبلاتكم.

50 برنامج تلفزيوني بريطاني يعتمد على لعبة واقعية يعطي الشخص مهمة لينفذها خلال زمن محدد.

ولأنني سأضع نفسي أمام تحدٍّ لصنع ثمانية أطباق منفصلة متبعة موضة ما يدعوه الجميع: ''عشاء استرخاء كبير على طريقة أوتولينخي''، سأغيب عن أوّل ساعتين من السهرة.

المواضيع المقترحة الآمنة للمحادثة من أجل حالة نصف الصحو هي كما يلي:

– كفاءة خط فكتوريا
– مقارنة تكاليف الأجور المعروفة
– وفيات المشاهير الأخيرة
– توصيات مصففي الشعر
– من سيلعب شخصية بوند في الجزء التالي
– معدل تبادل الدولار/ الجنيه في رحلة حديثة إلى نيويورك
– كم من الماء يجب أن نشرب
– أي مسرحية تُنتج حالياً وتضم ممثلاً تلفزيونياً معروفاً
– تطبيقات الميزانية
– أغطية الأسرّة

سيكون العشاء في العاشرة مساءً. عند هذه النقطة سيكون الجميع قد شرب ما فيه الكفاية ليجري تلميحات جنسية في ما يتعلق بالوجبة. ''هل وضعت الحمص في نهايتك؟'' ''دعونا نقلب السلطة''... إلخ. لكن لن يكون أحد ثملاً كفاية تماماً للتخلي عن هاتفه ومشاهدة فيديوهات أقل ما يقال عنها أنها مسلية على ''يوتيوب''. سيحدث هذا بعد الطبق الرئيسي وقبل الحلوى.

الفيديوهات المقترحة:

– أخطاء مراسلي الأخبار
– قطط تعلق بأشياء
– أطفال ينزعجون من فقدان الشوكولا
– كلاب تغط نائمة في أماكن غريبة
– أي أداء يقدمه لويس سي كي
– أي شيء فيه سيلين ديون

ليزلي، سيكون رائعاً لو تدخلين المخدرات في هذه الأمسية بعد هذا، إما بتقاسم بعض الحشيش القديم الذي لديك في حقيبة يدك، وإما بمراسلة تاجر لإحضار بعض الكوكايين. إذا اخترت الخيار الثاني، سيدخل الجميع في جدال ليقولوا إنهم كانوا مفلسين هذا الشهر أو إنهم لم يفعلوا ذلك منذ عامين، لكن اطمئني؛ بالتأكيد سيظلون يريدونه وسيدفعون عندما يصل رجل الحلوى.

إذا ذهبت نحو الخيار الثاني، سيتجادل كورديليا وماكس بما أن ماكس سيعرض أن يدفع مقابل الحصول على غرام إضافي. ستكون كورديليا مضطربة لأنه من الواضح أنهما كانا مفلسين جداً ولم يتمكنا من الاتفاق مع الرباعي الموسيقي "Signed, Sealed, Delivered" من أجل الزفاف، لكنه ما زال يريد أن ينفق ٦٠ جنيهاً على مخدرات من الصنف A من أجل مجموعة من الأشخاص لا يكاد يعرفهم.

بعد منتصف الليل، هو وقت الوصول إلى ما سوف أدعوه الجزء التافه والعديم الجدوى من النقاش في المساء: فريق يؤمن بشيء واضح قرأته في عمود في *The Guardian* مقابل فريق يؤمن بشيء أقل وضوحاً بقليل قرأته في مجلة *Vice Blog*. ستكون المواضيع والآراء كلها جريئة وغير واضحة ومتوقعة مع إحصاءات مختلقة وحكايات شخصية مبالغ فيها لدعم النقاشات الضعيفة.

المواضيع المقترحة:

– هل لا يزال هناك شيء كالجناح اليساري أو اليميني؟

– هل النساء يردن المساواة بين الجنسين، لماذا تدعى عنصرية النساء وليست مساواة؟

– هل يكون الفن فناً لأنني استطعت أن أصنعه؟

– لماذا نأكل لحم الخنازير ولا نأكل لحم الكلاب؟

– ما هي شرعية طوني بلير وفق آراء آبائنا التي سنعبر عنها كأنها آراؤنا؟

– كم يكون التأخير كبيراً في إنجاب الأطفال؟

– هل كانت مارغريت تاتشر مؤمنة بالمساواة بين الجنسين؟

– هل ارتفاع أسعار الملكية في لندن يعني أن الناس سوف ينتقلون فعلاً إلى مدينة مارغيت؟

– هل من الجيد لماثيو أن يرتدي قميص رامونز مع أنه ليس قادراً على ذكر اسم واحد من فرقتهم أو أي من أغنياتهم؟

عندما تحتدم الأمور جداً بين ماكس وإيد حول "المثلية الجنسية: فطرية أو مكتسبة؟"، يكون الوقت لسماع قصص ليزلي الثملة التي ستكشف سراً عن نفسها في حوار طويل ومتشعب لجمهور صامت.

الاعترافات المقترحة من أجل ليزلي:

– أنت لا تحبين أهالي ويلز

– تقلصات الكلاميديا الأخيرة

– عمك يتحسسك كمراهقة

– علاقة مع رجل متزوج

– تظنين أنه يمكنك التواصل مع الموتى

– تظنين الانتخاب مملاً ولا معنى له

– الخوف من العقم

الأوقات المخططة للمغادرة:

إد – الرابعة صباحاً، بعد أن يكون قد أثبت أنه يعرف قواعد الرقص الأصلي على أنغام أغنية Pure and Simple لفرقة Hear Say وكل كلمة من أغنية الراب Lady Marmalade للمغنية ليل كيم.

كورديليا – الثانية صباحاً بسبب فطور مزعوم في الصباح التالي.

ماكس – الثانية والنصف صباحاً، بعد تلقيه رسالة غاضبة من كورديليا ليذهب إلى المنزل.

ماثيو وآنا – الرابعة والربع في سيارة Uber نفسها.

ليزلي – الرابعة مساء في اليوم التالي.

أتطلع حقاً إلى ذلك، شباب! سيكون جيداً جداً أن نجتمع على عشاء هادئ! قبلاتي"

وصفة: بيتزا التفاح مع مثلجات سهلة التحضير
(تكفي لأربعة أشخاص)

وصفة أعطتني إياها أمي لأؤثر في الناس عندما يأتون إلى منزلي الرديء من أجل حفلات العشاء الرديئة، وهي لا تتطلب مهارة أو جهداً.

للمثلجات:

– صفار 4 بيضات (يجب أن تكون طازجة جداً)

– 100 غ سكر مطحون

– 340 غ جبنة ماسكاربوني

– خلاصة الفانيليا

اخفقي صفار البيض والسكر حتى يصبحا بقوام كريمي. أضيفي جبنة الماسكاربوني وخلاصة الفانيليا. ضعيها في حافظة طعام.

جمديها طوال الليل أو لثلاث أو أربع ساعات على الأقل.

لبيتزا التفاح:

– علبة من عجينة الباف باستري

– علبة من المرزبان

– 500 غ تفاح مقشر ومقطع إلى شرائح

– علبة من مربى المشمش

افردي عجينة الباف باستري.

غطيها بطبقة من المرزبان.

ضعي شرائح التفاح على الوجه.

اخبزيها في الفرن على درجة 200 س حتى تصبح ذهبية، وفي هذه الأثناء، سخني مربى المشمش على الموقد.

عندما تخرجين بيتزا التفاح اسكبي مربى المشمش الدافئ فوقها واتركيها ترتاح.

قدميها مع المثلجات.

''لا شيء سيتغير''

أحد الأشياء التي كرهتها لأقصى درجة حول علاقة فارلي وسكوت هو أنني لم أعد أرى عائلتها أبداً. اشتقت لأمها وأبيها وزوجة أبيها وأخيها وأختها. كنت لسنوات أقضي عطلات نهاية الأسبوع كلها والعطلات الأخرى مع عائلتها وكانوا بمكانة عائلتي. لكن بعد أن دخل سكوت على الخط لم أعد أتلقى دعوات من فارلي أبداً، ولذا رأيتهم مرة أو مرتين في السنة فقط. يشغل سكوت الآن المقعد الذي كنت أجلس إليه على طاولة العشاء في حفلات أعياد الميلاد وحفلات الشواء أيام الأحد؛ كان الشخص الذي انضم إليهم في العطلات النصفية الخريفية المريحة في كرونويل بينما شاهدت الصور المنشورة على ''إنستغرام''.

بعد بضعة أشهر من العيش في منزلنا في لندن دعتني فارلي إلى نزهة في الخارج مع عائلتها بعد ظهيرة أحد أيام الأحد. توقفنا عند حانة لتناول الغداء، استمتعت بالألفة الدافئة لتقاليدهم: أسماء الدلع، النكت، القصص عن فارلي وعني عندما كنا مراهقات. شعرت بالغرور فأياً كانت المساحة التي شغلها سكوت خلال السنوات القليلة الأخيرة كانت مختلفة عن مساحتي لأنه لا شيء تغير على الإطلاق. تلكأنا في السير خلف الكلب وبقية المجموعة كما كنا نفعل دوماً عندما كنا مراهقات بسبب تنافسنا في تناول الطعام أكثر من اللازم على الغداء.

''طلب مني سكوت أن أنتقل للعيش معه''.

''ماذا تقولين؟'' سألت.

''سأفعل هذا''، قالت بلهجة فيها اعتذار تقريباً، وقد طافت كلماتها الأولى في الهواء البارد، ''بدا لي أن الوقت الذي اختاره مناسب''.

''متى؟''

''بعد أن أكمل عاماً معكن في كامدن''، أجابت. استأت من عبارة ''أكمل عاماً'' فهي بدت مثل: كنت أقضي عطلة سنوية في موسم التزلج أو دورة TEFL [51] في اليابان، أي بمنزلة شيء تفعله لمرة واحدة من أجل حكاية مثيرة.

51 شهادة اللغة الإنكليزية للأجانب.

''حسناً''، أجبت.

''أنا آسفة جداً، أعرف أن هذا صعب كثيراً''.

"لا، لا، أنا سعيدة من أجلك"، قلت. تابعنا السير بصمت.

"هل تريدين أن تخبزي كعكات قطع الشوكولا؟" قالت فارلي عندما عدنا إلى منزلنا.

"نعم".

"رائع. أعدّي قائمة بما نحتاجه وسأذهب لأحضر المكونات. لم لا نشاهد وثائقي جوني ميتشل الموضوع فوق الرف منذ عمر؟"

"بالتأكيد"، قلت. ذكّرني ذلك بالمرة التي اصطحبتني فيها أمي إلى McDonald's وأنا في الثامنة عندما ماتت سمكتي الذهبية. جلسنا على الأريكة نأكل البسكويت، سيقاننا متشابكة وبطوننا ظاهرة من البيجامات. كان غراهام ناش يتحدث عن الكلمات التي تعري الروح في أغنية Blue.

"أعرف كل كلمة في تلك المجموعة"، قلت. كانت المجموعة الوحيدة التي أخذناها معنا في الرحلة البرية التي امتدت ثلاثة أسابيع عندما حصلت فارلي على إجازة السوق في السابعة عشرة.

"أنا أيضاً، Garey هي المفضلة عندي".

"All I Want هي أغنيتي". توقفت عن تناول آخر قطعة معي من البسكويت ومسحت الفتات عن فمي، "على الأرجح لن نقوم برحلة كتلك مرة ثانية".

"لماذا؟"

"لأنك ستنتقلين للعيش مع حبيبك، سيكون شريكك في رحلاتك كلها".

"لا تكوني غبية"، قالت، "لا شيء سيتغير".

أود أن أوقف القصة للحظة لأتحدث عن "لا شيء سيتغير". لقد سمعتها تقال لي بأسلوب متكرر من النساء اللواتي أحببتهن خلال عشريناتي عندما كن ينتقلن للعيش مع أحبائهن، أو يخطبن، أو ينتقلن إلى الخارج، أو يتزوجن، أو يصبحن حوامل. "لا شيء سيتغير"، تقودني هذه العبارة إلى الجنون؛ كل شيء سوف يتغير. كل شيء سوف يتغير. الحب المتبادل بيننا سيبقى نفسه لكن نمط صداقتنا وإيقاعها وانتظامها وألفتها ستتغير إلى الأبد.

تعرفين، عندما تكونين مراهقة وترين أمك مع أفضل صديقاتها، ويبدو أنهن قريبات جداً لكنهن لا يشبهن أبداً ما أنت عليه مع صديقاتك، يكون هناك ألفة غريبة بينهن وقليل من الصعوبة عند بدء اجتماعهن. ستنظف أمك المنزل قبل أن يأتين وسيتحدثن عن سعال الأطفال ومخططات تصفيف شعرهن. عندما كنا أطفالاً، قالت لي فارلي مرة: "عديني أننا لن نصبح هكذا أبداً. عديني أننا عندما نصبح في الخمسين سنكون تماماً كما نحن الآن. أريد أن نجلس على الأريكة، ونملأ وجوهنا بالمقرمشات ونتحدث عن القلاع. لا أريد أن نصبح نساءً يجتمعن مرة كل شهرين من أجل عرض

حرفيتهن في NEC [52]". وعدتها لكنني لا أتخيل الجهد الذي يتطلبه تحمل ذلك النوع من الألفة مع صديقة كلما تقدم العمر، خاصّة أنهما لا تبذلانه بالضرورة في الوقت نفسه.

52 اللجنة التنفيذية الوطنية في بريطانيا.

شاهدت ذلك مراراً وتكراراً: المرأة تشق طريقها دوماً في حياة الرجل على نحو أفضل مما يفعل هو في حياتها. ستكون هي الشخص الذي يقضي معظم الوقت في شقته، وهو الذي يقيم صداقات مع حبيبات أصدقائه كلهن. ستكون هي الشخص الذي يرسل إلى أمه باقة ورود في عيد ميلادها. النساء لا يحببن هذا الهراء أكثر من الرجال لكنهن الأفضل فيه. إنهن يتعايشن معه فقط.

هذا يعني أنه عندما تقع امرأة من عمري في حب رجل تتحول قائمة الأولويات من:

1– العائلة

2– الأصدقاء

إلى:

1– العائلة

2– الحبيب

3– عائلة الحبيب

4– أصدقاء الحبيب

5– حبيبات أصدقاء الحبيب

6– الأصدقاء

ما يعني بالمعدل أنك لن تري صديقتك نهاية كل أسبوع وإنما سترينها كل ستّ عطلات مرة. فهي تصبح عصا سباق التتابع وأنت الشخص المنتظر في نهاية المسار، وستحصلين على دورك من أجل، لنقل مثلاً، حفلة عيد ميلادك أو وجبة غداء، ثم يكون عليك إعادتها إلى الحبيب لتبدأ تلك الدورة المملة الطويلة من جديد.

ستجتمع هذه الفجوات في حياتكما ببطء لتشكل بالتأكيد هوّة وسط صداقتكما. الحب يبقى موجوداً لكن الألفة لا. ستكون حياتكما معاً قد انتهت قبل أن تدركي ذلك. ستعيشان حياة منفصلة مع أحباب خاصين ثم تلتقيان للعشاء كل ستة أسابيع لتخبرا بعضكما عما تبدو عليه الحياة. أنا الآن أفهم لماذا كانت أمهاتنا تنظف المنزل قبل أن تأتي أفضل صديقاتهن لزيارتهن ويسألنهن: "إذاً، ما الجديد؟" بطريقة مبطنة ومرحة. أفهم كيف يسير ذلك.

لذا، لا تقولي لي عندما تنتقلين للعيش مع حبيبك إن شيئاً لن يتغير. لن تكون هناك رحلة برية ولا عطل كذلك. سأستعيد صديقتي مرة في الصيف كل ست سنوات ما لم يصبح لديها طفل لأنه في هذه الحالة سأحصل على الرحلة البرية في غضون ثمانية عشر عاماً. لا يكفّ هذا أبداً عن الحدوث. كل شيء سوف يتغير.

انتقلت فارلي للعيش مع سكوت في عيد ميلادي الخامس والعشرين. وجدا غرفة مع شرفة فوق السطح للإيجار في كيلبورن. كانت الغرفة مقابل نادٍ رياضي الأمر الذي وجداه جيداً لأنهما أحبا أن يلعبا الريشة الطائرة. أثارت ضجة لتخبرني أنه ثمّة حافلة مباشرة من كامدن إلى الطريق السريع في كيلبورن. استقليت هذه الحافلة باستياء في طريقي لحضور حفل الشراب في منزلهما الجديد.

أمضيت الحفلة أدخن دون توقف على شرفة السطح مع شقيقة فارلي المراهقة فلورنس، تجلس في حضني وتريني كتابها السنوي. لاحقاً، عندما ثملت، أخبرتها أنني كنت آمل في سري أن أحداً منهما لم يكن مخلصاً أو أن سكوت كان شاذاً، إذ سيكون على فارلي أن تعود إلى منزلنا. ضحكت وعانقتني.

''أكره ذلك''، قالت فارلي وهي تشير إلى قميص مانشستر يونايتد المغطى بتواقيع لاعبي الفريق والموضوع ضمن إطار ومعلق في الصالة، ما جعلني أشعر أنني كنت بحاجة إلى شيء ما أفرغ بؤسي فيه.

''نعم، إنه رهيب''، أجبت.

''العيش مع فتى ما هو إلا تنازل''، قالت

''العيش مع الفتيات أفضل بكثير''.

''الأفضل''، ابتسمت، ''هل أعجبتك الشقة؟''

''أحببتها. أظن أنك ستكونين سعيدة حقاً هنا''. وبانزعاج، صدقت ذلك أخيراً.

جاءت من الجامعة صديقتنا بيلّي حاملةً الغيتار وراغبة في الخروج للرقص عند نهاية كل أسبوع فحلّت محل فارلي واستمرت الحياة كالعادة. الثلاجة ما زالت ترشح، مرحاض الطابق السفلي بقي معطلاً. ما زال جوردن يجد طريقه إلى منزلنا، دون دعوة غالباً، في صباحات السبت، في محاولة لمنحنا قطع الأثاث القبيحة كـ''هدية'' لأنه لا يمكن أن يزعج نفسه بأخذها إلى المكب. ما زلنا نقوم بما نسميه ''خيار السيدات'' عندما تذهب واحدة منا إلى المتجر، وهذا يعني أن تحصل على أي لوح شوكولا وتعود به. في البدء، رأيت فارلي أكثر مما كنت أفعل عندما كنا نعيش معاً، ببساطة لأنها

كانت حذرة جداً في جعلي أشعر أن ليس هناك ما "تغير". لكن في النهاية بدأت لقاءتنا تقل. كل شيء تغير.

***

بعد ثلاثة أشهر من انتقالهما للعيش معاً كنت أجلس إلى مكتبي في العمل عندما وجدت في هاتفي دعوة من سكوت للانضمام إلى مجموعة "واتس أب" باسم "أخبار مثيرة".

لم أفتح الرسالة لأنني عرفت ما هي الأخبار. إنها اللحظة التي انتظرتها منذ أخبرتني فارلي أنهما سينتقلان للعيش معاً. لم أكن مستعدة للحقيقة ولذا تابعت العمل كما لو كان الأمر حلماً قيد الانتظار. رسالة لم ترسل في صندوق بريد الأرض. بقي هاتفي على مكتبي لساعة، والإشعار يحدق بي. أخيراً، تلقيت مكالمة من آج – التي دُعيت أيضاً إلى المجموعة – وطلبت أن أفتحها. تقول الرسالة إنه سيتقدم لخطبتها يوم عيد الحب بعد سنوات من موعدهما الأول. سألني هل بإمكاننا تأليف مجموعة من صديقاتها لنفاجئها في حانة بعد أن يكون رتّب كلّ شيء. قلت إنني أحب ذلك، وإنني لا أستطيع الانتظار، وأكاد أطير من الفرح.

بكيت لمعرفتي أنني خسرت ما بقي من المعركة التي كنت أخوضها مع مجهول.

دخلت ديلي.

"عصفورتي دولّي"، قالت، "ماذا يجري؟"

"لا شيء"، تمتمت.

"هيا"، أمسكت بيدي وأخذتني إلى غرفة مجلس الإدارة.

"أخبريني ماذا يحدث". أخبرتها عن الخطبة. كانت ملمّة بالقصة الطويلة وقد التقت فارلي بضع مرات قبل وكانت منجذبة إلى مثلث الحب: سكوت–فارلي–دولّي لسنوات. وصفت الأمر أنه مثل "حبكة واقعية متقنة التركيب".

"أعرف أنني أتصرف بطريقة تبدو ميلودرامية"، قلت بين التنهدات، "أعرف أن الناس يكبرون والأشياء تتغير لكن بحق المسيح لم أظن أبداً أن كل شيء سيتغير ونحن في الخامسة والعشرين فقط". نظرت إليّ وتنهدت وهي تهز رأسها بوقار.

"ماذا؟" سألتها.

"منذ انتقلتم إلى ذاك المنزل عرفت أنه كان يجب علينا تجهيز المكان بكاميرات التصوير"، قالت وهي تدوّر عينيها، "قلت هذا لديف آنذاك. أعرف أنك ستقولين إنك لا ترغبين أن تكوني مراقبة،

لكن كان في مقدور هذا الشيء أن يكون جزءاً من سلسلة لطيفة''.

جمعت صديقاتنا وأخبرتهن عن مخطط سكوت. رتبنا الزمان والمكان حيث سننتظرهما مع هدية. اشتريت لهما من متجر Etsy لوحة نقشت عليها كلمات شعرية: ''هناك ضوء لا ينطفئ أبداً''، أغنيتهم المفضلة لـSmith. قالت آج إنها ستشتري لي واحدة تكتب عليها: ''السماوات تعرف أنني بائسة الآن''.

لم أُرِد أبداً أياً من هذا. لم أرد أن تقضي فارلي عطلات الأسبوع كلها مع أصدقاء سكوت وزوجاتهم في حفلات الشواء في حي بالهام الرهيب. لم أرد رؤيتها تلحق بركب العشاءات. لم أردها أن تغادر بعد عام. لم أردها أن تتزوج. والأسوأ أن ذلك كلّه كان بسبب خطئي الجسيم، لو أعود فقط بالزمن إلى الوراء، فلا أجمعهما أبداً ولا أواعد هكتور ولا أعود إلى منزله في تلك الليلة المثلجة في نوتينغ هيل. تمنيت أن أستطيع العودة فأتجاهله عندما بدأ يتحدث إليّ على متن القطار. تمنيت أنني منذ البداية لم أصعد أبداً على متن ذلك القطار اللعين.

المشكلة في وجود شخص مثل فارلي في حياتك هي تلك القصة التي تبدو كقصتك. لم تكن تعيش الحياة التي رَسمْتُها لنا، وكنتُ في حداد على مستقبل أعرف أنه لن يأتي. إلى أن ظهر سكوت، كنا على المسار الصحيح للخطة: ذهبنا إلى الجامعة نفسها واخترنا أن نكون في القاعات عينها، ثم عشنا في بيت واحد لسنتين. حين تخرجنا ظننتُ أننا سنملك ''سنوات لندن'' لا ''سنة لندن''. أنه سيكون لنا منازل عدة وليس منزلاً واحداً... أننا سنقضي معاً في الخارج مئات الليالي التي تنتهي عند شروق الشمس وحفلات ومواعيد مضاعفة ورحلات إلى المدن الأوروبية وأسابيع تمر ونحن نتمدد جنباً إلى جنب على الشاطئ. ظننت أنه كان لدينا استحقاقات تجاه عشرينات بعضنا بعضاً قبل أن يتوجّب علينا حتماً أن تسلّم إحدانا للأخرى. شعرت أن سكوت سرق مني قصتنا. اقتنص مني عشر سنوات.

قبل شهر من موعد سكوت للخطبة، خرجنا في مجموعة مع فارلي لتناول الشراب في ليلة سبت. ''قال لي سكوت شيئاً غريباً هذا الأسبوع''، قالت. تبادلنا النظرات سراً بعيون مدهوشة رامشة ونحن نعرف أننا قد اتفقنا مسبقاً على طباعة كلمات أغنية Smiths ورتّبنا ليوم عيد الحب.

''تابعي''، قلت بجدية.

''قال إن لديه مفاجأة لي في عيد الحب، مفاجأة صغيرة لكنها أيضاً كبيرة جداً، أعرف أن هذا يبدو جنوناً لكن جزءاً مني يظن أنه ربما يكون خاتم خطوبة؟''

''لا أظن الأمر كذلك''، قالت لاسي فجأة، متأكدةً من تجنّب نظراتنا الحادة كلها، فلقاءُ جزء من الثانية كان سيفسد الخطة.

"لا، أعرف، أنت محقة، لن يكون كذلك"، قالت فارلي بسرعة مع ضحكة خجولة.

"نعم"، قالت آج، "أظن أنك فكرت في الأمر كثيراً صديقتي".

"ما الذي يمكن أن يكون صغيراً لكنه كبير؟ لا أستطيع أن أكتشف ما هو"، قالت فارلي.

"أووه، لا أعرف"، قالت لاسي، "ربما بطاقات طائرة من أجل عطلة أو شيء ما؟"

"ربما هي طوق لكلب"، قلت بحزم.

"ماذا؟" سألت.

"ذاك شيء صغير لكنه كبير جداً. ربما قرر أن يصبح رجل دين ويريد إبلاغك ذلك في يوم ذكراكم السنوية".

"أوه، أوقفي هذا، دولّي"، تنهدت فارلي.

"أو ربما... ربما"، قلت وفمي مليء بالنبيذ الأبيض، "ربما قرر أن يحصل على وشم مانشستر يونايتد على وجهه، يبدو صغيراً، لكنه بالفعل كبير حقاً". أشارت آج لي أن أتوقف بإيماءة سرية على الحنجرة، "أو ربما تكون مفاتيح قارب، ربما اشترى زورقاً سريعاً في نهر التايمز- تغيير هائل تماماً في نمط الحياة، خاصة إذا كان يرغب أن يسافر فيه إلى الخارج في عطلات نهاية الأسبوع. أتخيل أن صيانته مكلفة جداً. ربما هو كذلك. إنه رجل بحر لكنه لم يجد الفرصة أبداً ليخبرك بذلك".

"لا أريد أن أخمن أي شيء بعد"، تمتمت فارلي.

لم أستطع النوم في الليلة التي سبقت الخطوبة، كنت أفكر أن حياة فارلي على وشك أن تتغير وأنها لا تملك فكرة عن ذلك. أرسلت إلى سكوت رسالة نصية في الصباح التالي: "حظاً طيباً الليلة. أعرف أنك ستجيد الأمر، أتمنى أن تقول نعم. إن لم تفعل، فسيكون لطيفاً أنني تعرفت إليك. قبلاتي".

"شكراً لثقتك، دولز. قبلاتي"، أجاب.

جلسنا في الحانة، بانتظار رسالة نصية من سكوت.

"ماذا إن قالت لا؟" سألت آج. "هل سنعود إلى المنزل فقط؟"

"لن تقول لا"، قلت، "وإن قالت، فقد بحثتُ عن شيء آخر: هناك ديسكو في جادة كوكو يمكننا أن نذهب إليه ونرقص. ندفع عشرة جنيهات على الباب".

عند العاشرة، تلقيت رسالة نصية من سكوت يخبرنا أنهما خُطبا. قال لها إنهما سيخرجان لاحتفال شراب أخير قبل أن يعودا إلى المنزل. طلبنا زجاجة شامبانيا، وملأنا لهما كأسين ونظرنا من النافذة بانتظار وصول السيارة التي تقلهما. أخيراً رأيناهما يدخلان الحانة وضغطت آج على كفي المتعرق مرتين. الشِّفرة العالمية الصامتة.

''تهانينا!'' صرخنا عندما دخلت فارلي من الباب نظرت إلينا ذاهلةً مصدومة ثم إلى سكوت. ابتسم لها، فركضت إليّ وعانقتني.

''تهانينا''، قلت وأنا أعطي سكوت كأسه من الشامبانيا، ''لقد جعلت أفضل صديقة لي سعيدة''.

''أنا سعيد أنك واعدت ذاك الهكتور الأبله''، قال وهو يضحك، ''أحبك، دولّي''.

امتلأت عيناه بالدموع وهو يعانقني.

تساءلت هل يدرك مشاعري في تلك اللحظة، أو هل عرفها يوماً. ربما يكون هذا ما جعله يعمل لأكون جزءاً من ليلة خطبتهما. منحني مشروعي الخاص. جعلني أشاركهما بطريقة غير مباشرة.

بعد ساعتين طلبت فارلي أن أكون وصيفة الشرف لها. كنت قد شربت حصة الأسد من شامبانيا الاحتفال وكنت أشعر برغبة قوية. ''أريد أن ألقي خطاباً''، قلت لآج والتقطت شوكة لأطرق على كأسي.

''لا، عزيزتي''، قالت آج مبعدة الشوكة عني ومشيرة إلى الفتيات الأخريات ليزلن لوازم المائدة كلها عن الطاولة ويعطينها للنادل، ''لا خطابات''.

''ولكن أنا وصيفتها اللعينة''.

''أعرف، حبيبتي، لكن سيكون هناك الكثير من الوقت للخطابات''. عندما ذهبت آج إلى المرحاض، زحفت تحت الطاولة ووجدت مفاتيح سيارتها في حقيبة يدها. طرقت بها على الكأس: دينغ دينغ دينغ.

''عندما اكتشفت أول مرة أن سكوت وفارلي مخطوبان، نعم، بالتأكيد، انزعجت جداً من ذلك''، قلت.

''أوه، إلهي''، قالت بيلّي.

''لأنني عرفت غريبة الأطوار الصغيرة هذه لأكثر من خمسة وعشرين عاماً''.

''أكثر من خمسة وعشرين عاماً؟'' سألت لاسي هايكس.

''اخرسي!'' صرختُ مشيرة إلى لاسي. انسكب نبيذي على الطاولة.

''هذا هراء، أنت لم تعودي وصيفة الشرف بعد الآن!'' قالت فارلي المنزعجة بثمالة عبر الطاولة.

''ولكن عندما أنظر حولي، أرى أن العالم...''، ''توقفتُ من أجل تأثير درامي... هو تماماً كما يجب أن يكون. نخب أفضل صديقة لي فازت بالرجل الأفضل''.

''أووه''، قال الجميع متنفسين الصعداء.

''إلى سكوت وفارلي''، جأرت من خلال الدموع وجلست. صفق الجميع بعاصفة تهليل.

”جميل“، همست بيلّي لي، ”رغم أنني أعرف أنك أخذت ذلك من خطاب جوليا روبرتس في فيلم “My Best Freind’s Wedding.

”أوه، هي لن تعرف“، همست وأنا أحرك يدي.

ما زالت تتمة ذاك المساء، لأكون صادقة، علامة إلى يومنا. دعوت ديلي وزوجها اللذين كانا يحتفلان في المنطقة بيوم الحب إلى جانب المحتفلين. أديت رقصة كانكان قرب طاولة العشاء وأنا أغني ”one“ من مسرحية *A Chorus Line* وقمت بركلة عالية لصينية من الصحون وأوقعتها من يدي النادل لتتكسر بالكامل. ودّعت سكوت وفارلي ثم عدت إلى شقتي في كامدن وجعلت الجميع يواصلون تناول الشراب حتى السادسة صباحاً. استيقظت قرب هايكس التي كانت نصف عارية سعيدة بكتابة happy valentine day على صدرها بالكحل السائل.

قضيت اليوم التالي أشاهد صور خطوبة فارلي (لا أريد أن أبدو كارهة جداً لهذا التفصيل تحديداً، لكنني افترضت أن مساءً واحداً كان كافياً) منشورة على مواقع التواصل الاجتماعي. كان هناك حفل شواء عائلي، غداء في مطعم Wolseley، أصدقاء سكوت وزوجاتهم يغرقونها بالهدايا مثل دفتر مخطط الزفاف Smythson وزجاجات من الشامبانيا، ما جعل اللوحة ذات الإطار التي قدمتها تبدو سخيفة نوعاً ما. شعرت أنني كنت مثل الحكيم المنسي الرابع[53] (الذي اشترى قطعة بالية من Etsy). ”أظن أنك وجدت ليلة الجمعة غامرة تماماً“، قالت فارلي على الهاتف، ”هل أنت بخير؟“

53 الحكيم الرابع: التعبير مقتبس من الرواية القصيرة *The Other Wise Man* [الحكيم الآخر] بقلم هنري فان دايك 1895.

”أنا بخير!، لا أعرف ماذا تعنين بـ’غامرة‘، أقصد لست أنا من خُطبت. أنت التي بدوت مأخوذة. رأيت على ”فايسبوك“ أن ميشيل اشترت لك كتاب مخطط الزفاف Symthson، ذلك لطيف، أليس كذلك؟“

”هل تريدين أن نخرج لتناول العشاء الأسبوع المقبل، نحن الاثنتين فقط؟“

”بالتأكيد“.

أرسلت بريداً إلكترونياً إلى هكتور للمرة الأولى منذ أربع سنوات.

”هل تذكرني؟ سكوت وفارلي سيتزوجان. شكراً لله أنك أرسلتني إلى مطبخك عارية“.

ردّ عليّ أنه تابع الأخبار على ”فايسبوك“، وأخبرني أنه غادر المدينة في رحلة عمل وأن لديه حساب نفقات هائل وسألني هل يستطيع اصطحابي إلى غداء مع شراب لنشرب نخب مهارتنا كخاطِبِين. ظننت أننا كنا خاطبين سيئين، لكنني قلت نعم لأنني محبطة بشدّة. بحثت في صندوق

بريدي عن رسائله القديمة الإباحية في دفعة هياج من الحنين الإجباري. ألغيت الغداء قبل الموعد المحدد بيوم.

"لماذا في رأيك أرسلتِ إليه بريداً إلكترونياً؟" سألتني فارلي بين قضمتين من شطيرة البرغر على العشاء بعد بضعة أيام.

"لا أعرف. أظن أنني أريد حبيباً فقط".

"حقاً؟" سألت وهي تمسح فمها بمنديلها، "أنت دوماً تقولين إنك لا تريدين واحداً".

"نعم، لكن مشاعري تغيرت أخيراً".

"ما الذي أثار ذلك؟"

ما الذي أثار ذلك؟ كنت أشعر بالغيرة. ليس من سكوت هذه المرة؛ كنت أشعر بالغيرة من فارلي.

"أنك خُطبت".

"لماذا؟" سألت.

"لأنني أكره أن تكون حياة كلتينا مختلفة جداً الآن. أكره أننا كنا دوماً نفعل الأشياء في الوقت نفسه والآن لسنا كذلك"، تنهدت، "أكره أن أطفالنا سيكونون بأعمار مختلفة جداً. أكره أنك على وشك أن تشتري شقة مع رجل، وأنا عليّ أن أتوسل إلى مالك منزلي ليسمح لي أن أتأخر ثلاثة أسابيع في دفع أجرة هذا الشهر. أكره أنك تتجولين في سيارة Audi التي حصل عليها سكوت من العمل، وأنا لا أزال لا أستطيع القيادة. أكره أن أصدقاءه مختلفون جداً عني، وأنا خائفة أنهم سوف يبعدونك لأن حيواتهم تشبه حياتك الجديدة وحياتي ليست كذلك. أعرف أن هذا يبدو جنوناً وأنه لا يتعلق بي وأنني أفسد لحظتك الخاصة وأنني يجب أن أكون سعيدة من أجلك، لكنني أشعر أنني خلفك بكثير وأنا قلقة أنك ستغيبين عن ناظري".

"بصراحة، لو أنك التقيت زوجك عندما كنا في الثانية والعشرين، لكنت سأجد ذلك صعباً جداً"، قالت.

"حقاً؟"

"بالطبع! كنت سأكره ذلك".

"أشعر أنني سأجن".

"لن تجنّي، كنت سأشعر بالشيء نفسه لكنني لم أختر أبداً أن ألتقي سكوت عندما كنت في الثانية والعشرين. لم أبحث عن زوج".

"نعم"، قلت ببرود.

''وسأكون موجودة للاحتفال واختبار معالم حياتك كلها سواء أكانت الشهر المقبل أم في غضون عشرين عاماً''.

''أربعين عاماً غالباً''، تمتمت، ''ما زلت لا أستطيع العيش في شقة فيها ستائر''.

''لم نعد في المدرسة. الأشياء ستحدث في أوقات مختلفة. ستفعلين بعض الأشياء قبلي أيضاً''.

''مثل ماذا؟ المخدرات؟''

أخيراً أقمت سلامي مع سكوت. أدركت أنه لن يذهب إلى أي مكان. قضيت وقتاً معهما ولعبت جيداً دوري كمتلقٍّ، كعجَلة ثالثة رسمية. دورٌ مزعج جداً لكنني أؤديه على نحو جيد. فمن بين السنوات التي سأعيشها على هذه الأرض حفنة منها فقط سأقضيها في علاقة. أنا ضليعة ومدربة على دور العجلة الثالثة، أنا العجلة الثالثة، دولّي ألدرتون.

أمضيت شبابي كله أجول حول صديقاتي وأحبائهن. مبتسمة دوماً في حين أنهم يتظاهرون بالعراك على الأريكة أمامي أو بلعب لعبة الأفعى على هاتفي، فيما هم يتبادلون القبلات في زاوية الغرفة. أبتسم وأتظاهر أنني لا أفهم. قضيت معظم الأمسيات في عشريناتي على هذا النحو. تركتهم يتجادلون جدالات كاذبة أمامي حول من عليه أن يملأ أو يفرغ آلة غسل الصحون هذه المرة. أضحك دوماً عندما يخبرونني قصصاً طويلة عن عادات نومهم. أصمت وهم يناقشون بحيوية تفاصيل حيوات أناس لم أسمع بهم أبداً. ''مستحيل؟! بريا لم ينتهِ بها الأمر إلى شراء هذا البلاط؟ لا أصدق هذا! بعد كل ذلك! أوه، إلهي، عذراً، اشرح لدولّي من تكون بريا والقصة كاملة عن الغرفة العلوية من البداية إلى النهاية''، ليؤكدا أنهما يملكان حياة مثيرة جداً لست جزءاً منها. وطوال ذلك أتظاهر أنني لا أعرف لماذا أنا العجلة الثالثة، لماذا أضحك وأصغي هكذا. لكنني أعرف طبعاً أنني مجرد منشط جنسي طبيعي في لعبتهما، وأنني متى غادرت سيمزقان ملابس بعضهما بعضاً بعد أن منحوني كلّ شيء، بما في ذلك خطابهما المشترك حول عطلتهما في الفيليبين، خاصة عندما يجيبان باسم الجزيرة نفسها حين أسألهما عن الجزء الأفضل في الرحلة. أنا مجرد جمهور ممانع فقط.

لكنني أجلس وأراقب كلّ هذه العروض على أي حال لأن البديل – خسارة صديقاتي – ليس خياراً.

وعندما لم تكن فارلي وسكوت يؤديان دورهما أمامي، اكتشفت مصدومةً أنني وسكوت بتنا على ما يرام. في الحقيقة، أزعجني أنني لم أدرك ذلك سريعاً، لأنني كنت سأستمتع برفقته عندما كان قريباً، حين كنا أنا وفارلي نعيش معاً، بدلاً من أن أشخر في وجهه فقط. كان مسلياً وذكياً يقرأ

الصحف ولديه آراء حول الأشياء. تحول سكوت ليكون شاباً رائعاً تماماً وبدا واضحاً جداً لي، عندما أذكر أن فارلي اختارت الزواج بشخص لطيف، أنني كنت مخطئة جداً.

لم أكن أساعد فارلي بحماسة في التخطيط لزفافها فقط؛ كنت أيضاً أبذل ما هو أكثر من جهد مع أصدقائه. بعدما كنت في الماضي أقوم بأداء محرج جداً كلما التقيتهم لتأكيد أنني مختلفة عنهم. ثملت جداً أثناء غداء يوم الأحد في منزلنا ذات مرة وألقيت عليهم محاضرة حول مبدأ ''اللحم قاتل'' وهم يتناولون لحم الحمل المشوي. ذات مرة في حانة اتهمت واحداً من أصدقائه بأنه عدو للمرأة لأنه علق على طولي. لكن بعد خطوبة فارلي وسكوت حاولت الاسترخاء قدر استطاعتي، وأن أكون مهذبة وأتعرف إليهم. كانوا، بعد كل شيء، الناس الذين ستقضي معهم معظم وقتها الآن. لا بد أن يكونوا ممتعين بعض الشيء. ثم فجأة في مساء أحد أيام الجمعة في أغسطس توقفنا كلنا عن التفكير في الزفاف عندما تم تشخيص إصابة فلورنس، شقيقة فارلي التي عمرها ثمانية عشر عاماً، بسرطان الدم. ''عُلّقت الحياة''، امتنع والد فارلي عن الحياة في الأشهر التي تلت. الحياة معلقة. أُجّل الزفاف عاماً، إذ كانت فلورنس الوصيفة وأرادوا أن يتأكدوا أنها ستكون بحالة جيدة كفاية في الموعد. قضيت شهوراً مهووسة بالزفاف والآن لم أعد أستطيع الاهتمام به لو قليلاً.

بعد شهر من التشخيص كان عيد ميلاد فارلي السابع والعشرين. أردنا أن نحتفل معها لصرف تفكيرها عن مرض فلورنس لكنها كانت منهكة بعد أن قضت كل ساعة استطاعتها في المستشفى. لم ترد أن تشرب، أو أن تكون في حشد كبير، ولا أن تتحدث عن أمورها أمام عدد كبير من الأشخاص. لم تستطع عائلتها الحضور لأنهم كانوا مقيمين في المستشفى. قرر سكوت أن نذهب، أنا وآج، إلى شقتهما الجديدة، وهو سوف يعد العشاء لأربعة أشخاص.

أول عيد ميلاد لفارلي شاركتها الاحتفال به كان الثاني عشر. لقد أطفأت شموعاً في أعياد ميلادها معي أكثر ما فعلت من دوني. أذكر أول عيد ميلاد كأنه كان أمس، عندما كانت لا تزال مجرد صديقة. جلست قربها في دروس الرياضيات. ارتدت فستاناً زهرياً من Miss Selfridge ورقصنا على أنغام الماكارينا في قاعة الكنيسة في بوشي.

لكن عيد ميلادها هذا لم يكن يشبه أياً من أعياد ميلادها التي احتفلنا فيها معاً. كانت فارلي أصغر بكثير مما رأيتها في حياتي. كانت ضئيلة وهشة مثل عصفور صغير. لم يكن هناك عناق صاخب ولا شراب احتفال. كنا هادئين ولطيفين. أكثرنا هدوءاً ولطفاً كان سكوت.

بدأ التحضير باكراً بالذهاب إلى متجر السمك لأننا، أنا وآج، توقفنا عن تناول اللحوم. أعد طعام البحر بطريقة رائعة وزين الأطباق بالشمرة والبرتقال مع بطاطا مشوية وقدمها بطريقة تضاهي ما

يقدم في برنامج Master Chef. قبّل جبين فارلي في كل مرة سار فيها إليها. أمسك يدها تحت المنضدة. رأيت الرجل الذي وقعت فارلي في حبه.

أرسلت رسالة نصية إلى سكوت وهو في المطبخ لأخبره أنني خبأت قطع الكعك الصغيرة الخاصة بعيد الميلاد تحت الأريكة. انتظرنا حتى ذهبت فارلي إلى المرحاض وسدّت آج الباب بكرسي بينما نشرت قطع الكعك من الطبق الكبير بسرعة كبيرة وفتش سكوت عن عيدان الثقاب.

''ماذا يحدث!'' صاحت فارلي.

''دقيقة واحدة!'' صرخت بينما كنا، أنا وسكوت، نضيء الشموع. غنينا لها ''عيد ميلادٍ سعيد''. وقدمنا إليها الهدايا والبطاقة. أطفأت الشموع وضحكت بينما كنا ثلاثتنا نضمها في عناق جماعي كبير.

''لماذا استغرق هذا وقتاً طويلاً؟'' سألت، ''هل خبزتهم بينما كنت أتبول؟ حُجزت هناك لوقت طويل لعين، بدأت أقوم بتمارين للأفخاذ''.

''أي تمارين للأفخاذ؟'' سألت آج.

''أوه، هذه حركات جديدة قرأت عنها''، بدأت تتحرك إلى الأعلى والأسفل، وبدأ شيء من لونها الحيوي القديم يعود إلى وجهها، ''أجرّب، وأقوم بها كل صباح. لا أظن أنها تصنع أي فرق. ساقاي لا تزالان تبدوان مثل مفاصل خنزير عملاق''. بدأت آج تتحرك إلى الأعلى والأسفل بثبات متبعة تعليمات فارلي كما في فيديو Rosemary Conley.

نظر سكوت إليّ من الجهة الأخرى والتقت نظراتنا. ابتسم لي وقال: ''شكراً''. ابتسمت له في المقابل وأدركنا في تلك اللحظة أن العالم كان بيننا. البعد غير المرئي الذي خُلق من التاريخ والحب والمستقبل الذي تشاركناه مع شخص واحد. عرفت بعدها أن كل شيء تغير؛ عبرنا. لم يختر أحدنا الآخر. لكننا كنا عائلة.

وقائع موعد سيئ: فاتورة مطعم 300 جنيه

إنّه ديسمبر 2013 وأنا في موعدي الثالث مع مستثمر وسيم التقيته عبر تطبيق Tinder. إنه أول رجل ثري أواعده في حياتي ويذهلني أنه ينفق المال عليَّ. أحياناً عندما يلتقط الفاتورة بأدب، أشعر بالإغراء، فهذا يشبه طريقة غَزَلِ البالغين. في لحظات أخرى، شعرت بالإحباط من نفسي كيف أقتنع بسهولة أن يشتري الشامبانيا لي شاب أكبر مني ويملك سيارة سريعة ومشكلة مع الشراب. هذا الإحباط كان يتبدّى في هيئة غضب خارج عن السيطرة تجاهه.

"لا تستطيع امتلاكي!" أصرخ دون سبب في مطعم May fair الذي اختاره، بعد ثلاث زجاجات من النبيذ، "أنا لست ملكك، لن أسيء إلى نفسي بقبول كل شي فقط لأنك ستشتري لي سرطان البحر! أستطيع شراءه لنفسي!"

"جيد، عزيزتي، اشتريهِ لنفسك"، قال.

"سأفعل!" أضحك بصوت عالٍ، "ولا أريد مشاركتك، سأدفع المبلغ كاملاً".

تأتي النادلة مع فاتورة 300 جنيه.

أذهب إلى المرحاض لأرسل رسالة إلى شريكتي في السكن، آج، لتسلّفني 200 جنيه تحولها إلى حسابي فوراً.

وقائع الحفل السيئ: منزلي في كامدن، عيد الميلاد، 2014

منذ انتقالنا إلى منزل كامدن، قبل عامين ونصف، كنت متحمسة لإقامة حفل من وحي رود ستيوارت، لأنني أظن أنه، كمفهوم، يرمّم الفجوة بين المجموعات المؤمنة بمعايير صارمة لاحتفال عيد الميلاد، ومتعة حفلة منزل للشباب المهملين بعمر العشرينات.

على مضض، وافقت صديقتاي في السكن، بيلّي وآج، أن تكون حفلة شراب عيد الميلاد خاصتنا على اسم ستيوارت، لكنهما أصرتا على أنهما لن تتحملا المسؤولية.

أنهكتُ باكراً وأفلست وأنا أتتبع آثار ستيوارت في التحضير للحفلة. أحضرنا أكواباً بلاستيكية عليها صورة وجهه، وصحون سجائر ستيوارت، وفطائر mince طلبناها خصيصاً مغلّفة بوجه ستيورات المصنوع من السكر، وصورة لستيوارت بالحجم الواقعي عليها توقيعه وضعناها قرب المرحاض، وشريط ستيوارت مكتوب عليه "عيد ميلاد مجيد، حبيبي!" أتت صابرينا وإنديا وفارلي ولورين ولاسي باكراً ليساعدوا في تزيين المنزل من الخارج مع ديكورات رود، واتفقن جميعهن مع بيلّي وآج أن ذلك كان إضاعة تامة للمال.

"أوه، يا إلهي"، أقول وأنا أعلق الشريط على الجدار بينما تمسك صابرينا الكرسي الذي أقف عليه، "انتبهت للتو فقط أن ملصقات الوجوه التي طلبتها لم تصل حتى الآن. هل تظنين أن أحداً سيهتم؟"

"لا"، تنهدت، "لن يهتم أحد سواك بأي من هذه الأشياء".

كانت صديقتي الأميركية الجديدة الفاتنة والصاخبة إلى حد ما، التي التقيتها مرة واحدة فقط، أول الواصلين عند السابعة تماماً بصحبة حبيبها ذي اللحية. كان واضحاً أنهما أمضيا اليوم بطوله في تناول الشراب. وأحضرا أيضاً كلبهما من سلالة كلاب الملك شارل، وهو يرتدي سترة ميلاد صغيرة.

لم يأتِ الضيوف الآخرون حتى التاسعة، ولذا حاولنا أن نتواصل مع ضيفينا اللذين وصلا أولاً، ولكن – للأسف – أُغمي على الحبيب على الأريكة وكلبه فوقه لبقية الأمسية، فكان على مرأى مباشر لأي شخص يدخل إلى الحفلة. وصل الأصدقاء واحداً واحداً. جرت الأمور بطريقة متكلفة. استمر الرجل مغمياً عليه مع الكلب فوقه، الأمر الذي خلق مشهداً خاطفاً للأبصار عند الداخلين إلى

الحفلة. يدخل أحد الضيوف – وهو صديق لصديق يعمل مخرجاً لفيديوهات موسيقية من بيكهام اللطيفة – يلقي نظرة على المشهد، ويقول إن ثمّة حدثاً آخر نسي أنّ عليه الذهاب إليه. ويغادر.

في منتصف الأمسية، أذهب إلى الحمام لأستريح قليلاً من الحشد غير المنسجم، والمؤلف من مجموعات منفصلة تماماً ليس لديهم ما يتبادلونه من حديث. "you wear it well" تتكرر في الخلفية فيما يتذمر الحاضرون من أن الأغاني هي لرود فقط. وجدتُ آج وبيلي في الداخل: آج تجلس على المرحاض، وبيلي إلى جانب حوض الاستحمام، نتحدث كم هي سيئة الحفلة. نفكر في طرائق نستطيع بها حمل الجميع على المغادرة لإنهاء الأمر. تقول آج إنها تحتاج الاستلقاء عشر دقائق لأنها متعبة وفي حال سيئة وبائسة. يطرق أخي على باب الحمام ويدخل.

"حشد غريب تماماً هناك في الأسفل، يا أصدقاء"، يقول.

عندما أعود إلى الأسفل أجد أن كتلة الضيوف تضاءلت. ثمّة شاب طويل جداً حليق الرأس بسترة جلدية يدهم الثلاجة.

"أوه، مرحباً. من أنت؟" أسأل.

"طُلب مني أن آتي إلى هنا"، يقول الشاب بلهجة رومانية ثقيلة وهو يكرع علبة جعة قدمها إلى نفسه، "من أجل طلب توصيل".

"توصيل؟"

"نعم"، يقول، وهو ينظر إليّ بطريقة مريبة، "توصيل".

"حسناً، هل تمانع فقط أن تنتظر هنا"، وجّهته نحو الباب الأمامي. أدنو من الأميركية التي كانت ترقص Slow مع كلبها ذي السترة على أنغام أغنية "sailing"، بينما يرنو الجمهور الحائر إلى حبيبها المغمى عليه فوق الأريكة منذ ثلاث ساعات.

"حسناً، أظن أنّ تاجر المخدرات، التي طلبها أحد ما، هنا"، أعلنت بانزعاج للحشد، "آسفة أن أفسد حفلة – وأنا لا ألومكم لرغبتكم أن تنتشوا في هذه الحفلة السيئة – لكن هل يمكنكم لو سمحتم الطلب من تجار المخدرات جميعهم أن ينتظروا خارجاً، أو على الأقل في الممر".

تنتهي الحفلة بعد منتصف الليل بوقت قصير.

في الصباح التالي، تحدثنا، أنا وبيلّي، ونحن نحتسي القهوة كيف أصبحت الأمور بهذا السوء. أقول إن التحضير للموضوع بُني ربما على توقعات عالية جداً.

"أنت جعلت رود عبئاً"، تقول وهي تومئ بحكمة.

نحتفظ بلوحة رود ستيوارت في غرفة المعيشة لمدة... للتذكير بألا تتجاوز نفسك أبداً في هذه الحياة. زيناها وفق الأحداث، ووضعنا حمالة صدر وردية عليها خلال أحداث فضيحة اللورد سيول، وقبعة عيد القديسين في يوم القديس باتريك. عندما ننتقل من الشقة بعد ثمانية أشهر ونحزم أمتعتنا لا نترك شيئاً باستثناء صورة ستيوارت وسط غرفة المعيشة، تحمل لعنة الحفلات السيئة للمستأجرين المستقبليين.

وصفة: شطيرة الطرد من النادي
(وصفة لشخصين)

تؤكل بانتظام مع آج ونحن نجلس إلى منضدة المطبخ نؤرجح سيقاننا إلى الأمام والخلف. نتحدث بصوت عالٍ عن الكاذب الغبي الذي قال إننا كنا ثملتين جداً لنعود إلى الداخل ولذلك "نتخلى عن بقية المجموعة".

- بيضتان
- 4 شرائح من الخبز (يفضل خبز العجينة المتخمرة، خبز هوفيس الأبيض مقبول)
- مايونيز
- خردل ديجون
- جرجير (اختياري)
- زيت زيتون وزبدة، للقلي
- ملح وفلفل أسود، للنكهة

نقلي البيض بزيت الزيتون وقليل من الزبدة في مقلاة حامية. نضيف ملعقة من الزيت فوق البيض مرة أو مرتين لضمان نضج الصفار.

نحمّص الخبز.

لكل شطيرة، ندهن شريحة واحدة بالمايونيز وشريحة بالخردل. نملأ كل شطيرة ببيضة مقلية واحدة وحفنة من الجرجير. ننكّه مع الملح والفلفل.

نأكلها بنحو خمس قضمات كبيرة. اجعل الخردل يملأ وجهك.

اسكب أي كحول متبقٍ في شقتك في إناءين نظيفين (بالنسبة إلينا، كان هذا عادة الزجاجة فودكا Toffee القديمة التي حصلت عليها فارلي في عيد الميلاد 2009 والتي بقيت في الجزء الخلفي من الثلاجة).

شغل تسجيل مارفين غاي.

وقائع موعد سيئ: في منتصف النهار
تبادل قُبلات بوعيٍ كامل

ربيع 2014، أستيقظ على صوت منبهي يوم السبت في التاسعة صباحاً. بعد خمس ساعات من النوم. كان هناك رسالة "واتس أب" من مارتين، الأميركي الوسيم، "عزيزتي دول، هل ما زلنا على الموعد لفنجان قهوة؟" أشعر أن رأسي مقلوب كجوربٍ متسخ، لكنني أبلغه أنني سأكون هناك. تعارفنا عبر تطبيق Tinder قبل ثلاثة أيام وجمعتنا اهتمامات مشتركة كثيرة: "لا أصدّق، إنّه ألبوم Springsteen المفضل لدي"، "أنا أؤمن بالتناسخ أيضاً"، "نعم، ربما نحن جميعاً هائمون"، وما إلى ذلك من أحاديث. في هذه اللحظة، بينما أنبش غرفتي بحثاً عن الرموش الاصطناعية التي استخدمتها في الليلة السابقة لأعيد لصقها فوق عينيّ، أنا مقتنعة أنني سوف أنتقل معه إلى سياتل الشهر المقبل، لأن الحل المنطقي الوحيد لامرأة عازبة تعاني الصداع ومحرجة، لأنها سقطت من الحافلة في الليلة السابقة، هو الزواج والهجرة.

الزي: سترة Aran ضخمة تلبس كثوب بسبب ضخامتها، سروال قصير مثير لأن سراويلي الجينز الطويلة كلها متسخة، وزوج من الجوارب الطويلة مع حذاء أبيض خفيف.

"تخرجين دون معطف؟" علقت آج رفيقتي في السكن وأنا أندفع أمامها على الدرج.

"لا حاجة إليه"، أقول بحيوية.

"بالمناسبة، تفوح منك رائحة Baileys "، تصيح وأنا أغلق الباب.

يجلس مارتين إلى البار في مطعم Caravan King’s Cross. لحسن الحظ أنه يشبه صوره. يكتب في دفتر وأنا أصل، فأظن أنه يضيف لمسة لطيفة من الدراما إلى أجندة الروح الضائعة والرحالة التي يقدمها على حسابه على "إنستغرام" الذي تفحصته مسبقاً.

"ماذا تكتب؟" أسال من فوق كتفه. يستدير، ينظر إليّ ويبتسم.

"ليس من شأنك"، يجيب ويقبلني على خديّ. هذا غزل كبير. ونحن حتى لم نحتسِ القهوة بعد، ناهيك عن ستة أكواب من الجعة. أظن هذا لأنه أميركي.

يخبرني مارتين قصة حياته: يعمل في مجال الرسوم التوضيحية، هو من سياتيل، عمره أربعين عاماً، يكسب الكثير من المال من عمل كبير، وقد قرر استخدامه ليجول حول العالم سنةً ليكتب

كتاباً، يجري بعض السياحة الجنسية على تطبيق Tinder ليلتقي أشخاصاً جدداً، هو في إنكلترا لشهر ويريد قضاء بضعة أسابيع إضافية في لندن، ثم يسافر من جديد.

(ملاحظة جانبية: لاحظت في ذلك الوقت أن مارتين كان غامضاً، بالتحديد حين سألته عن موضوع كتابه. لم يقل سوى إنه ليس خيالياً. لاحظت أيضاً أنه كتب شيئين وأنا أتحدث. وقد حمل الدفتر معه حين دخل إلى المرحاض وبقي هناك وقتاً طويلاً. فقررت أنه: أ– كانت أمعاؤه تتحسس من الكافيين وتطلبت أن يمضي بعض الوقت في المرحاض لتسترخي مع أفكاره ب– كان رجلاً سرياً تماماً وشعر أنني شخص يعاني من الصداع، وفضولي دون حدود، وربما يريد أن يقرأ دفتره عندما يذهب إلى المرحاض ج– كان يكتب شيئاً محرجاً مثل قائمة تسوقه المنظمة أو عدد الأشخاص الذين نام معهم ولم يرغب في أن أقرأ ذلك د– كان يكتب كتاباً عن النساء اللواتي واعدهن في إنكلترا وكنت التالية. حتى اليوم ما زلت أظن أنّ الخيار د كان هو الصائب. ما زلت أنتظر رؤية كتاب يدعى "عاهرات ممتعات ومن دون خبرة: وقتي مع النساء الإنكليزيات" على الرفوف في Waterstons مع مقطع محرج عني).

بعد أن نتناول القهوة، نجلس على مقعد خارج المقهى نحدق إلى الماء يتدفق من النوافير بطريقة إيقاعية إباحية، ويقرأ اقتباسات من همنغواي، الأمر الذي أظنه إفراطاً في المبالغة، لكنني أستمتع بالإيقاع الغريب للموعد فأتناغم معه. يخرج دفتراً آخر شرحه باحتوائه خرائط لكل بلد زاره. مساراته منظّمة كآثار في غاية الدقة. أسأله هل لديه فتاة في كل ميناء. يضحك ويقول بلهجته الرائعة المزعجة: "شيء من هذا القبيل".

يمسك يدي ويقودني إلى أسفل الدرج أمام كلية القديس مارتن المركزية للفنون وصولاً إلى القناة. نمشي قليلاً حتى نقف تحت أقرب جسر. يفك أزرار معطفه ويسحبني داخله ويلفه حولي. يقبل رأسي، خديّ، رقبتي، شفتيّ. نتبادل القبل لنصف ساعة.

الوقت يشير إلى الحادية عشرة صباحاً.

نفترق، أنا ومارتين، في الحادية عشرة والنصف. نتبادل الشكر على الصباح اللطيف. أعود إلى السرير في الثانية عشرة ونصف وأنام طوال بعد الظهر. أستيقظ عند الرابعة مقتنعة أنني حلمت بكل ما جرى.

بطريقة متوقعة، يختفي مارتين بعد قهوتنا الصباحية. حتى حين قال إنه سيتصل بي ليخبرني متى يكون موعدنا المقبل كان غامضاً. بعد أسبوع، أندفع في ليلة الجمعة، بتأثير النبيذ وتشجيع من أصدقائي وأرسل إلى مارتين رسالة "واتس أب" مليئة بالأخطاء الهجائية أسأله: "هل بإمكاني أن

أكون صريحة؟" وأقترح أن أباشر معه علاقة أفلاطونية لكن جنسية وهو في لندن. أقترح أن أصبح "فتاته في ميناء لندن". أخبره أن هذا "ما كان همنغواي ليفعله".

لم يراسلني مارتين ثانية أبداً.

كل ما عرفته عن الحب في الخامسة والعشرين

يحب الرجال المرأة التي تتمنع عنهم. دعيهم ينتظرون خمسة مواعيد على الأقل قبل أن يمارسوا الجنس معك. ثلاثة مواعيد على أقل تقدير. بتلك الطريقة، تضمنين اهتمامهم.

أحباء صديقاتك المقربات سوف يبقون حولك بإزعاج. معظمهم لن يكونوا تماماً كما تخيلتِ أن أفضل صديقاتك سينتهين معهم.

يمكن شراء حمالات الجوارب بثمن رخيص وبالجملة.

المواعدة على الإنترنت للفاشلين وأنا من بينهم. كوني شكاكة إلى أبعد حد في الأشخاص الذين يدفعون لوضع صورة شخصية محرجة على موقع مواعدة.

انسي ما قلته سابقاً عن استخدام الكريم المزيل للشعر عندما تواعدين أحدهم. إذا ذهبت من دون شعر، فأنت تتخلين عن الأختيّة. نحتاج اتخاذ موقف ضد التحكم الذكوري بالجسم الأنثوي الجميل.

لا تختاري أبداً ألبوماً بجودة Blood on the Tracks ليكون "ألبومنا" مع حبيب، لأنك بعد سنوات من الانفصال ستبقين غير قادرة على الاستماع له. لا ترتكبي ذلك الخطأ في الحادية والعشرين.

إذا أحبك رجل لأنك نحيلة، فهو ليس رجلاً على الإطلاق.

إذا كنت تظنين أنك تريدين الانفصال عن أحدهم، لكن الأمور العملية تعيق الطريق إليك الاختبار، تخيلي أنك تستطيعين الدخول إلى غرفة وتضغطين زراً كبيراً أحمر ينهي علاقتك دون ضجة، دون محاورات انفصال، دون دموع، دون أن تأخذي أشياءك من منزله... هل تفعلين ذلك؟ إذا كان الجواب نعم، عليك الانفصال عنه.

بقاء رجل عازباً وهو في الخامسة والأربعين يكون لسبب ما. ابحثي لتعرفي ما هو.

أسوأ شعور في العالم هو أن تُهجري لأنهم يقولون إنك لم تعودي تعجبيهم.

أرجعي الرجل دوماً إلى منزلك، ثم يمكنك خداعه للبقاء من أجل الفطور وكذلك ليقع في حبك.

الجنس العفوي نادراً ما يكون جيداً.

الرعشة الزائفة ستجعلك تشعرين بالذنب والسوء ولن تكون عادلة بحق الرجل. استخدميها بين حين وآخر.

بعض النساء محظوظات وبعضهن لسن كذلك. هناك شبان طيبون وشبان سيئون. هي مسألة حظ مطلق، إلى من ستنتهين، وكيف تجري معاملتك.

ستهجرك أفضل صديقاتك من أجل الرجال. سيكون وداعاً طويلاً وبطيئاً، لكن اصنعي سلامك مع هذا واصنعي أصدقاء جدداً.

في ليالي الوحدة الطويلة، عندما تزحف مخاوفك إلى دماغك مثل الصراصير ويجافيك النوم، احلمي بالوقت الذي كنت محبوبة فيه في حياة أخرى، حياة من التعب والدم[54]، تذكري كيف سيبدو أن تجدي ملجأً بين ذراعي أحدهم. تمني أنك ستجدين ذلك من جديد.

54 اقتباس من كلمات أغنية لبوب ديلن.

أسباب ليكون لديك حبيب
أسباب كي لا يكون لديك حبيب

أسباب ليكون لديك حبيب

– ستحصلين على الأرجح على كعكة عيد ميلادك المناسبة
– الدخول إلى Sky TV؟
– شيء لتتحدثي عنه
– أحد تتحدثين إليه
– وقت بعد ظهر أيام الأحد
– تعاطف أكثر عندما تخطئين في العمل
– أحد يتحسس مؤخرتك في الطابور من أجل الفشار
– العطلات مكلفة جداً لشخص واحد
– من المستحيل أن تضعي واقي الشمس على ظهرك بمفردك
– لا يمكنك أحياناً أن تأكلي بيتزا كبيرة كاملة بمفردك
– ربما يكون لديه سيارة
– لطيف أن تعدي شطيرة لشخص آخر غيرك
– لطيف أن تفكري في شخص آخر غيرك
– الجنس المنتظم ليس غريباً
– سرير أدفأ
– الأخريات جميعاً لديهنّ واحد
– إذا كان لديك واحد، سيظن الناس أنك محبوبة
– إذا لم يكن لديك واحد، سيظن الناس أنك سطحية ومتعطلة
– الخلاص من أنك لا تغازَلين
– الخوف من أن تموتي وحيدة. الفراغ... إلخ.

أسباب كي لا يكون لديك حبيب

– الجميع يزعجونك باستثناء نفسك
– "الجدالات"
– على الأرجح، لن يحب موريسي
– بالتأكيد، لن يحب جوني ميتشل

– سيكتشف عندما تضخمين القصص
– الذهاب إلى حفلات الشراب لأعياد ميلاد أصدقائه المملين في حديقة فنسبري
– سيخبرك ماذا فعلت في الليلة الماضية عندما كنت ثملة
– يشاركك الحلوى
– يكون عليك مشاهدة الألعاب الرياضية مباشرة أو على التلفاز
– يكون عليك قضاء الوقت مع حبيبات أصدقائه والتحدث عن The Voice
– التنقل المستمر بين الشقق والثياب الداخلية في حقيبتك
– أن تكوني صادقة في مشاعرك
– يكون عليك أن تحافظي على غرفتك نظيفة ومرتبة فعلاً
– لن تقرئي كثيراً
– يكون عليك أن تبقي هاتفك مشحوناً بالكامل طوال الوقت ليعرف أنك لست ميتة
– على الأرجح ستفتقدين الغزل من الناس
– الشّعر يملأ أنحاء الحمام

طريق توتنهام كورت وطلب الهراء من Amazon

عندما كنت في الحادية والعشرين، في نهاية آخر صيفٍ قضيته في تقديم العروض في مهرجان إدنبرة قبل أن أعود إلى المنزل وأجد عملاً وأبدأ حياة بالغة، خرجت للاحتفال بعيد ميلاد صديقتي حنّة الثلاثين. كانت مخرجة عرض كوميدي شاركت فيه، وكنت أوزع بطاقات الدعوة إليه في الشارع. اصطحبناها، أنا واثنين من الممثلين الآخرين، إلى مطعم فاخر للاحتفال بالمناسبة. قبل ذلك، كانت قد قامت ببعض الصخب الغامض حول دخولها الثلاثين، الأمر الذي افترضناه جميعاً مبالغة لأغراض كوميدية.

في منتصف العشاء، تركت الشوكة والسكين من يدها وبدأت البكاء.

"أوه إلهي، حنة، هل أنت منزعجة حقاً؟" سألتها وأنا أشعر بالندم على بطاقة "عيد ميلاد سعيد للجدة" التي قدمتها إليها.

"أنا أكبُر"، قالت، "أستطيع الشعور بهذا. أستطيع الشعور به في كل مكان من جسدي؛ إنه يتباطأ".

"لا تزالين شابة جداً!" قالت مارغريت التي كانت تكبرها ببضع سنوات، لكن حنة استمرت في البكاء غير قادرة على التقاط أنفاسها والدموع تنهمر في صحنها. "هل تريدين الذهاب؟" سألتْ وهي تمسّد ظهر حنة. أومأت حنة موافقة.

ونحن نسير في شارع الأمراء نتحدث عن أمور لا قيمة لها محاولين الحفاظ على الإيقاع خفيفاً وإلهاء حنة، وقفت وسط الطريق ممسكة رأسها بيديها. وتحوّل بكاؤها عويلاً.

"هل هذه هي؟" سألتنا وهي تجأر في الليل الداكن، "هل حقاً هذه هي الحياة كلها؟"

"ماذا تقصدين بهذه هي الحياة كلها؟" سألت مارغريت مهدئة وهي تضع ذراعها حولها.

"أقصد الخراء... طريق توتنهام كورت وشراء الهراء من Amazon"، أجابت.

بقيت هذه الكلمات عالقة في الجانب السفلي من دماغي كملاحظة لم أستطع التخلص منها لسنوات. علقت هناك مثل محادثة مهمة بين والديكِ سمعتِها ولم تفهمي منها شيئاً لكنك تعرفين أنها مهمة جداً. أتساءل دوماً لماذا يسبب طريق توتنهام كورت و Amazon تحديداً مثل هذا الحزن الشديد.

"ستفهمين عندما لا تعودين في الحادية والعشرين"، قالت حنة عندما سألتها.

فهمت أخيراً، حين صرت في الخامسة والعشرين، ما أخفته تلك العبارة من مكائد. عندما تبدئين بالتساؤل هل الحياة في الواقع مجرد انتظار حافلات على طريق توتنهام كورت وطلب الكتب التي لن تقرئيها أبداً من Amazon، هذا يعني باختصار أنك تعانين أزمة وجود، أنك تدركين دنيوية الحياة. تفهمين أخيراً أنه ثمّة سبب لحدوث أي شيء. تخرجين من عالم الحلم "عندما أكبر" وتنتقلين إلى واقع أنك هناك، هذا يحدث. وهو لم يكن ما انتظرته. أنت لست ما انتظرت أن تكونينها.

حالما تبدئين التفكير في هذه الأسئلة، يصعب أن تأخذي وظائف الحياة اليومية بجدية. خلال سنتي الخامسة والعشرين، كنت كأنني خلقت خندقاً لأفكاري الخاصة وللأسئلة التي لها إجابات. من الظلام، نظرت، أراقب الناس يهتمون بالأشياء التي كنت أهتم بها: قص الشعر، الصحيفة، الحفلات، العشاء، تخفيضات يناير في طريق توتنهام كورت، الصفقات على Amazon. ولم أعرف كيف أخرج منها أو كيف أغمر نفسي فيها ثانية.

تخليت عن الخمر بعض الوقت في محاولة مني لتغيير مزاجي، لكن هذا جعلني فقط أفرط أكثر في التفكير. جربت المواعدة على تطبيق Tinder غير أن اللقاءات الأفلاطونية أشعرتني بمزيد من الفراغ والخذلان. بدأ شعوري بالحب والشغف والتركيز على عملي يتضاءل. غالباً ما دخلت صديقتاي في السكن، آج وبيلّي، إلى غرفتي لتجداني أبكي وأنا لا أزال ملتفة بمنشفة الحمام الذي أخذته قبل ثلاث ساعات. وجدت من المستحيل التعبير عن مشاعري لأحد. أمضيت أوقاتاً طويلة جداً بمفردي. كان ثمّة أزيز رتيب يعتمل داخلي جرّاء الملل وغياب الاهتمام والقلق والإحباط. بلغ الأمر ذروته مع بداية الصيف حين قالت ديلي إنني ربّما عليّ التخلّي عن عملي والتفرغ لأكون كاتبةً مستقلّة. لم أكن أملك خطة لكيفية الحصول على المال أو أين سأذهب بعد ذلك. آج أعلنت أنها ستنتقل للعيش مع حبيبها بعد أقل من سنة على ذهاب فارلي. كنت مكتئبة بلا عمل وبلا أصدقاء سكن.

كما هو دائماً بالنسبة إلى امرأة عازبة في العشرينات، كان الحل الأمثل الانتقال من مدينة إلى أخرى. عندما خُطبت أليكس وطلبت أن أكون وصيفتها في ذلك الصيف الكئيب، بدا الأمر مصادفةً رائعة، فلطالما كنتُ معجبة بنيويورك، وغالباً ما ذهبت لزيارة أليكس هناك، فهي بقيت صديقة مقرّبة لي حتى بعدما أنهى شقيقها هاري علاقتنا قبل سنوات. أخبرتني وخطيبها أننا، أنا وفارلي، بإمكاننا المكوث في شقتهما مجاناً بما أنهما سيكونان في عطلة شهر العسل. حجزنا بطاقات الطائرة وفندقاً لقضاء ليلة الزفاف واستراحة لليلة واحدة في جبال كاتسكيل قريباً من مكان إقامتنا التي ستمتد لأسبوعين. لا أصدق أنها ستكون عطلتنا الأولى، أنا وفارلي، معاً. كانت فرصة جيدة لأستطلع موطني الجديد المحتمل ويومياته وأناسه، ومدى ملاءمة ذلك كلّه لي.

قبل موعد السفر بأسبوع تمّ تشخيص إصابة فلورنس بسرطان الدم. سيكون على فارلي البقاء بجوار أختها وعائلتها. اقترحتُ أن أبقى معهم لكن فارلي أكّدت أنه لا داعي لذلك وأنّ عليّ التوجّه إلى نيويورك والحصول على الاستراحة التي أحتاجها بشدّة.

انشغلت بواجبات الوصيفة المعقدة في اليومين الأولين لي في نيويورك. حضر جميع معارف أليكس من بريطانيا. انهمكنا في إعداد الأكاليل وترتيب الكراسي ونقل الملابس من المصبغة وإليها، واللقاءات بالأصدقاء القدامى. افتقدت فارلي كثيراً لكن تلهيت عن ذلك بالانشغال في التحضير.

يوم الزفاف لبست فستاناً أسود بلا أكمام مع شقّ طوليّ يصل إلى الفخذ (شجعتني أليكس على هذا؛ عرفت أنني كنت أحتاج عطلة رومانسية. أنا أيضاً فكّرت أنني سألتقي هاري للمرة الأولى منذ سنوات). قرأت قصيدة ”The Amorous Shepherd“ في قاعة مناسبات بروكلين حيث تزوجا. عندما وصلت إلى العبارة التي تقول: ”لا أندم على شيء كنته قبلاً لأنني ما زلت أنا، أنا فقط أندم على أنني لم أحبك“، لم أستطع لجم نفسي عن البكاء بسبب حرارة الحب المتبادل بين أليكس وزوجها، وكذلك شعوري بالوحدة الذي تعمّق كثيراً خلال السنة لماضية.

كنت واحدة من امرأتين عازبتين في الزفاف واعتبرت أنني محظوظة للجلوس بجوار ضيفٍ عازب: رجل ضخم البنية من ويلز يعمل في بناء الجسور.

”قصيدة جيدة“، قال لي بلهجته المثيرة الموسيقية الرنانة، ”الدموع كانت لمسة لطيفة“.

”لم يكن مخططاً لها!“ قلت.

”ذاك الثوب كان مخططاً له بالتأكيد“، قال مع ابتسامة.

شربنا النيجروني كأساً بعد الآخر وتناولنا الدجاج المقلي وMac and chees، وتغازلنا بطريقة تكون مقبولة فقط عندما تكونان الشخصين الوحيدين العازبين في زفاف. أجرينا مراجعة استعراضية لكل جسورنا المفضلة في بريطانيا. أطعمته الحلوى بشوكتي. هلل لي حين نهضت لألقي خطابي وغمزني عندما التقت عيوننا في منتصف الطريق. تصرف كأنه حبيبي منذ سنوات. توطّدت الألفة بيننا بسرعة كأن أحداً يضغط دوّاسة البنزين إلى آخرها.

قبل الرقصة الأولى تماماً، خرج الويلزي لإجراء مكالمة. أليكس بثوبها الأبيض الطويل ذي الأكمام وتاجها المصنوع من الورود، وهي تبدو أشبه بلوحة من مرحلة ما قبل الرافائيلية[55] ملفوفة بالحرير، قادت زوجها إلى حلبة الرقص. أُخذتُ بالأنغام المتماوجة لأغنية ”بحر الحب“ لفيليب فيلبس، أكثر أغنية رومانسية سمعتها في حياتي. كانت رقصة عاطفية غاية في الروعة. انضم

الجميع إليهما: عشرات الأزواج بمن فيهم هاري وحبيبته الجديدة تمايلوا مبتسمين بروعة على أنغام الأغنية. جلست بعيداً أنظر إلى الداخل، أتخيل شعور امرئ وجد الأمان في شخص يذهب معه إلى السرير. كان أمراً غريباً عنّي. راقبت المساحات الفاصلة بين أجساد أزواج الراقصين. رحت أتخيل القصص التي تشارك كل ثنائي منهم كتابتها. الذكريات، اللغة، العادات، الثقة، أحلام المستقبل التي يناقشونها وهم يشربون النبيذ في وقت متأخر على الأريكة. تساءلت هل سأمتلك يوماً حبيباً بهذا النمط، أو هل العوم في بحر الحب جزء من تكويني أو أرغب فيه. حين شعرت بلمسة على كتفي ونظرت إلى الأعلى رأيت أوكتافيا، رفيقة الوصيفة، ابتسمتْ، وأمسكت يدي وقادتني إلى حلبة الرقص وشجعتني ونحن نرقص لأصمد إلى نهاية الأغنية.

55 رابطة تشكلت من الرسامين والشعراء البريطانيين عام 1848 كاحتجاج على المستوى المتدني للفن الإنكليزي في ذلك الوقت، بهدف إعادة تشكيل الفن برفض الأعمال التي غيّر فنانوها العناصر القياسية للرسم من أتباع رفائيل ومايكل أنجلو.

شربت المزيد من الكؤوس. وحين خرجت لتدخين سيجارة رأيت رجلي الويلزي. كنت مفعمة بشجاعة كافية لأندفع إليه فأسنده إلى الجدار وأهمّ بتقبيله.

"لا أستطيع فعل ذلك"، قال وهو ينسحب بعيداً.

"لم لا؟" سألت.

"لا يهم"، تمتم، "لكنني فقط لا أستطيع".

"لا"، غمغمت. "هذا... هذا لا يحدث بهذه الطريقة. لستُ في عطلة في نيويورك. أنا وصيفة عروس مكتئبة. أرتدي فستاناً ذي شقّ طوليّ دفعتُ المزيد من المال أثناء تنظيفه لجعله أطول. أنتَ علاقتي العابرة في عطلتي. حسناً؟ حُسم الأمر؟"

"لا أستطيع"، قال، "أود ذلك، لكنني لا أستطيع".

"حسناً إذاً، ماذا بخصوص كل الـ..."، قلت ساخرة وأنا أضع الحلوى في فمه، "والـ..."، قمت بغمزة مسرحية مبالغ فيها.

"أنا كنت فقط... أغازل"، قال متردداً.

"نعم حسناً. كان ذلك إضاعة لوقتي. إلى جواري كانت تجلس ممثلة موهوبة. شخصيّة مهمّة فعلاً. كان بإمكاني إجراء محادثة معها، لكن لم أقل لها طوال الأمسية أكثر من ثلاث كلمات، لماذا؟ لأنني كنت منشغلة في أداء دور الحبيبة المزعومة معك".

"أوه، حسناً، أنا آسف لإضاعتي وقتك!" زفر واستدار عائداً إلى الحفلة.

***

في اليوم التالي، ذهبت لرؤية أليكس وزوجها الجديد في الحي الصيني قبل أن ينطلقا إلى شهر عسلهما. شربنا نخب زواجهما. تحدثنا عن الزفاف وفسرا لي إشارات الرجل الويلزي المختلطة (كان لديه حبيبة، بالطبع، أُعجب بك).

جالت بي أليكس في الشقة وسلمتني المفاتيح.

''هل ستكونين بخير؟'' سألتْ.

''سأكون بخير''، أجبت.

''لديك رقم أوكتافيا؟ إنها في المدينة حتى نهاية الشهر. لن تكوني وحيدة''.

''سأكون بخير، من الجيد أن أبقى وحيدة لبعض الوقت فأتعرف إلى نيويورك بطريقة أفضل. ستكون مغامرة رائعة''.

''اتصلي بنا إن احتجت شيئاً''، قالت وهي تعانقني.

''بالتأكيد لن أفعل. اذهبا إلى مكسيكو واسبحا في بحرها عاريين واشربا التيكيلا وانسيا كل شيء''، قلت.

استيقظت في الصباح التالي في شقتهما، أطعمت هرتيهما السوداوين الصغيرتين، سقيت نباتاتهما وفق تعليماتهما وجلست مع المفكرة لأخطط كيف سأقضي وقتي هنا وكل الأشياء التي سأراها وأفعلها.

ثمّة مشكلة واحدة كبيرة جداً: المبلغ الذي خططت ليكون ميزانية كافية لرحلة نيويورك لم يصل بعد. المجلة التي أكتب لها تأخرت في دفع الباوندات الألف، أجري عن المقالتين الأخيرتين. ورصيدي المصرفي لم يعد يحوي غير 34 جنيهاً، ولا يزال أمامي أحد عشر يوماً في نيويورك. هو أمر معتاد لصحافي مستقل، فغالباً ما أضطر إلى مطاردة قسم المحاسبة للحصول على أجري بعد ثلاثة أشهر من نشر المواد والاحتفاظ بالإيصال. لكن الأمر كان طارئاً هذه المرّة. اتصلت بناشري فأحالني إلى قسم الحسابات الذي حوّلني بدوره من شخص إلى آخر في محاولة لاكتشاف أين هو أجري المتأخر. استلقيت ساعةً في سرير أليكس، وقد شغلتُ مكبّر الصوت، أستمع لموسيقا الانتظار الصاخبة التي تعني في كلّ دقيقة إضافية مبلغاً يضاف إلى فاتورتي، ليخلص أخيراً الشخص الذي تحدثت إليه إلى أنّه سيدفع لي قريباً.

دون مال أو أصدقاء. أدركت سريعاً أنّ نيويورك اليوم مختلفة عمّا عرفتها عليه في العطلات أو في زياراتي إلى أليكس. إنّها ليست مكاناً جيداً لتفلس فيه. بخلاف لندن، المتاحف والمعارض كلها مأجورة، ورسم الدخول إلى معظمها يساوي 25 دولاراً، الأمر الذي أنهى بقية مدخراتي. كنا في

منتصف أغسطس. الحرّ لا يطاق، ما يعني أوقاتاً محدودة جداً يمكنني التجوّل فيها والجلوس في الحدائق. المدينة التي أحببتها على الدوام بدت كأنها تريدني أن أغادر فقط. عندما مشيت في الجادة الخامسة نظرت إلى ناطحات السحاب، بدت كوحوش كبيرة مرعبة تحاول مطاردتي إلى مطار جون كيندي.

بدأت أنتبه إلى الأشياء الصغيرة التي كرهتها في نيويورك والتي لم تزعجني من قبل أبداً. أدركت كم كان المترو مربكاً وغير فعّال بخلاف خطوط المترو المنظّمة في لندن التي تُكتب فيها أسماء المحطات بخطوط واضحة ملوّنة، مع لوحات تشير إلى مواعيد الرحلات بدقّة. فبينما تحمل خطوط المترو في لندن أسماء مثل: جوبيلي، فيكتوريا، بيكاديلي، كانت الخطوط في نيويورك تعطى أسماء غير قابلة للتمييز وتكتب باهتة: A, B, C, 1, 2, 3... إلخ. وB يمكن بسهولة أن تبدو مثل D و1 يمكن أن تبدو 3. تستحيل المحافظة على مسار تقصده من خلال رقم أو حرف لتتذكره دون أن تدوّنه. في محطات كثيرة، تأتي القطارات كل عشر دقائق فقط، ما يعني أنك إذا قمت بثلاثة تغييرات ولم تكن محظوظاً في المواعيد، ستنتظر نصف ساعة إضافيّة واقفاً في المحطات الحارّة. ولمزيد من الإحباط، لا تحتوي معظم المحطات لوحات تعلمك متى يصل القطار التالي.

ثم كان هناك المشاغبون، هؤلاء المتحمسون مثيرو الصخب في الأسواق والمقاهي والطوابير، الذين يصرخون في وجهك. هؤلاء الذين هم وقحون على نحو لا يصدق، أو يحاولون منحك "التجربة النيويوركية الغامرة كاملة". ربما وجدت ذلك مسلياً عندما كنت أشعر بالأمان والسعادة. لكن الآن وأنا أشعر بالوحدة المقيتة كرهت كم كان يُصرَخ في وجهي. "هيا، يا سيدة اخرجي من الطريق اللعين!" جأر نادل يمر قربي في مطعم Katz's Deli وأنا أقف عند القاطع لأطلب خبز Bagle.

لاحظت أيضاً كم كنت مضغوطة في نيويورك. شعرت بغياب الروح الجماعية عن المكان هذه المرّة. كلّ فرد منشغل في مهمّاته الخاصّة. لا أحد ينظر في عيون الآخرين. الناس يتحركون بقوة، يحركون أذرعهم كأنهم يزحفون، يصيحون وهم يتحدثون عبر هواتفهم من خلال مكبرات الصوت. حتى رومانسيتهم كانت جامحة. قضيت مدة بعد الظهر كلها أنصت إلى صديقتين تتحدثان في مقهى، تثرثران كيف كانتا ستلتقيان الرجال وتجعلان الأمر يبدو مثل عملية عسكرية. كل المواعيد والأرقام كانت تشبه الجبر والقواعد.

يا للمسيح! إنها القواعد. لم ألحظ أبداً كم كانوا جميعاً مهووسين بالقواعد. طُلب مني الكفّ عن التقاط وشمّ برتقالة في السوق قبل أن أشتريها. عندما زرت Apthorp [56] (شقة نورا أفرون، العمارة السكنية المحبوبة التي كتبت فيها مقالة) طُلب مني التوقف حين اقتربت جداً من النافورة المزخرفة في الفناء. رغم أنني لا أعتبر نفسي شخصاً فوضوياً، فإنّ قواعدهم الصارمة دفعتني إلى إظهار شيء من فوضويتي.

56 مجمع عمارات تاريخية في مانهاتن.

ثمّ كان هناك فقدان لحس الفكاهة من أشخاص مرحّبين وثقيلي الظل. الأشخاص الذين يقدمون إليك قهوة جيدة أو يعملون في متاجر لطيفة. أولئك الذين، بدلاً من الضحك، يقولون بفتورٍ ووجوه باردة خالية من أي تعبير حين تخبرهم نكتة: ''ذلك ألطف شيء سمعته في حياتي كلها''. الأشخاص الذين ينظرون إليك من أعلى إلى أسفل مدّةً تجعلك مرتبكاً. حمقى من نمط ما تراه في هكني، دون إدراك أو مرح أو تهكم. الاستعراضيون في نيويورك، ممّن لم يتجاوزوا الثلاثين، يفتقدون الجاذبية. إنّهم الأكثر برودة بين كلّ من عرفتهم في حياتي.

خلال أسبوع مغامرتي الكبرى في نيويورك أدركت أن الأماكن هي ممالك للذكريات والعلاقات، وأن الأرض مجرد انعكاس لشعورك فيها. شعرت بالفراغ أكثر وبالتعب والحزن أكثر مما كنت أشعر به في الوطن. تلاشت فانتازيا الانتقال يوماً بعد يوم. ظهرت عبارة ''شارع توتنهام كورت وAmazon'' بمكر لتقول إنها ستبقى أينما ذهبت. كنت لا أزال الشخص عينه الذي لم يحقق شيئاً في العطلة. عندما حجزت بطاقات الطائرة فكرت أنني كنت أحجز رحلة خارج رأسي لكن الأمر لم يكن كذلك. لقد تبدّل المشهد الخارجي فقط. أمّا حالتي النفسية، فبقيت كما هي: كنت قلقة، غير مرتاحة، كارهة لذاتي.

في إحدى الليالي، وأنا مستلقية على أريكة أليكس أتناول بقايا النبيذ من زجاجة بروسيكو المتبقية من يوم الزفاف، والتي قالت أليكس إنّ بإمكاني شربها، قضيت المساء أجرب ''سياحة تطبيق Tinder'' كطريقة لمقابلة الناس. هاجمت الجميع مباشرة تقريباً. أرسلت رسالة مرحة غامضة إلى كلّ الأسماء الموجودة لدي. أصف نفسي كـ''زائرة من لندن تبحث عن بعض النيويوركيين ليجعلوها تعيش وقتها الجيد''. عند منتصف الليل فتحت زجاجة ثانية من نبيذ بروسيكو، تماماً في الوقت الذي تلقيت فيه مكالمة فيديو من آج وإنديا.

''مرحباً!'' صاحتا معاً من وراء طاولة مطبخي.

"مرحباً، رفاق!" قلت، "هل أنتما ثملتان؟"

"نعم"، صاحت إنديا، "لقد كنا للتو في Nisa واشترينا ثلاث زجاجات النبيذ".

"جيد، أنا ثملة أيضاً".

"مع من؟" سألت آج وهي تحدق في الكاميرا. فكرت في إخبارهما أي وقت سيئ أعيشه لكنني لم أرغب أن تقلقا عليّ، والأكثر أهمية أن كبريائي لم يسمح لي بذلك. كنت أعطي انطباعاً مقنعاً جداً على مواقع التواصل الاجتماعي بأنني أمضي رحلة من العمر اللعين.

"لا أحد"، أجبت، "أستريح قليلاً الليلة".

تحدثنا لخمس عشرة دقيقة وكنت سعيدة برؤية وجهيهما المألوفين وسماع تفاصيل كل ما يحدث معهما.

"هل أنت بخير؟" سألت آج عندما قلت: إلى اللقاء، "تبدين مكتئبة قليلاً؟"

"أنا بخير"، قلت، "أشتاق إليكما".

"نحن نشتاق إليك أيضاً!" قالت. أرسلتا إليّ القبلات، ثم عدت وحيدة من جديد.

في منتصف زجاجتي الثانية من نبيذ بروسيكو، تلقيت رداً من أحد الأسماء على تطبيق *Tinder*. جين، سمسار بورصة، فرنسي جذاب في الثانية والثلاثين من العمر، سألني هل أرغب في تناول كأس من الشراب في وقت متأخر. قررت أن هذا الرجل سيكون علاقتي العابرة في عطلتي. هو تماماً نوعُ المرحِ المشجع على الهرب الذي أحتاجه لتحويل هذه الرحلة إلى مغامرة ولاستعادة شعوري القديم. لكنه كان يعيش في سوهو، بعيداً عني مسافة ميل، وكانت عاصفة رعدية قد بدأت ولن أتمكن من السير إليه، كما أنني ما عدت أملك مالاً في رصيدي لأطلب سيارة أجرة.

"لدي المال"، كتب، "سأدفع أجرة السيارة لك". قررت تجاهل المغزى الكامن خلف Pretty Woman [57]؛ لن أكون رخيصة. وضعت بعض الماسكرا، وبحذاء ذي كعب عالٍ وقفت تحت المطر بانتظار سيارة أجرة عابرة. وبينما كنت أشير لواحدة، تسبّب المطر الغزير والثمالة الشديدة في انزلاق هاتفي من يدي. تحطمت الشاشة إلى مئات الأجزاء. تسربّت قطرات الماء داخل الشقوق وتحولت الشاشة إلى اللون الأسود.

57 فيلم من بطولة جوليا روبرتس.

لحسن حظي أنني حين وصلت إلى العنوان رأيته ينتظرني خارجاً فدفع أجرة السيارة وفتح لي الباب.

''شكراً لقدومك''، قال وهو يسحب وجهي نحوه ليقبلني. للحظة قصيرة، ملأني اهتمام هذا الغريب عني بفورة خفيفة من الحماسة. بدا كأن يأسي الثقيل المتجذر خرج من داخلي. ثم أدركت كم كان هذا مثيراً للشفقة وشعرت أنني أكثر حزناً وبحاجة إلى كوب آخر من الشراب فوراً.

كان جين لطيفاً كفاية. لم يكن ثمّة ما يجمعنا لكن المحادثة بيننا تمّت بفضل الجعة التي قدمها إليّ وعلبة سجائر Lucky Strike التي دخناها على أريكته. شعرت أنه كثيراً ما يفعل ذلك. بعد ساعة من الحديث وتبادل القبلات، أخذني إلى غرفة نومه. كانت صندوقاً أبيض بالكامل مع أضواء صاخبة غريبة وفراش على الأرض بدلاً من السرير. حاولت تجاهل الأمر ونحن نعرّي بعضنا بعضاً.

''انتظري، انتظري''، قال وأنا أفك سحاب سرواله الجينز، ''أنا أمارس الجنس الجماعي''.

''ماذا؟ ماذا يعني ذلك؟'' قلت.

''أستطيع ممارسة الجنس فقط إن كان هناك من يشاهد''، أجاب ببديهية، ''أو إن كان هناك من ينضم إلينا''.

''حسناً''، قلت، ''حسناً، هذا لن يحدث الآن ولذا...''.

''رفيقي في السكن في الغرفة المجاورة''، قال، ''هو يريد أن يدخل، سأخبره إن كانت الأمور على ما يرام؟''

''لا، ليست على ما يرام''، قلت منتبهة فجأة إلى أن ذلك ليس مغامرة كبيرة على الإطلاق. كنت في غرفة نوم مع رجل يمكن أن يكون باتريك باتمان، ''لا أريد أن أفعل ذلك''، قلت مذعورة وأنا أسمع دقات قلبي الثقيلة في طبلة أذني وأبحث عن النافذة الأقرب.

''هيا، سيكون هذا مسلياً''، قال وهو يحاول تقبيلي، ''بدوت مثل بنات الليل''.

''لا، لست كذلك، لا أريد أن أفعل هذا''.

''حسناً، إذاً، لن نفعل ذلك''، استهجن وتجهّم.

أدركت كم كان هذا غبياً. كم كنت لا مبالية وأنا أبحث عن إلهاء نفسي. كنت وحيدة في مدينة لا أعرفها. وكنت ثملة ولا يعرف أحد مكاني وليس لدي مال ولا هاتف.

''أظن أنني سأعود إلى المنزل''، قلت وأنا أخرج من سريره.

''حسناً''، أجاب، ''إنها تمطر. يمكنك البقاء هنا إن أحببت''.

نظرت إلى ساعته، كانت الرابعة صباحاً. أستطيع النوم حتى تنتهي العاصفة ويطلع الضوء ثم أحاول العثور على طريقي عائدة إلى شقة أليكس. غفوت في أبعد نقطة عنه استطعت الوصول إليها

ملصقة وجهي بجداره الأبيض.

استيقظت في السابعة والنصف صباحاً. ارتديت ملابسي وذهبت إلى غرفة المعيشة لأجمع حقيبتي. كان هناك رجل في زي البحرية بمظهر غاضب جداً جداً يجلس على الأريكة. ظهرت أربع مراوح كهربائية لم تكن موجودة في الليلة السابقة وكل النوافذ مفتوحة. وكان ثمّة قصاصات ورقية مكتوب عليها بالأحمر عبارة FUMER TUE [58].

[58] التدخين يقتل.

''صباح الخير!'' قلت بعصبية.

''اخرجي خارج شقتي أيتها اللعينة''، قال بلكنة فرنسية أثقل من لكنة جين.

''أنا آسفة!''

''أنا مصاب بالربو. هل تعرفين ذلك؟ لدي ربو حاد. لماذا تدخنين سجائرك المقرفة في الثالثة صباحاً أيتها اللعينة؟''

''أنا آسفة، قال جين إنه كان فـ...''.

''ليذهب جين إلى الجحيم''، صاح بغضب.

عدت إلى غرفة نوم جين.

''هيا''، قلت وأنا أهزه كي يستيقظ، ''هيا، شريكك في السكن يجلس هناك وهو غاضب جداً''. فتح جين عينيه ونظر إلى ساعته.

''تأخرتُ عن العمل!'' قال بنبرة اتهاميّة.

''شريكك سيجنّ تماماً هناك''، قلت، ''هو غاضب لأننا كنا ندخن الليلة الماضية. لقد أخرج المراوح كلها وشغلها وكتب لك الكثير من التحذيرات. يبدو هذا نوعاً ما... مثل Rain MAN [59]''.

[59] فيلم درامي إنتاج 1988 مقتبس من قصة حقيقية عن أميركي بقدرات عقلية استثنائية ومصاب بالتوحد.

''ليس غاضباً لأننا كنا ندخن؛ هو غاضب لأنك لم تمارسي الجنس معه''.

''حسناً، أنا ذاهبة''، قلت، ''تمتع بحياة سعيدة''. خرجت من الشقة وأنا أومئ بلطف إلى شريك السكن الفرنسي الغاضب.

''اخرجي، اخرجي. اخرجي أيتها اللعينة، عاهرة صغيرة''، صرخ خلفي.

تمايلت تحت شمس سوهو المشرقة وشعرت أنني على وشك التقيؤ. توجهت لسحب عشرة دولارات من أقرب صراف آلي فأعلمني أنني لا أملك رصيداً كافياً. انتابتني نوبات من المغص

ذكّرتني أنني لم أتناول الطعام منذ يومين.

أثناء محاولتي العثور على طريقي إلى المنزل دخلت Starbucks [60] آملةً أن أجد قرب أكياس السكر بعض الحليب ربّما تركه أحدهم وراءه. طلبت من الرجل خلف القاطع كوباً ورقياً وملأته بالحليب. رشفته ببطء وأنا أجلس إلى الطاولة.

60 سلسلة مقاهٍ أميركية.

"هل أنت بخير عزيزتي؟" سألتني امرأة في منتصف العمر.

"تبدين مثل..."، تفحصت ثيابي وعينيّ المحاطتين ببقايا الماسكارا من الليلة الماضية وفنجان الحليب في يدي، "مثل قطة صغيرة ضالة".

"أنا بخير"، أجبت وأنا أشعر بحال أسوأ مما كنت.

مشيت لساعتين في دوائر إلى أن رأيت أخيراً كتلة من الشقق التي عرفتها. دخلت شقة أليكس. وضعت هاتفي في كومة من الأرز [61] واندسست تحت لحافها مع قططها وأنا أشعر بالتوق إلى إنهاء هذه الرحلة، لكنني لم أكن أملك ثمن شطيرة، فمن أين لي ببطاقة طائرة تعيدني باكراً إلى الوطن. ربّما لم أرد العودة لكنني لم أكن أريد البقاء أيضاً. كنت عالقةً بين مدينتين لا رغبة لي في أن أكون فيهما. لم أطلب مساعدة فارلي لأنها كانت تحتاج دعمي أكثر مما كنت أحتاجها. لم أتصل بوالديّ كي لا أتسبب لهما في القلق، خاصة أنّني أكبر بعشر سنوات من العمر الذي أحتاج فيه كفالتهما. أخيراً اتصلت بأوكتافيا التي أبدت لي لطفاً مميزاً. أخذتني خارجاً لتناول Dim Sum [62]. أمسكت يدي وأنا أتحدث. عانقتني وأقرضتني بعض المال.

61 وضع الهاتف في الرز وهي طريقة لتجفيفه.

62 منهج في الطبخ الصيني تقدم فيه المأكولات الصغيرة بحجم لقمة الفم، في سلات أو صحون صغيرة.

في اليوم التالي، استقليت الحافلة ثلاث ساعات إلى بلدة صغيرة في كاتسكيل في ريف نيويورك. كنا، أنا وفارلي، قد دفعنا مسبقاً أجرة حجرة ولذا ظننت أنه من المفيد استخدامها. كنت ممتنة لوجود بعض الهدوء والمساحات المفتوحة.

وصلت في منتصف النهار. أفرغت حقيبتي وخرجت للمشي مدة طويلة لأريح رأسي. حين عدت إلى حجرتي بعد الظهر كنت معجبة بضخامة الجبال وفكرة إمكانية البدء من جديد بعد العودة إلى المنزل. شعرت بالاسترخاء بعض الشيء.

مساءً مشيت في البلدة. تناولت الجبن المقلي في مطعم محلي. استمتعت بصوت الصراصير ودفء الدردشة مع أبناء البلدة. عندما عدت رأيت ناراً موقدة خلف حجرتي تركها مخيّمون. حملت

بطانية وجلست قربها أنظر إلى النجوم. شعرت للمرّة الأولى شعوراً مماثلاً لما انتابني لحظة وصولي إلى نيويورك. تنفست.

لحظة دخلت غرفتي وجدت رسالة جديدة على تطبيق *Tinder*، كانت ردّاً متأخراً من ''تعال وحيداً، تعالوا جميعاً''، على رسالة أرسلتها وأنا ثملة قبل يومين. كان اسمه آدم، في السادسة والعشرين من العمر مع الابتسامة الأميركية التامة ولحية بروكلين[63] والإيحاء بأنّه متروك وضعيف.

63 لحية متدرجة في الطول.

''مرحباً سيدتي. آسف جداً أنني لم أجب على رسالتك في الحال. كيف حالك؟''

''أتمنى لو أنك أجبت في وقت أبكر''، قلت، ''كنت استطعت مواعدتك بدلاً من أن أقع ضحية تهديد جنس ثلاثي مع فرنسيين''.

''أوه، حقاً''، كتب، ''يمكن لنيويورك أن تكون قاسية. كيف حالك؟''

''أنا أكرهها''، أجبت، ''أنا في كاتسكيل لليلة واحدة وهذه استراحة مقبولة''.

''كم ستبقين قبل العودة إلى منزلك؟''

''كانت ثلاثة أيام طويلة. سأعود مساء الغد''.

''تعالي لزيارتي عندما تعودين''، قال، ''لن أحاول ممارسة الجنس الثلاثي معك، أعدك، سأكون صديقك فقط إن أحببت''.

صديق! ربّما كنت بحاجة إلى صديق جديد.

في اليوم التالي، بعد رحلة مشي طويلة أخرى وسباحة، أخذت حافلة بعد الظهر المتأخرة عائدة إلى مانهاتن ثم ركبت المترو إلى بروكلين وذهبت إلى منزل آدم.

''مرحباً''، قال وهو يظهر عند الباب الأمامي. عيناه الزرقاوان تشعان خلف نظارات بإطار سميك. مد ذراعيه للعناق، ''من الجيد جداً لقاؤك. مرحباً بعودتك إلى المدينة التي تكرهينها''.

''شكراً''، قلت وأنا أعانقه وأستنشق رائحة الصابون تفوح من قميصه القطني النظيف.

''سأجعلك تحبينها''.

جال آدم بي في شقته وفتحنا زجاجة نبيذ. تحدثنا لساعات، وتبادلنا القصصَ كلها: موسيقانا المفضلة، وأفلامنا المفضلة، وأصدقاءنا المحترمين وعائلاتنا، وأعمالنا. كان صادقاً بعيون لامعة ومتابعاً جيداً وفضولياً، كان تماماً ما أحتاجه.

في منتصف الأمسية، كنا نتبادل القبل. وبحلول منتصف الليل، كنت مستلقية في سريره ووجهي ملتصق بوجهه. كانت اللمسة الناعمة لهذا الرجل، قلبه الكريم؛ الرقة التي أظهرها لي كافية لجعلي أنفتح عليه ولذا منحته كل شيء دون مقابل. أخبرته عن انكسار قلبي في بداية العشرينات. أخبرته عن السنوات التي صرفتها في تجويع نفسي محاولة للحصول على بعض الثقة. أخبرته عن المرة الوحيدة التي وقعت فيها في الحب، العلاقة الحميمة التي لم أستطع تحملها. الاتكال الذي أخشاه. أخبرته عن صديقاتي واحدة واحدة، كيف وقعن في الحب وتركنني... لأخبره كيف أصبت بكتاتونيا[64] ملتهبة حين كنت طفلة، وكيف أنني أخشى الوقوف قرب النوافذ لأنني أشعر بالموت على بعد لحظات مني. أخبرته عن الشقيقة الصغرى لأفضل صديقاتي التي كبرت معها الموجودة اليوم في المستشفى لإصابتها بالسرطان. أخبرته أني شعرت بتورطي في البلوغ وعجزي التام عن التواصل مع أي شخص طلباً للمساعدة. أخبرته عن السهولة التي دفنت فيها المشكلات في أنقاض الفوضى لصرف الانتباه. كنت أمتلك اللغة الصحيحة للتعبير عن حزني لغريب فقط. كنت قادرة على سرد حكاياتي فقط في عالم خياليّ عابر متخففة فيه من كلّ مسؤولية.

64 أو: الجامود، مصطلح يشير إلى الجمود، وهو إشارة إلى قرار الشخص أنه فقد الإحساس بالأمان في بيته مع أهله وأصدقائه والشارع والعمل وأي مكان يذهب إليه.

"أنت حزينة جداً"، قال وهو يمسح خدي. أغمضت عيني لأوقف الدموع.

"أنا تائهة"، أجبت.

"لستِ تائهة الآن"، قال وهو يشدني إليه. رغبت في أن أصدقه، وفعلت ذلك للحظة.

"أريد قول شيء سيبدو دون معنى"، قال وهو يقبل رأسي.

"ماذا؟"

"أحبك"، تنهد، "ولا أريد أن تظنينني خطيراً أو مجنوناً مثل ذاك الشاب الفرنسي المجنون. أعرف أنه لا يمكنني أن أحبك فعلاً لأنني أعرفك منذ"، نظر إلى ساعته، "ست ساعات"، لكن أشعر بمقدرتي أن أحبك. تباً، أنا فعلاً أحبك".

"أنا أحبك أيضاً"، سمعت نفسي أقول. هربت الكلمة الثانية من فمي. عرفت كم كانت سخيفة. وعرفت أنني لم أقلها له وإنّما للإيمان بالأمل واللطف.

حصل آدم على إجازة من عمله في اليوم التالي، يوم التمارض الأول في حياته. جال بي في أجزاء المدينة التي لم أرها من قبل. مشينا، تحدثنا، أكلنا، شربنا، تبادلنا القبل، عشنا رومانسية عطلة

أنموذجية في يومين. لم نستطع تذكر كيف كانت الحياة قبل تعارفنا، لكن كنّا مدركين أننا لن نعيش معاً. بقيت معه في الليلة التالية.

في اليوم التالي، ابتعدت عن آدم لثلاث ساعات كاملة التقيت فيها أوكتافيا التي لم تصدق كل ما حدث منذ رأيتها آخر مرة. ذهبنا إلى ناطحة السحاب 30 روكفلر بلازا ونظرنا إلى المدينة الجميلة، القاسية، العديمة الرحمة.

"أظن أنني أريد الذهاب إلى المنزل"، قلت وأنا أنظر إلى الأضواء تتراقص فوق نهر هدسون.

اصطحبني آدم إلى مطار جون كيندي في اليوم الأخير. بعد قبلة وداع طويلة، أمسك كتفيّ ونظر إليّ.

"حسناً، لدي فكرة"، قال.

"ماذا؟"

"لا تقولي إنني مجنون".

"حسناً".

"ابقي"، قال.

"لا أستطيع البقاء".

"لم لا؟ أنت بائسة في الوطن. تكرهين لندن. ليس لديك عمل. لا تعرفين ما الذي تريدين فعله عند العودة. ابقي هنا وابدئي من جديد".

"أين سأعيش؟" سألت.

"معي"، قال.

"كيف سأدفع الأجرة؟"

"سنرى ذلك"، قال، "ستكونين قادرة على إيجاد عمل ما، ويمكنك كتابة الأشياء التي أردت دوماً كتابتها. سأعطيك مكاناً خاصاً ووقتاً خاصاً لك. فكري كم تشعرين بحرية أكبر هنا".

"ماذا عن نظام المهاجرين الصارم الذي سيحاول إرسالي إلى الوطن؟"

"عندئذ سأتزوجك"، قال، "هل هذا ما تودين سماعه؟ سأفعل ذلك، سآخذك إلى مجلس المدينة صباح الغد وأتزوجك وليذهبوا إلى الجحيم. سنتزوج ويمكنك البقاء قدر ما تشائين".

"لا يمكنني أن أفعل ذلك"، قلت، "هذا جنون حقاً".

"لم لا؟" قال وهو يضغط رأسه مقابل رأسي بلطف، "أنتِ قلت إنه ليس ثمّة ما ينتظرك في الوطن".

فكّرت لحظة.

"لأنني المشكلة"، أجبت، "ليست المدينة. ليست الظروف هي المشكلة. أنا الشيء الذي يحتاج إلى تغيير". كان ثمّة هدوء بيننا. ثم تبادلنا القبل لآخر مرة.

"اتصلي بي عندما تصلين"، قال، "ولا تثملي على الطائرة. الطائرة لن تتحطم".

في رحلة العودة إلى الوطن، حلمت أحلام يقظة بشارع توتنهام كورت وطلب الهراء من Amazon. فكرت في ضحكة فارلي وصوت صديقاتي في السكن وهن يتجهزن صباحاً للذهاب إلى العمل، ورائحة العطر التي تسكن شعر أمي عندما أعانقها. فكرت في الطبيعة السعيدة للحياة وأي ميزة كانت أن أحياها.

إنه اليوم السابق لعيد ميلادي السادس والعشرين، كانت بيلّي وآج في العمل عندما وصلت إلى المنزل لكن كان هناك كعكة غير متماسكة معدّة في المنزل وشريط يتمنى لي عيداً سعيداً. في المساء التالي، خرجنا للرقص في كامدن احتفالاً، وأخبرتهن عن الأسبوعين الغريبين اللذين قضيتهما بعيداً. بقينا، أنا ولورين، نشرب ونعزف على الغيتار حتى ساعات الصباح الأولى حيث وصلتني باقة ضخمة من الورود الحمراء أرسلها آدم.

بعد أن عدت إلى المنزل أصبحت الأشياء أسهل لمدة. بدأ معطف الحزن الثقيل الذي تلبّسني لوقت طويل بالزوال. وضعت مخططاً مناسباً لما أردت فعله تالياً. عدت إلى الوقوع في حب مدينتي بوحشية. قرأت كتب بيل بيرسون عن إنكلترا وتناولت قطع بسكويت Toffee Crisps. تذكرت كم كنت محظوظة لأحيا في مكان كبرت فيه، مكان مليء بصديقاتي.

بعد شهرين من عودتي تركت عملي وبدأت العمل المستقل. بعد شهر من ذلك، حصلت على عمود في *The Sunday Times*. أعددنا، أنا ولورين، فيلماً قصيراً عن فتاة تعيش دون توجه، وليس لديها فكرة عمّن تكون وهي في الخامسة والعشرين، وتحاول حل مشكلتها فتنشغل بكل شيء إلا نفسها. انتقلت آج بعيداً وجاءت إنديا، واحدة من صديقاتنا الرائعات من أيام الجامعة، لتعيش معنا. غادرنا القصر الأصفر المخرّب في كامدن وانتقلنا ميلين شمالاً إلى شقة ليس فيها فئران، ومرحاضها يعمل وفيها تدفئة مركزية.

عادت منقذتي، أوكتافيا، إلى لندن وأصبحنا صديقتين مقربتين. بقينا، أنا وآدم، على تواصل وسنبقى كذلك على الدوام، نلتقي عندما يأتي إلى لندن وأتناول معه الغداء عندما أكون في نيويورك. يذكرني بالوقت المضطرب في حياتي، وبالقصص التي أحب أن أذكرها لكنني لا أريد أبداً أن أعيد خلقها. يذكرني بالوقت الذي كنت فيه في الخامسة والعشرين تائهة وبلا جذور، مستعدة تقريباً لتغيير

بلدٍ من أجل رجل لا أعرفه. هو حصل على نصفه من القصة وأنا حصلت على نصفي، نحملها معنا مثل تلك القلادات التي يرتديها المراهقون لقلبٍ يُقسم نصفين ويحصل كل شخص على نصفه.

الثاني عشر من ديسمبر

" أعزائي جميعاً

عيد ميلاد مجيد لنا جميعاً (أنا فقط، فأنا أعيش بمفردي الآن) هنا في SE 20's في شارع براكن الباهظ، قيد الصيانة.

يا لها من سنة! بدأ هذا كله بسرعة. عندما حصلت على ترقية في شركة عصير عضوي (Pressed For Lime) عملت لمصلحتها خلال السنوات الأربع الأخيرة مديرة لمواقع التواصل الاجتماعي. تمت ترقيتي إلى نوع من مشرفة صاحبة أمر ودور غير واضح نوعاً ما في حملات وسائل التواصل الاجتماعي الخارجي، ما يعني أن عليّ إرسال أربعة "فيديوهات ستوري" على "إنستغرام" كل يوم عن قطع من الفاكهة مرسوم عليها وجوه وترتدي قبعات صوفية صغيرة، وجُعل هذا على قمة مسؤولياتي الأخرى كلها، دون مال إضافي.

(أبي– إذا كنت تقرأ –، لا، أنا لن أشرح ما هو عملي للمرة المئة! ونعم، أعرف أن تعليمي كلف الكثير من المال. أعرف أنني كنت أستطيع "فعل أي شيء!" تظاهر فقط أنني محامية أمام أصدقائك في نادي الغولف. ليس مرجحاً أنهم سيبحثون عني على "غوغل". حتى إن فعلوا، فلن يجدوا اسمي على أي شيء عدا صفحة بيبو القديمة لأن أحداً لم يسمع بالشركة التي أعمل لها! هاها!)

كما ذكرت في بداية هذا البريد الإلكتروني. انتقلت خارج شقتي بعد أن كنت مرتاحة بالعيش في وقت سابق هذا العام مع أفضل صديقة لي، كاتيا، في بلدة كنتش، لأنها وحبيبها قالا إنهما كانا يحتاجان "بعض الخصوصية" وإنهما يستطيعان دفع الرهن العقاري من دوني الآن (كلاهما كان لديه عمل حقيقي)، ولذا استأجرت منزلاً وحدي في منطقة بنج العصرية في لندن. المنطقة الخضراء – ربما الأكثر أغصاناً بالفعل – وهي واعدة جداً (مترو، ٢٠١٦). لذلك هي على الأرجح تكلفني ١٢٠٠ جنيه أجرة لاستوديو كبير مع غرفة نوم في الطابق الأوسط حيث الطابق السفلي هو مطبخ. كم أنا محظوظة كعاشقة طعام بمتعة أن أذهب إلى النوم ورائحة غرفة نومي كلها سلمون مشوي!

بعد سبع سنوات طويلة وسعيدة قضيناها معاً، اتفقنا، أنا وجوردان، على الانفصال هذا العام. كنا كلينا نغار قليلاً من أصدقائنا الذين يقيمون كمّاً كبيراً من الجنس العفوي مع غرباء عبر تطبيق Tinder، وقلقنا الكبير المشترك وخوفنا تفويت ذلك وخسران تجربته عنى أننا كنّا منتبهين أكثر إلى الأمر، وفي النهاية، لم نكن نرغب في وجود طرف جنسي ثالث بيننا.

قرأنا بضعة كتب عن العلاقة المتعددة الأطراف وجربناها، لكن ماذا نفعل مع مخططات عملنا؛ لم نستطع مزامنة مفكراتنا لإيجاد الوقت لبعضنا إضافة إلى كل الآخرين، ولذا فكرنا أن انفصالنا سيوفر الوقت. هو أخذ القطة.

لذا، أنا الآن أستعرض متعات المواعدة عبر الإنترنت! الرجال لا يؤتمنون، الجنس كله إباحي وهاتفي لا ذاكرة فيه أبداً بسبب صور الأعضاء الذكرية الحليقة بالكامل التي أرسلت إليّ عبر "واتس أب". أنا كاري برادشو منطقة بنج (من فضلكم اقرؤوا ما أكتبه عن الجنس المؤدب على: org.theadventuresofandrea.www، ممتع، ميؤوس منه، [65] Huffington Post).

65 مدونة وموقع تجميع إخباري على الإنترنت.

يستمر الأسلوب الصحي في كونه هاجسي المتواصل بارتباط مباشر مع قلقي. في السنة الماضية وحدها، شخصت ذاتياً خمسة أنواع من السرطان، وثلاثة أمراض تنتقل جنسياً، وأربعة اضطرابات في الصحة العقلية. لقد توقفت عن السير في الأرض العشبية أو الغابات منذ قرأت عن مرض لايم[66] (ما زلت أظن أنني مصابة به، هل تظنون ذلك؟).

66 داء خمجي ينتج عن الإصابة بنوع من أنواع البكتيريا التي تنتقل عن طريق القراد.

انخفض معدل ما أصرفه على سيارات الأجرة في تطبيق Uber إلى ٣.٥، الأمر الذي هو مخيب للأمل، لكنني آمل أن أواجه هذا التحدي في العام الجديد مع تفاؤل متجدد ونشاط.

يا لها من جولة على مواقع التواصل الاجتماعي! خططت أن أحصل في نوفمبر على ٢٠٠٠ متابع على "تويتر" محطمة هدفي المتوقع (ربما تتذكرون أن هذا كان هدفي الأساسي في الرسالة الجماعية التي أرسلتها السنة الماضية). وعلى نحو أكثر إثارة حتى، كان عندي أربع صور على "إنستغرام" تلقت أقل من سبعة إعجابات، وخططت ألا أحجز موعداً طارئاً مع معالجي النفسي عبر الإنترنت لمعالجة ذلك. لذا، أنا أحقق تقدماً في المجالات كلها!

أهدافي هذا العام تتضمن التخلي عن مضادات الاكتئاب، والكف عن السحب من دون رصيد وإيجاد الدرجة الأفضل للون حمرة الخد المناسبة للون بشرتي. تمنوا لي الحظ في الفصل التالي من هذه الرحلة المتغيرة باستمرار التي ندعوها الحياة.

كان هذا كل شيء لهذا العام. أتمنى لكم ميلاداً مجيداً وعاماً جديداً مليئاً بالسعادة!

أندريا، قبلاتي"

قائمة تسوق أسبوعية

– محارم للمرحاض
– ملابس داخلية جديدة
– ورق
– رغبة في قراءة أقسام الصحيفة كلها
– كبسولات قهوة
– Marmite [67]

[67] اسم علامة تجارية لأطعمة قابلة للفرد. تصنع من مستخلص الخميرة وهو منتج ثانوي من عملية صنع الجعة.

– تفاح
– منتجات صحية غير معطرة بعطر بريتني سبيرز
– مهارات إدارة الوقت
– جرو (كلب ألماني، صغير)
– مكبس تحضير الشاي القوي مع حليب يوركشاير
– محمصة خبز أفضل بمؤقت موثوق أكثر
– أصدقاء سكن ممن سوف يشاهدون Countryfile معي
– سائقي الخاص، لي فقط
– أكياس قمامة
– جرو (نورفولك تيرير، بفرو ناعم)
– جارفيس كوكر [68]

[68] عازف قيثارة ومغنٍّ ومؤلف وموسيقي وملحن وممثل بريطاني.

– مؤونة لا تنتهي من الشيدر
– الوقت لمشاهدة حلقات Seinfeld كلها ثلاث مرات
– سينما خاصة بي
– قواعد أفضل
– جلد أثخن
– قدرة أفضل على قول "لا" لأشياء
– عشرون زوجاً من الجوارب دون ثقوب
– حليب

فلورنس

كانت فلورنس في السادسة حين التقيتها أول مرة وأنا لا أكاد مراهقة. فتحت فارلي الباب الأمامي لترى أختها الصغيرة تقف على العتبة تتمايل من جانب إلى جانب، وشعرها مقصوص عن آخره فوق رأسها الصغير.

"فلورنس!" صاحت فارلي. "ماذا فعلت بشعرك؟!"

ابتسمت فلورنس بشيطنة.

"أبي، لا أصدق أنك تركتها تفعل ذلك!" صاحت فارلي بصوت مراهقتها المرتفع لأبيها ريتشارد الواقف قرب السيارة، "إنها تبدو كصبي صغير!" واصلت فلورنس الابتسام بابتسامة عريضة.

"لقد توسلت لتجعله على هذا النحو"، قال ريتشارد مستهجناً، "ما الذي كنت أستطيعه؟"

أعجبت بها فوراً.

أصبحنا، أنا وفلورنس، أقرب عندما اقتربت من البلوغ. كانت مثلي تشعر دوماً أنها مستعدة للنضوج. أرادت هويتها الخاصة واستقلالها. كانت ضجرة من أقرانها. هربت إلى الكتب والأفلام والموسيقا. كانت مهووسة تتابع وتتعقب كل كلمة جديدة كتبها كتّابها المفضلون، وتشاهد كل فيلم أخرجه مخرجوها المفضلون. ومثلي، وجدت أن تكون مراهقة في مدرسة كلها فتيات أمراً متعباً وأنا أردت التأكيد لها دوماً أن الأفضل لم يأتِ بعد، وأن البلوغ هو أفضل شيء في العالم، بغض النظر عن صعوبة الأمر وكونه مملاً في الوقت الحالي.

"تعرفين عندما يقول الناس إن أيام المدرسة هي أفضل أيام حياتك؟" قلت لها في ظهيرة إحدى عطلات نهاية الأسبوع ونحن نستلقي في ضوء الشمس في حديقة عائلتهم.

"نعم؟" قالت.

"هذا هو الهراء".

"حقاً؟" سألت وهي تمسد ذراعي؛ كان شرطاً دائماً لتكون قادرة على الاستراحة معي وفارلي عندما كنا في أواخر مراهقتنا.

"نعم. هذا أكثر كلام فارغ سمعته في حياتي. أيام المدرسة هي أسوأ الأيام، فلوس. كل ما هو جيد يبدأ عندما تغادرين فقط".

"شكراً، ألدرماستون"، قالت (كان هذا لقبي عند العائلة. كل شخص يدخل باب بيتهم يحصل على لقب).

لكن فلورنس لم يكن لديها ما تقلق بشأنه لأنها كبرت لتصبح مراهقة مثيرة حقاً، أفضل بكثير مما فعلت أنا. مثل معظم المراهقين، كنت أهتم بنفسي أساساً لكن رؤية فلورنس للعالم كانت أوسع وأكثر حساسية خاصة بالنسبة إلى شابة عاشت حياة محصّنة. كانت مبدعة ومميزة وفضولية وعاطفية. كتبت مدونة عن الأفلام تحلل فيها السينما الأميركية المستقلة وتتحسر على أفلام هوليود الحديثة. كتبت مذكراتها يومياً. كتبت نصف رواية. كتبت وأخرجت مسرحيات قّدمت في المدرسة.

تحدثت في اجتماعات مدرستها الصباحية المحافظة عن قضايا LGBT [69]. استمرت في التقدم. جاءت مرة إلى بيتنا في كامدن مع كاميرا واثنين من صديقاتها وسألت هل بإمكانها استخدام الموقع لتصوير فيلم قصير يهدف إلى التوعية حول العنف المنزلي.

69 اختصار لـ Lesbian Gay Bisexual Transgenders: المثليون ومزدوجو الميل الجنسي والمتحولون جنسياً.

أصبحت فلورنس مخرّبة لاجتماع العشاء على نحو بهيج ورائع. إذ إنها تقاطع الوجبة مع العائلة، أثناء نقاش ساخن، صارخة في وجه أحدهم: "عدوّ للمرأة". خلال عشاء لا ينسى شنت هجوماً على سكوت لأنه تجرأ على مناقشة المهارة الفنية في أفلام ويس أندرسون، وقال إنّ على عمله أن يكون تجربة جمالية نقية. دخلت فلوس في خطاب عاطفي طويل لتخبره أنه كان مخطئاً قبل أن تغادر الطاولة غاضبة وتعود مع كتاب بغلاف مقوّى ضخم حول السينما وتضعه بقوة على الطاولة.

شُخّص سرطان الدم لدى فلورنس في الصيف الذي أنهت فيه المدرسة. أخيراً وصلت سن البلوغ ووقفت على حافة الحياة فقط ليجري إخبارها أنها مصابة بالسرطان. رغم ما قاله الأطباء بشأن العلاج وأن الشفاء سيكون صعباً جداً، كان المشهد إيجابياً. وهي كانت في غاية الروعة. ذهبت مباشرة إلى مستشفى كينغستون للحصول على العلاج الكيميائي. أقامت أفضل الصداقات مع الممرضات وعمال التنظيف. كانت ترفع سريرها أعلى ما تستطيع لتتمكن من التحدث إليهم وإسدائهم النصح. قيل لها أنها لن تكون قادرة على إنجاب الأطفال، وهذه حقيقة وجدها العديد ممن حولها مدمّرة، غير أنها استجابت للأمر برضى وبحس فكاهة عالٍ معلنة أن عدد سكان العالم في ازدياد على أي حال.

بدأت التوثيق في مدونة صادقة ومسلية لرحلتها مع السرطان حازت آلاف القراء. أخذت صور Selfie لرأسها الحليق، وأعدت فيديوهات مرحة لنفسها وهي ترقص حول سريرها. تدفقت إليها

رسائل الدعم. ولم أستطع أن أكون أكثر فخراً بها، فأرسلت إليها بانتظام رسائل نصية أخبرها فيها أنه لا يحق لها أن تكون كاتبة جيدة على هذا النحو وهي في التاسعة عشرة.

إحدى الرسائل التي كَتَبَتَها على وجه الخصوص كانت:

أسوأ شيء سمعته في تلك الليلة (تقصد تاريخ تشخيص مرضها، 8 أغسطس) لم يكن فعلاً التشخيص ولكن الكلمات التالية: ''نريدك أن تبقي هنا الليلة''. لم أتوقع ذلك على الإطلاق. ثم قال الطبيب: ''في الصباح، سيستخلص طبيب أمراض الدم نقيّ عظامٍ منك''. عندئذ عرفت أن ثمّة أمراً مريباً. هم لا يفعلون هذه الأشياء دون سبب.

أتى طبيب أمراض الدم لرؤيتي وليعرّفني بنفسه قبل أن يذهب إلى المنزل لقضاء الليل. أردت جواباً فقط، ولذا سألته بوضوح: ''ماذا تظن هذا؟'' مشيرة إلى رقبتي المتورمة المتكتلة.

تنهد قبل أن يجيب بوضوح، ''50/50 سرطان''.

عندما تسمع كلمة سرطان أنت تسمع الموت، وتفكر في آفاق مستقبلك كلها تتقلص إلى العدم وتبكي. وأنا بكيت. هذا الرجل اللطيف، الواضح أنه ليس مبدعاً في الاهتمام بمشاعر الآخرين، ربّت على ظهري وحاول أن يريحني بكلمات: ''لم آتِ إلى هنا لأجعلك تبكين''. حسناً، ما الذي تتوقع أن تفعله حين يخبرونك أنهم على الأرجح اكتشفوا إصابتك بالسرطان؟! تقفز في الهواء وتصيح، ''يوبي! حياتي أصبحت أفضل بكثير؟'' لا. ستكون منزعجاً بالتأكيد. وأنا كنت كذلك. وكنت غاضبة، وقلقة على أبويّ اللذين راحا يبكيان أكثر مما فعلت. أتذكر نفسي أقول: ''لست مستعدة للموت. لم أعش حياتي بعد''، ثمّ: ''لم أمارس الجنس بعد! هذا ليس عدلاً''.

لكنني اجتزت تلك المرحلة. والآن بات الأمر: ''عندما أنتهي من هذا السرطان، سوف أركل العالم في قفاه وأكون أفضل شيء رآه أحدهم على الإطلاق''. أعني من يستطيع أن يرفضني؟ سأكون قد انتصرت على السرطان وكل أمر آخر سيكون سهلاً.

أرسلت إليها رسالة نصية لأخبرها كم أحببت هذا، وأؤكد لها أنها ستمارس الجنس حالما ينتهي هذا كله.

''سنركب الغيم''، أجابت، ''سأجدك يا أروع شريكة، أعدك''.

احتفلت بعيد ميلادها التاسع عشر في المستشفى. أعدّت لها الممرضات شريطاً علّقنه خارج غرفتها. واكتشفت حصولها على منحة من York University لمتابعة دراستها في قسم الدراسات السينمائية، وأخبروها باستطاعتها حجز مقعدها لسنة ريثما تشفى تماماً. عادت إلى المنزل بعد آخر جرعة من العلاج الكيميائي وأعدت كعكة الشوكولا للممرضات اللواتي اعتنين بها.

قلّصت فارلي عالمها خلال هذا الوقت، فكانت إما في المدرسة الابتدائية حيث تعمل، وإما في المستشفى، وإما مع عائلتها. كان سكوت سندها على الدوام. أحببتُه لأنه كان صلباً في دعمه لها ولعائلتها. تراسلنا وتحدثنا بانتظام وكان يخبرني كيف هي؛ جعلنا ذلك أقرب وشعرت بالحظ أن أفضل صديقة لي لديها شخص قوي وودود على هذا النحو إلى جانبها.

تابعت فلوس كتابة المدونات عندما عادت من كينغستون إلى البيت. أثبتت التحاليل تطابقاً في نخاع العظم بينها وبين أخيها فريدي، الأمر الذي شكل خبراً رائعاً لقدرته أن يكون مانحاً لها، لكن كان يجب أن تشفى من العلاج الكيميائي قبل إجراء العملية في مستشفى لندن المركزي. غير أنّ صحّتها بدأت بالتدهور فجأة وتمّ نقلها إلى المستشفى في وقت سابق لأوانه. تتالت المشكلات بسرعة، فلا تكاد تنتهي إحداها لتبدأ الأخرى. توقفت كليتاها عن العمل. فقدت القدرة على الكلام. بدأت أعضاؤها الفشل وأُدخلت إلى العناية المركّزة ووضعوا لها جهازاً للتنفس. أخذت فارلي إجازة من المدرسة لتبقى بجوار عائلتها في المستشفى طوال اليوم.

كنت قد تركت عملي منذ أكثر من ثلاث سنوات لأعمل كاتبة طوال الوقت، ما يعني أنني كنت أعمل في المنزل وأستطيع أن أستقل حافلة لألتقيها. التقينا على الغداء معظم الأيام لشهر. كنا دوماً نذهب إلى مقهى فوق Heals في شارع توتنهام كورت ونطلب الشيء نفسه كل مرة: طبقي سلطة سيزر وطبقاً مشتركاً من البطاطا المقلية. كانت تخبرني عن حال فلوس ذلك اليوم، غير أن الأخبار لم تشر أبداً إلى أيّ تحسّن. كل شيء كان معلقاً في الهواء ولا أحد يملك فكرة واضحة عما سيحدث بعد ذلك. بدا أن فكرة زراعة نقي العظام تصبح مستبعدة أكثر وأكثر. حاولت تهدئتها بتكرار البدهيات نفسها: إنها في أفضل مكان يمكن أن تكون فيه. هي في أيدٍ أمينة. الأطباء يعرفون ما الذي يفعلونه. عرفت أنها كانت غارقة مع الإحصاءات والعلم وتتابع كل يوم ما يصدر عن الخبراء، ولذا شعرت أن عملي كصديقة جاهلة هو أن أكون مهدأ إيجابياً لأملها. لكن الحقيقة أنه لم يكن لدي فكرة عما يحدث.

سألتني كل يوم عن أخباري الجديدة باحثة عن شيء من الحالة الطبيعية تلهيها وتنشّطها قبل التوجه إلى غرفة المستشفى بعد الظهر. أخبرتها عن المقالات التي كنت أكتبها في ذاك الأسبوع. عرضت لها الفتيان على تطبيق Tinder. اشترت لي كأساً من نبيذ بروسيكو في اليوم الذي عرفت فيه أنني حصلت على عمودي الأول، وأخبرتني أنها كانت سعيدة فقط للاحتفال بشيء ما.

في نقطة ما، بدا كأن فلوس تبدي علامات صغيرة للتحسّن، وقالت فارلي إنّ عليّ المجيء إلى المستشفى لزيارتها. قلت إنني أود ذلك رغم توتري وخشيتي ألا أتمالك نفسي. بينما كنت أعقّم يدي قبل الدخول، انتبهت إلى أنني لم أزر أحداً في المستشفى من قبل.

”جاء أحدهم لرؤيتك“، قالت فارلي وأنا أدخل الغرفة. لم تستطع فلوس التحدث لكنها ابتسمت لي، وكنتُ ممتلئة بالراحة وفيض الحب لهذه الفتاة التي كانت الشخص الأقرب الذي عرفته كأخت صغيرة. وقفت عند طرف سريرها وثرثرت لها آملةً أن يمنحها ذلك شيئاً من السلوى. أخبرتها عن

السلسلة الجديدة من Girls التي عرفت أنها ستحبها، وعن الفرقة الجديدة التي أستمع لها وأظن أنها ستحبها. طلبت مني فارلي أن أحكي لها عن المادة التي كنت أكتبها. ابتسمتُ من جديد وأنا أحكي لها عن الفيلم القصير الذي كنا نعمل عليه، أنا ولورين، النص الذي عليها أن تحرره لي في وقت قريب. بعد خمس عشرة دقيقة قلت وداعاً لهذه الجميلة المدهشة وأنا أدرك أنها ربّما تكون آخر مرّة أراها فيها.

"أشعر أنها تفلت من أيدينا"، قالت لي فارلي بعد يوم واحد من زيارتي خلال تناولنا الغداء معاً، "يمكنني الشعور بذلك. أعرف أن هذا يحدث".

"لا تعرفين ذلك"، قلت، "الناس يصلون الحافة الأكثر ظلمة ويعودون بصحة كاملة. أنت تسمعين هذه القصص طوال الوقت". لكن برؤية فلوس مريضة جداً وبإخباري أن ذاك كان يومها الأفضل، عرفت لماذا انتابت فارلي مثل هذه الأفكار، وكان عليّ أن أفسح لها المجال للتعبير عنها.

بعد أسبوع من ذلك، وبينما كنت منهمكة بالكتابة على طاولة مطبخي في ظهيرة أحد الأيام، اتصلت فارلي.

"رحلت"، قالت وهي تلهث، "ماتت".

لم أرَ حشداً بشرياً في جنازة كما اليوم الذي ودعنا فيه فلورنس. أتى أصدقاؤنا جميعهم إلى الصلاة إلى جانب مجموعات المدرّسات والفتيات من مدرستها والعائلة، والأصدقاء الذين التقتهم في رحلاتها، والأشخاص الذين لمسوا دفئها ورقّتها وذكاءها ولطفها على مر السنوات. كانوا بالمئات. وقف العديد منهم خارج المبنى وحضروا الصلاة عبر شاشة. نظرت إلى السماء وابتسمت عندما رأيت هذا آملةً أن يجعلها سعيدة لأنها عرفت كم كانت محبوبة. قرأ فريدي قصيدة رثاء. تحدث الحاخام الذي كان يعرفها منذ طفولتها عن شخصيتها وحضورها وشجاعتها. قرأت صديقتها المفضلة مقطعاً مدهشاً كانت فلورنس كتبته لها في كتاب العام:

> قد يبدو أن الحياة صعبة في بعض الأوقات لكنها حقاً بسيطة مثل الشهيق والزفير. افتح القلوب بقوة بغضبك، ومزق الغرور بتواضعك، كن الشخص الذي تتمنى لو تستطيع أن تكونه، لا الشخص الذي تشعر أنك محكوم أن تكونه. دع نفسك تهرب مع مشاعرك. أنت خُلقت ليستطيع أحدهم أن يحبك. دعهم يحبونك.

بين الجنازة ومأدبة الحداد، في العقيدة اليهودية، يوجد وقت حداد في المنزل. عادت الفتيات كلهن إلى بيتنا. ذهبنا إلى إيفان واشترينا بعض النبيذ. أعددت مقلاة كبيرة من البيض المخفوق وحضرت إنديا عدداً كبيراً من شرائح الخبز. تحدثنا عن فلورنس، وكلّ ما كان لديها من أشياء مسليّة ورائعة وحتى مثيرة للغضب. بكينا وضحكنا ورفعنا كؤوسنا ذكراً لها. كان منزل العائلة مزدحماً من أجل

مأدبة الحداد كما كان من أجل الجنازة. وقفنا جميعاً في المطبخ وتلا الحاخام الصلوات وتحدث مجدداً عن فلورنس. بدأت فارلي قراءة قصيدة. راقبتها تنطق الكلمات أمام الميكروفون، كانت تبدو أصغر بكثير مما رأيتها في حياتي. وعند أحد السطور توقفت وأجهشت بالبكاء، ولذا أعطت القصيدة للحاخام الذي أكمل القراءة بصوت عالٍ. نظرت عبر المطبخ المزدحم إلى هذا المخلوق الصغير مثل عصفور يكاد يتلاشى: لقد وهنت عظامها وكلماتها ورغبتُ أن أسرع عبر الغرفة لاحتضانها. كانت أسوأ لحظة في حياتي. بقي الناس حتى وقت متأخر من المساء. جلست صديقات فلورنس في المدرسة في غرفة نومها بين كتبها وملابسها. كُلّفت مهمة كتاب التعازي. وكانت إنديا وآج ولاسي يحتسين خمرة بريستول كريم التي قدمتها العمة لورا في كؤوس بلاستيكية.

أتى زملاء فارلي جميعهم، بمن فيهم المدير، من المدرسة التي تعمل فيها للتعبير عن احترامهم. في منتصف المساء، كما في التقليد اليهودي، جلست العائلة بحزن على الكراسي بنسق واحد، وتمنى لهم المعزون حياة طويلة.

وصلتُ إلى فارلي وجثمت كي أعانقها.

"أحبك كثيراً"، قلت، "وأتمنى لك حياة سعيدة طويلة جداً".

"شكراً لك"، قالت وهي تعصر ظهري، "هل رأيت المدرسين؟ كلهم من مدرستي؟"

"نعم، إنهم لطيفون. كنت أتحدث إلى نائبة المدير".

"هل أحببتها؟"

"نعم. أجرينا محادثة رائعة. إنها امرأة لطيفة".

"أنا سعيدة أنك أحببتها"، قالت مبتسمة، "عمّ تحدثتما؟"

"طلبت منها أن تعتني بك عندما تعودين إلى العمل"، قلت، "طلبت منها التأكد أن يكون هناك دوماً من يعتني بك".

"سأكون بخير، دول"، قالت وعيونها البنية الكبيرة تمتلئ بالدموع حتى سقطت واحدة منها عبر جفونها وجرت على خدها، "عليّ فقط أن أجد طريقة لأحيا من دونها".

قضيت الأيام التالية في منزل العائلة مع فارلي. لم يكن هناك الكثير من الأحاديث لكنني أعددت الشاي وساعدت زوجة أبيها آني في أي تفصيل كان يُطلب عمله في المنزل. بعد موت فلورنس وجد صحافي من صحيفة *Telegraph* مدوناتها واتصل بعائلتها ليسأل هل بإمكانه أن ينشر أجزاء منها في الصحيفة إضافة إلى بورتريه عنها. وافقوا لأنهم عرفوا أن هذا ما كانت تريده، والمقالة عنت أن

مزيداً من الناس تواصلوا مع آني وريتشارد ليعبروا عن أسفهم لخسارة شخص مليء بالحياة لهذه الدرجة.

"أرسلي الرسائل"، قالت آني في إحدى الصباحات وهي جالسة تقرأ أكواماً من بطاقات ورسائل العزاء، وتابعت: "تعودت القلق حين يحدث شيء ما. وظننت أنّ الكتابة تكون تطفلاً. لكن لا. هذا ليس تطفلاً. إنّه أمر جيد للعزاء. إن كان ثمّة درس مما حدث، فهو أنه علينا دوماً أن نرسل الرسائل".

في تلك الظهيرة، خرجنا جميعاً وأخذنا الكلب للنزهة. مشينا، أنا وفارلي، جنباً إلى جنب. اعتمرنا قبعاتنا الصوفية التي اشتريناها قبل أيام عندما ذهبنا إلى مركز تسوق Kew Retail لشراء الأحذية التي لبسناها في الجنازة. أيّ أسبوع كثيف من الرفقة المتلازمة. بدا الأمر مع هذه القبعات المتطابقة والكبار يمشون خلفنا كأنما عدنا مراهقتين، باستثناء أننا هذه المرة لم نكن نتحدث عن الفتيان الذين نراسلهم على MSN. لقد مشيننا جنباً إلى جنب إلى المدرسة، ومحاضرات الجامعة، والشوارع حول بيتنا الأول في لندن، وفي مكان ما من سنوات عمرنا الخمس عشرة توقفنا عن اللعب. كففنا عن التظاهر أننا بالغتان. أصبحنا بالغتين مصادفةً.

أخبرتني ذات مرة أنها لا تريد أبداً أن تُنسى. "أشعر بالسوء لافتراض أن الحياة تسير على نحو طبيعي"، قالت.

"قالت ذلك قبل أن تعرف أنها كانت تموت"، فكرت، "أعرف، كانت تكره فكرة أن تبكيها للأبد".

"أفترض ذلك".

"يمكنك أن تجدي طريقة لتبقيها قريبة منك وتعيشي معها دون أن تتوقف حياتك".

"سيكون كل شيء غريباً دونها".

"ستكون حالة طبيعية جديدة"، قلت، "لكنها كانت متأكدة أنها لن تُنسى، لا تقلقي".

"حسناً، ذلك صحيح"، قالت.

"عليك أن تعيشي. ليس لديك خيار. إما أن تتحركي إلى الأمام وإما أن تموتي".

تابعنا السير إلى جانب النهر. كان الجو بارداً ومشمساً وصافياً وهادئاً كما في يوم ثلجّي. تجاوزنا صفاً من الأكواخ لها أبواب بألوان مشرقة في تشيسوك. حانات مغطاة لمقاومة النسيم المائي البارد. لولا جسور قطارات الأنفاق، لكان المكان أشبه بقرية سياحية.

"آنت وديك[70] يعيشان هناك في الأسفل، في واحد من هذه"، قالت مشيرة إلى الأكواخ.

70 فرقة موسيقية مؤلفة من أنتوني ماكبارتلين وديكلان دونيلي.

’’لا ليسا كذلك‘‘.

’’أقسم‘‘.

’’لا، أنت تقولين ذلك فقط لأن البوابات الأمامية صغيرة جداً‘‘.

’’أقسم لك أنهما يعيشان هناك‘‘.

’’معاً؟‘‘

’’لا. يعيشان قريبين من بعضهما‘‘.

تابعنا السير. ’’لا أريد أبداً أن أعيش بعيدة عنك‘‘، قلت.

’’ولا أنا‘‘.

’’أنا حقاً لا أهتم أين أعيش عندما أكبر، أريد أن أعيش قربك فقط‘‘.

’’أنا أيضاً‘‘.

’’مع أننا الآن نبدو متباعدتين. غير أنني أريد يقيناً أن منازلنا ستكون قريبة فعلاً. أريد أن يكون ذلك أولوية من الآن فصاعداً‘‘.

’’كذلك أنا‘‘، قالت.

تابعنا السير بمحاذاة النهر. وشمس ديسمبر لا تزال تملأ السماء.

’’أفكر فيك دوماً عندما يكون الطقس هكذا. هذا مزاجك المفضل من الأيام‘‘، قلت.

’’إنه كذلك. بارد ومشرق‘‘.

’’نعم، بينما مزاجي المفضل مظلم ورطب لأنني مصابة بمرض عصبي هو الانغماس في الذات وأنت دوماً حيوية ومرحة‘‘.

’’ها!‘‘.

’’أنت كذلك. فهمنا الأمر خطأ عندما كنا صغاراً. ظننا على الدوام أنك كنت الأكثر حساسية، لكن الأمر انقلب؛ أنا من أعيش دوماً في فوضى وأنت أكثر مرونة ممّا تظنين‘‘.

’’لا أعرف‘‘، قالت.

’’تعرفين. أنت مخلوقة من المادة الأقوى. لم أكن لأحتمل لو كنت مكانك‘‘.

’’لا تعرفين ذلك. لا يمكنك تخمين ردّ فعلك على الأشياء حتى تحدث‘‘. تابعنا السير متحاذيتين نرقب ضوء الشمس فوق الماء، ’’لم يتغير شيء منذ توقّيت‘‘.

’’إنها هنا‘‘، قلت، ’’ستكون هنا في كل لحظةٍ تشتكين فيها ظلماً أو تضحكين على فيلمك المفضل. ستكون هناك‘‘.

مشينا قرب جسر كيو. لا تزال آني وشقيقتها في المشهد خلفنا. الكلب يقفز قربهما يهز ذيله بمرح من جهة إلى أخرى.

"هل تريدين أن تُحرق جثتك؟" سألت.

"طبعاً. وأريد أن أُنثر في ديفون على شاطئ ماوثكومب".

"أنا أيضاً"، قالت، "لكنني أريد أن أنثر حيث تكون فلوس في كرونويل. رغم أنني سأشعر بالضيق لأني لن أكون معك".

"أوه، لا بأس، سنكون معاً أينما ذهبنا تالياً. سيكون علينا فقط أن نلتقي بعضنا بعضاً هناك".

"تماماً".

"هل تظنين أنني سأشعر بالوحدة قليلاً إذا كنت بمفردي؟ ماذا عن هامبستيد هيث؟ مكاني المفضل في لندن، حيث اعتاد والداي أن يأخذاني منذ كنت طفلة".

"بالتأكيد لا، ستبقين راسخة في الذاكرة".

"لهذا أظن أنه من اللطيف أن أنثر في البحر"، قالت بكآبة، "رغم أنني أخاف سمك القرش".

"لكنك ستكونين ميتة فعلاً".

"أوه، نعم".

"هذا ما يهم، يمكن لسمك القرش أن يفعل أسوأ ما لديه وستكونين بخير. تكونين قد عبرتِ نقطة اللاعودة".

"حسناً، في البحر، إذاً".

مشينا إلى المنزل بنورٍ بهيّ، وشعرت بالامتنان لحياة فلورنس ولكل ما علّمتني إياه. كنت ممتنة للشمس على جسر كيو حيث وضعت قدماً أمام الأخرى. كنت ممتنة لفهمي في تلك اللحظة أن الحياة يمكن أن تكون فعلاً بسيطة مثل الشهيق والزفير. وكنت شاكرة لأنني عرفت معنى أن يسير قربي شخص أحبه. كنت ممتنة بعمق.

وصفة البيض المخفوق
(تكفي لشخصين)

كل ما تحتاجينه هو الزبدة والبيض والخبز. لا يحتاج البيض المخفوق إلى الحليب أو الكريما. أبقيه بسيطاً وسيكون من السهل تحضيره وتناوله عندما تكونين حزينة.

– ملعقتان من الزبدة المملحة

– 4 بيضات طازجة (إضافة إلى صفار واحد إذا كنتِ لطيفةً)،

اضربيها قليلاً بشوكة

– ملح وفلفل أسود للنكهة

ذوّبي ملعقة من الزبدة ببطء على حرارة منخفضة في مقلاة واسعة.

اسكبي البيض في المقلاة.

حركيها بشكل دائري بملعقة خشبية، ببطء وهدوء تام.

أبعدي المقلاة عن النار عندما تكون رطبة جداً. نكّهي وحركي مع ملعقة الزبدة الأخرى.

رسائلُ نصية دفعتني صديقتي في السكن، إندِيا،
إلى إرسالها من هاتفها على أنني هي

(لا أعرف لماذا وافقت على هذا)

رسالة نصية إلى سام، زميلها السابق

إنديا 20.47

صباحك سعيد، سام! كيف هي الحياة؟ قد يبدو هذا غريباً نوعاً ما لكنني كنت أتساءل في أي مقاطعة في لندن تستقر حالياً؟

سام 20.48

ريتشموند. لماذا تسألين. هل تنتقلين جنوباً؟

إنديا 20.50

للأسف، لا، أنا باقية في هايغيت. لدينا بعض المشكلات حالياً في جمع نفاياتنا. هم يأخذون القمامة العامة فقط كل أسبوعين ونحن نكوّمها بسرعة كبيرة. هل تقبل أن أفرغ اثنين من سلال نفاياتنا في ريتشموند كل أسبوعين؟ سأجمعها وأوصلها في اليوم التالي فلا تقلق بهذا الشأن.

سام 20.51

امم... ماذا؟

تريدين أن تحضري سلال النفايات مسافة 15 ميلاً كل أسبوعين؟ لماذا لا ترميها فقط في مكان ما؟

إنديا 20.51

لأنني أفضّل معرفة أنها في أيدٍ أمينة.

سام 20.51

سلال النفايات؟

إنديا 20.52

نعم.

لن تسبّب مشكلة لك. أنت لن تكاد تلاحظها.

سام 20.53

توقفي عن هذا.

إنديا 20.53

حسناً، لا داعي للقلق سأرسل رسالة إلى صديقي في بيكهام.

سام 20.54

هل يعقل أن تفعلي ذلك، وفي أماكن تبعد 10 أميال؟ يبدو الأمر مقرفاً.
لم لا تراسلين صديقاً في كامدن؟
يبدو ذلك مناسباً أكثر لك.

إنديا 20.56

هذا يتعلق بمقاطعة مختلفة، سام. شمال لندن ليس جيداً لي. أريد مقاطعة مختلفة تماماً في جزء مختلف من البلاد.

اليوم التالي

إنديا 21.00

مرحباً. كيف حالها؟

سام 21.01

أوه، يا إلهي.
هل يتعلق هذا بالنفايات مرة ثانية؟ هي هناك، كفّي عن هذا.

إنديا 21.01

توقف عن التحدث عن النفايات.

سام 21.01

هاهاها، جيد.

إنديا 21.02

جديّاً هل يمكننا البدء في ترتيب الأمر للأسبوع المقبل؟

سام 21.03

أوه، يا إلهي. هل هذا حقيقيّ؟

إنديا 21.03

ستذهب سلالي الثلاثاء، يمكنني أن أضعها على متن قطار الإثنين؟ قبلاتي.

سام 21.05

ظننت أنك كنت ثملة إنديا. أنا أعيش في بارنس.

إنديا 21.05

سلال المهملات؟

سام 21.06

إنها تبعد مسافة ساعة.

إنديا 21.06

أنت محق إنها مسافة طويلة جداً على المترو.

سام 21.07

ليس هناك مترو حتى.

إنديا 20.07

سأحضرها في سيارة أجرة كبيرة.

سام 20.08

أوقفي هذا. لا أريد سلالك.

إنديا 21.09

حسناً، أنا مترددة الآن حول ماذا سأفعل، لكنني أظن أنك لا تريد الإزعاج.

سام 21.09

لماذا لا ترميها في مكان ما؟ ما لم يكن فيها وثائق شخصية، لا أحد سيعرف.

إنديا 21.10

أفترض ذلك.

أنا أتمنى فقط أن أحضرهم إلى بارنس بما أن هذا عمليٌّ أكثر.

سام 21.10

ليس كذلك؛ إنه سخيف.

إنديا 21.11

أفهم رغبتك في الحفاظ على خصوصيتك... إلخ.

وأنك لا تريدني أن آتي وأذهب.

سام 21.11

لا أريد أن أكون حاضن مهملات. لا، هذا غريب. لكن إذا كنت ترغبين في تناول شراب في بارنس، فأنت أكثر من مرحب بك.

فقط لا تحضري أي سلال مهملات.

رسالة إلى شون، معرفة من الجامعة

إنديا 19.21

مرحباً. لدي انطباع أنك صاحب فضول حول مغامرة تجارية، هل أنا محقة؟

شون 19.22

من معي؟

إنديا 10.22

إنديا ماسترز، بكالوريوس آداب، درجة شرف.

شون 19.53

هل يمكنني المساعدة؟

إنديا 19.54

لقد حددت وجود فجوة في السوق – هي فجوة كبيرة تماماً – لبيع ثلاجات صغيرة بألوان مختلفة.

لدي خطة عمل كل ما أحتاجه هو شريك صامت. هل يمكن أن تكون أنت؟

رسالة إلى زاك، صديق من الجامعة

إنديا 18.53

هل يمكنني أن أطلب خدمة؟

زاك 18.54

بالتأكيد، حبيبتي.

إنديا 18.54

هل بإمكاني استعارة زوج من سراويلك من أجل لقاء عمل هذا الأسبوع؟

زاك 18.54

هاهاها، نعم.

أي نوع من السراويل؟ ولماذا؟

إنديا 18.55

لاحظت أنك ترتدي سراويل لطيفة. ولن يزعجك شراء واحد جديد.

وهذا مهم حقاً للقاء زبون.

زاك 18.55

سراويلي ستكون طويلة جداً.

إنديا 18.55

لا أظن أنها ستكون كذلك؟

زاك 18.55

أنت غريبة جداً، إندي، ما هو طولك؟

إنديا 18.56

خمسة أقدام وإنشان.

زاك 18.57

طولي خمسة أقدام وأحد عشر إنشاً.

إنديا 18.57

إذاً، يمكنني طيها.

لا تقلق بخصوص ذلك، فقط قابلني مع السراويل.

رسالة إلى بول، رجل التقته إنديا ذات مرة

إنديا 19.02

مرحباً، كيف حالك؟

بول 19.16

جيد، شكراً، كيف حالك؟

إنديا 19.18

رائع أن أسمع ذلك منك. لدي طلب: أنا في صدد إطلاق فرقة رقص، تحديداً رقص أيرلندي تقليدي لكن لا تدع ذلك يكون عائقاً، سيكون هناك بالتأكيد رقص حديث. على أي حال، يمكنك كسب الكثير من المال من هذا عند اقتراب موسم الأعراس وأنا هل ترغب في قطعة من الكعكة. لن يستغرق الأمر منك طويلاً حتى تتعلم الخطوات، وبصراحة، نحتاج شخصاً طويلاً في الخلفيّة. أخبرني ما رأيك؟

بول 19.56

مرحباً، واو، شكراً جزيلاً لتفكيرك فيّ. كم يبدو ذلك مسلياً. لسوء الحظ أجندتي هذا العام تبدو مليئة تماماً ولا أظن أنني سأكون قادراً على الالتزام بهذا.

حقاً أعتذر عن ذلك. تأكدي أن تلتقطي صوراً.

اعتني بنفسك وآمل أن أراك قريباً. قبلاتي.

إنديا 19.58

لكن هل تريد قطعة من الكعكة؟

الثالث والعشرون من مارس

"مرحباً لكل امرأة عرفتها إيميلي في السنوات الثماني والعشرين الماضية!
آمل أنكن جميعاً بخير ومتحمسات لاحتفالات عطلة نهاية الأسبوع التالية. نظن أنه سيكون من المفيد للجميع سيداتي أن نخبركن كيف سيكون اليوم.
سنبدأ السبت فوراً عند الثامنة صباحاً. انضموا إلينا من فضلكن في برج لندن من أجل دورة الطهي Tudor [71]. سنعد لحم الغزال المحشو المشوي مع الكمثرى المطهوة. سيكون هذا فطوراً في الساعة ٩.٠٠ صباحاً إلى جانب نصف لتر كريمة من الميد[72].

71 دورة الطبخ التيودوري. تهدف إلى اكتشاف طبيعة الطبخ الإنكليزي خلال القرن السادس عشر وبداية السابع عشر.
72 MEDU: مشروب كحولي يصنع من العسل والماء وأحياناً يضاف إليه فواكه وتوابل وحبوب.

في العاشرة، سنتجه شمالاً إلى مركز الرياضة في بلدة كنتش، حيث سنلعب كرة قدم مع عضو ذكري صناعي. إنها بسيطة جداً؛ ننقسم إلى فريقين ونلعب لعبة ودية لكن الجميع سيرتدي حزاماً أسود (من فضلكن، إن لم تكن قد قمتن بهذا بعد، أرسلوا إلينا جملة عن أفضل ذكرى لكم مع إيميلي، سنكتبها بواسطة سائل التصحيح الأبيض على الحزام إذ يمكنها أن تحتفظ بها إلى الأبد).
في الثانية عشرة، سنرتدي أزياءنا التنكرية الأولى (لاجتماع الديسكو Kenan & Kel). نترك مركز الرياضة ونذهب إلى حانة إيميلي المفضلة التي ذهبت إليها مرتين خلال السنوات العشر الماضية The Sparrow and Ape في كامدن.
١٢.٣٠ ظهراً، الغداء (كلفته مدفوعة ضمن المال الذي أرسلتموه مسبقاً). سيكون هناك طبق لذيذ مشترك من مقبلات حوض المتوسط حيث سيخصص قرص فلافل وثلاث زيتونات ونصف رغيف خبز مشروح لكل شخص وكأس من نبيذ بروسيكو. إذا كنتن لا تشربن نبيذ بروسيكو أو أي نوع من الشمبانيا، ننصحكن أن تحضرن كحولكن لليوم بكامله.
٢.٠٠ ظهراً، بعد الغداء، نظن أنه سيكون من المسلي أن نلعب لعبة: كم نحن مقربات فعلاً؟ سنشكل دائرة وستدور إيميلي بيننا وعليها أن تجيب عن أسئلة تخصنا. إذا أخطأت أكثر من مرة في سؤال يخصك، ستطردين من حفل الزفاف وسيطلب منك أن تغادري (مثلاً في الدورة الأولى، سوف تُسأل ما هي أعمالنا، في الدورة الثانية، ستُسأل ما هي أسماؤنا الوسطى... إلخ).
نحن لا نقوم بهذا لأنه يزيد المجازفة هذا اليوم فقط، وإنما نحن بحاجة إلى تخفيض عدد المجموعة من خمسة وثلاثين إلى ثلاثين لأن مكان العشاء لاحقاً يتسع لثلاثين شخصاً فقط ويبدو أن هذا هو الخيار العادل الوحيد.

٣.٠٠ ظهراً، نكون متحمسات جداً لتناول قوالب الشوكولا المصنوعة على أشكال فتحات شرج ذكرية بصحبة الكريما (شكر كبير للوصيفة ليندا لتنظيم هذا). سيكون على إيميلي أن تخمن أي شرج هو لخطيبها.
٤.٠٠ ظهراً، هذا الوقت المناسب لنبدّل أزياءنا إلى الزي التنكري الثاني، ''إيميلي المفضلة عندي''. كان لدي الكثير من الرسائل البريدية المهتمة خلال الأسابيع القليلة الماضية من أشخاص يسألن كيف يجب أن يأتين، وبصدق، لا نستطيع أن نشدد بما يكفي: المقصود من هذا أن يكون مسلياً. لذا لا تقلقن كثيراً حوله! إيميلي لاعبة اللاكروس، إيميلي في سنة الانتقال بين المدرسة والجامعة، إيميلي السمينة المتعطلة عن العمل، كلها جيدة جداً! ذكرت إحداهن إيميلي الجاهلة وهذه الفكرة الوحيدة التي لسنا متأكدين منها. سنفكر فيها. لدينا أمهات وجدات في هذا القسم من النهار.
٥.٠٠ ظهراً، قبل أن تصبح الجميع منتشيات جداً وعاجزات عن تذكر أي شيء، نريد أن نقدم إلى إيميلي شجرة التامبون. آمل أنكن جميعاً تلقيتن البريد الذي يطلب منكن الاحتفاظ بسدادة قطنية مستخدمة وإحضارها في مغلف. سيكون لدينا شجرة تين لنقدمها إلى إيميلي مزينة بكل سداداتنا لتعبر كم كنا دوماً مرتبطات بالصداقة والنسوية. نظن أن هذه ستكون حقاً لحظة خاصة لها.
٦.٠٠ بعد الظهر، نقول وداعاً للجدات والأمهات ونطلب لهن سيارة أجرة من Uber.
٦.٣٠ بعد الظهر، نتوجه إلى مطعم Ribs N Bibs في ستوكويل.
٧.١٥ بعد الظهر، نصل إلى المطعم ومباشرة نستبدل الملابس بملابس خروج (كعب عالٍ من فضلكن! نريد أن نجعل ذلك جذاباً قدر الإمكان بالنسبة إلى إيميلي).
٧.٣٠ بعد الظهر، المقبلات.
٨.٣٠ بعد الظهر، أداء مفاجئ من فرقة Blue Man Group. كانت إيميلي متحمسة جداً لتعطي انطباعاً أنها لا تريد تعرياً محرجاً، ولذا نظن أن هذا كان تسوية جيدة (ملاحظة مهمة للوصيفات: تذكرن أن تحضرن ملابس إضافية لإيميلي لأنها سوف تكون مغطاة بالطلاء مع نهاية هذا).
٩.٠٠ مساء، الأطباق الرئيسية.
١٠.٠٠ مساء، الحلوى ودورة تعليم صناعة القبعات النسائية. عندنا صانعة قبعات مشهورة عالمياً، السيدة ميرنجو التي وافقت على تعليمنا كيف نصنع قبعات جذابة من بقايا الحلوى. يمكنكن أن تشاهدن قبعة فطيرة البانوفي المذهلة التي صنعتها لتفهمن ما نحن بصدد فعله.
١١.٠٠ مساء، نسير إلى نادي Fluid في فوكسهول حيث حجزنا كرسياً (لا توجد طاولة شاغرة).
٤.٠٠ صباحاً، يغلق النادي.
وهذا كل شيء!
بقي أن نقول: أرادتنا إيميلي أن نعلمكن جميعاً أن الدعوة إلى حفل الوداع قبل الزفاف لا تتضمن لسوء الحظ الدعوة إلى الزفاف. فهو سيكون مختصراً ولا مكان للجميع، لكنها لا تزال تأمل أنكن ستحضرن للاحتفال بأيامها الأخيرة كفتاة عازبة.
أي شخص يتضح أنه تحدث مع إيميلي عن الزفاف أو أغضبها بشأن الدعوة سوف يلغى اسمه مباشرة من حفل التوديع؛ المقصود بهذا اليوم أن يكون مسلياً لها، وليس إشرافاً لوجستياً على الزفاف.

شكراً للجميع لتحويلكن مبلغ ٣٧٨.٢٣ جنيهاً، فهذا سيغطي كلفة اليوم بالكامل من دون النقل، والوجبات الرئيسية في المطعم، والمشروبات في المطعم والنادي. لم نتسلم المال بعد من الفتيات التالية أسماؤهن:

إيميلي باركر

جنيفر توماس

سارة كارميشيل

شارلوت فوستر

إذا لم تحول هؤلاء الفتيات المبلغ عند الساعة ١١.٠٠ مساء الليلة، لسوء الحظ، لن يكنّ قادرات على الانضمام إلينا وسيكون على الجميع أن يغطي كلفة أماكنهن.

دعونا نستعد للحدث!

الوصيفات. قبلاتنا."

معالجتي النفسية تقول

"لماذا أنت هنا؟"

لماذا كنت هناك؟ لم يخطر لي مطلقاً أنني سأكون يوماً في غرفة صغيرة مع سجادة بلون بيج وأريكة عنّابيّة اللون خلف Oxford Circus تماماً، حيث الرائحة هي دوماً رائحة مركّب عطريّ ولا شيء آخر. لا يهمّ كم كان صعباً أن أشمّ الرائحة حين دخلت. لا بقايا غداء. لا قهوة باردة. لا دليل على الحياة خارج هذه الغرفة سوى عطر هذه المرأة. الرائحة التي ستجعل قلبي غارقاً إلى الأبد، ويظن أنها الساعة الحادية بعد ظهر الجمعة أينما كنت وشممت نفحة من هذا العطر تضعه أي امرأة في حفلة. كنت هناك أدفع أجر ساعة في مساحة مقتطعة من الحياة حيث لا شيء إلّا محادثة بين شخصين. أمرٌ أشبه باستوديو تحليلي تناقش فيه نتيجة المباراة بعد انتهائها. كان هذا Strictly: it takes two. كان مثل Dancing on ice: Defrosted [73]. إنّها الغرفة التي سأفكر فيها دوماً حين أكون على وشك اتخاذ قرار سيئ، في مرحاض حانة، أو مع رجل في المقعد الخلفي لسيارة أجرة. هذه الغرفة التي وعِدتُ أن حياتي ستتغير فيها.

73 Strictly: it takes two [بصرامة، هذا يحتاج اثنين]. Dancing on ice: Defrosted [رقص على الجليد: تذويب الجليد] اسمان لبرنامجين تلفزيونيين.

لطالما وعدت نفسي أنني لن أكون في غرفة كهذه. لكن بعدما استنفدت الخيارات الأخرى لم أعرف أين أذهب غير هناك. كنت في السابعة والعشرين وأشعر أنني وسط عاصفة من القلق. مضت تسعة أشهر منذ بدأت العمل المستقل وكنت وحيدة مع أفكاري طوال الوقت. ابتعدت عن مخاوف عائلتي وأصدقائي. كنت دوماً على وشك البكاء ولم أكن قادرة على التحدث مع أحد. أستيقظ كل صباح غير مدركة أين أنا أو ماذا يحدث. أبدأ يومي كأنّما أنزف جرّاء لكمةٍ من نوم الليلة السابقة.

كنت هناك لأنه كان عليّ ذلك، ولأنه كان عليّ ألا أتأخر في الوصول إلى هناك، ولأنني قلت دوماً إنه ليس لدي مال أو وقت كافٍ لأنني كنت مستهترة وسخيفة. أخبرت صديقة أنني أوشك على الانهيار فأعطتني رقم امرأة لأكلمها. نفدت مني الأعذار.

"أظن أنني سأسقط وأموت"، أجبت. حدقت إليانور فيّ عبر نظارتها ثم عادت إلى أوراقها تسجّل ملاحظات بنشاط. كان لديها فرق في منتصف شعرها الداكن على نمط السبعينيات، وعيون بنية غامقة بأهداب تتحرك بسرعة وأنف قوي. لا بد أنها في بداية الأربعينات. بدت شابة مثل لورين هوتون. لاحظت أن ذراعيها كانتا بلون أسمر ولهما عضلات رائعة. فكرت أنها على الأرجح ظننتني

طفلة بكّاءة وسخيفة وفاشلة وسمينة. فتاة صاحبة امتيازات أكثر من اللازم، تنفق دون داعٍ كل ما كسبته بصعوبة إذ يمكنها الثرثرة عن نفسها لساعة كل أسبوع. هي على الأرجح رأت نساءً مثلي آتيات من بعد ميل.

"لا أستطيع أن أفتح أو أغلق أي نافذة في شقتي، عليّ طلب المساعدة من أحدهم ليفعل ذلك"، تابعت، وتوقفت لألجم دموعي التي شعرت أنها تضغط على الجدار الخلفي لكرات عيني مثل الماء خلف سد يمنع تدفقه.

"أحياناً لا أستطيع دخول غرفة إطلاقاً إذا كان ثمة نافذة مفتوحة لأنني أخاف السقوط عبرها. أقف وظهري ملتصق بالجدار حين يدخل القطار في النفق. أرى نفسي أسقط أمامه وأموت. أرى هذا يحدث في كل مرة أرمش فيها. ثم أمضي الليلة كلها أعيد ذلك في رأسي مراراً وتكراراً ولا أستطيع النوم".

"أجل"، أجابت بلكنة أسترالية، "ومنذ متى تشعرين بذلك؟"

"لقد ازداد الأمر سوءاً في الأشهر الستة الماضية"، قلت، "كان متقطعاً خلال السنوات العشر الماضية. أشرب بطريقة سيئة حين أكون قلقة جداً. الأمر نفسه مع هوس الموت. مدة بقاء الأشخاص في حياتي كانت تقل".

أخبرتها عن الصدمات العاطفية المتكررة التي أصابتني. تحدثت عن وزني الذي كان يتغير مثل تشكل الغيوم؛ كان بإمكاني أن أخبرها كم باونداً كنت أزن في كلّ صورة التقطت لي منذ 2009. أخبرتها عن هوسي بالكحول الذي لم يتضاءل مذ كنت مراهقة، فبينما عرف كلّ من كانوا في سنّي متى يتوقفون عن الشرب، كان عطشي غير قابل للإخماد. حدثتها كيف كنت معروفة على الدوام بأنني أحتسي الخمر بكميات كبيرة وبسرعة قياسية، وعن الثقوب السوداء في ذاكرتي حول تلك الليالي على مر السنوات، وعن خجلي المتزايد وضيقي من تلك الساعات الضائعة، ومن تلك المرأة المجنونة التي تجري في البلدة والتي عليّ أن أكون مسؤولة عنها رغم أنني لا أعرفها ولا أذكر من تكون. أخبرتها عن غياب قدرتي على الالتزام في أي علاقة، وهوسي بلفت انتباه الذكور وذعري في الآن نفسه من أن أصبح قريبة جداً من أحدهم. كم كانت صعبة رؤية جميع صديقاتي وهنّ يجدن طريقهن في علاقات طويلة الأمد، واحدة بعد الأخرى، كما لو كنّ يقفزن في بركة سباحة باردة في يوم حارق... كيف أن كل من أحبوني سألوني لم لا أستطيع فعل الشيء نفسه، كيف كنت دوماً أخشى أنني أسلك سلوكاً عاطفياً غريباً.

تحدثنا كيف أنني كنت أنثر حياتي مثل الملعقة الأخيرة من Marmite على امتداد حيوات عدة ممكنة. أخبرتها أنني سخّرت كامل طاقتي في طريق أشخاص لم يطلبوا ذلك مني. شرحت كيف كان الأمر يمنحني شعوراً بالسيطرة على ظنون الناس بي رغم أنه يجعلني أشعر بأنني مخادعة. أخبرتها إلى أيّ حدّ كنت أنشغل بتخيّل ما يحكيه الناس عني في غيابي، وأنني غالباً كنت أوافق على كلّ إهانة ترمى عليّ. حدثتها عن المسافات التي قطعتها من أجل الاستحسان منفقة مالي كلّه على حلقات شراب، من أجل أناس لا أعرفهم، فأعجز لاحقاً عن تسديد أجرة بيتي. وكيف كنت أبدأ ليالي السبت في الرابعة مساءً لتنتهي عند الرابعة صباحاً فألتحق بست حفلات أعياد ميلاد لأشخاص لا أكاد أعرفهم، وكم جعلني هذا أشعر بالتعب والثقل والضعف والكره لذاتي.

السخرية المثيرة للشفقة أنني كنت أملك العدد الأكبر من الصديقات لكن لم أستطع أن أحكي لهنّ أيّاً من ذلك. كان خوفي من التبعية متأصّلاً. لقد استطعت البكاء في سرير غريب التقيته في نيويورك ولم أستطع طلب المساعدة من أقرب صديقاتي.

''غير أن أياً من هذا لم يكن ذا تأثير مرئي في حياتي''، قلت، ''أشعر بالسخف لأنني أتيت إلى هنا؛ ربّما هو خطأ كبير. لديّ صديقات رائعات وعائلة رائعة. عملي يسير جيداً. لا أحد يمكنه معرفة أيّ خطأ أرتكبه في الخارج. أنا أشعر فقط بالهراء طوال الوقت''.

''إن كنت تشعرين بالهراء طوال الوقت، فإنّ للأمر تأثيراً كبيراً في حياتك''، قالت.

''أظن ذلك''.

''أنت تشعرين أنك على وشك السقوط لأنك متشظية ومشتتة''، قالت لي، ''تفتقدين إلى الأساس. أنت تائهة بين الأماكن ولا تعرفين كيف تكونين مع نفسك''. أخيراً أفسح الجدار الخلفي لكرتي عيني الطريق للدموع لتتدفق من أعمق نبع في جوف معدتي.

''أشعر أنه ليس ثمّة ما يجمعني مع نفسي بعد الآن''، قلت. اختنقت، ما تسبب في تقطع جملتي كالمصاب بالفواق، وكان سيل الدموع على خديّ حاراً متدفقاً كالدم.

''بالطبع أنت كذلك''، قالت بنبرة رقيقة، ''تفتقدين إلى تقدير الذات''.

لهذا، كنت هناك. اتضح الأمر أخيراً. فكرت أنني كنت أخشى السقوط لكن الحقيقة أنني لم أكن أعلم من أنا فقط. والمادة التي اعتدت ملء المساحة الفارغة بها لم تعد تعمل بعد الآن. إنها جعلتني فقط أشعر بالابتعاد أكثر حتى عن نفسي. إنّه القلق الذي اختلج طويلاً عبر صندوق البريد ليصل أخيراً بطريقة صادمة ويستقرّ في دمي. أذهلني التشخيص. لطالما ظننت اعتدادي بنفسي صلباً لا

يخلخله شيء. أنا أنتمي إلى جيل معتدّ بنفسه. كنا نملأ أقساماً في موقع ''About me'' منذ 2006. وظننت أنني الأكثر رهافة من أي شخص عرفته.

''لن تعرفي أبداً ما أظنه عنك حقاً''، قالت وأنا على وشك المغادرة. أرادت أن تخبرني أنها فهمت فعلاً كيف أفكر، ''ربما تكونين قادرة على التخمين عبر سلوكي إن كنت أحبك. لكن لن تعرفي كيف أفكر فيك على المستوى الشخصي. أنت بحاجة إلى التخلص من تلك الفكرة إذا أردنا التقدّم''.

اجتاحني في البداية هوس الارتياب، لكنني شعرت بالراحة التامة بعد ذلك. كانت تطالبني بالكفّ عن إطلاق النكت التافهة، والتوقف عن قول آسفة عن استخدامي مناديلها الورقية الموجودة على الطاولة قربي. قالت إننا في غرفة لا تستوجب الانتباه إلى كلّ كلمة أو إيماءة أو حكاية أسردها عن نفسي آملةً أن أحظى بحبها. هذه المرأة، التي حصلت على المسوّغ لوجودها بسبب غياب التقدير الذاتي والإحساس بالاحترام والوجود المرضي للناس والقلق المتواتر، كانت تريدني أن أشعر بالأمان في هذه الغرفة ذات السجادة البيج والأريكة العنابيّة، تماماً خلف Oxford Circus.

غادرت مكتبها ومشيت الأميال الخمسة والنصف إلى المنزل. كنت متحررة مع شعور بالراحة أنني وجدت أخيراً طريقي إلى تلك الغرفة، ومثقلة بدرجة لا تحتمل بما سيأتي. قلت لنفسي إن كل شيء يمكن أن يُحل في ثلاثة أشهر.

''تظن أنه ليس لدي تقدير لذاتي''، أخبرت إنديا وهي تعد عشاءنا تلك الليلة.

''كلام فارغ''، أجابت بسخط، ''لديك إحساس بالذات أكثر من أي شخص أعرفه''.

''نعم، لكن ليس ذاك النوع من الإحساس بالذات''، قلت، ''ليس مثل كيف سأصوت في الاستفتاء العام، أو ما هي طريقتي المفضلة في تناول البطاطا. هي تعني أنني أجزئ نفسي إلى قطع مختلفة لأمنحها لأشخاص مختلفين بدلاً من أن أكون كاملة. أنا متعبة جداً وغير مستقرة. لا أعرف كيف أكون من دون هذه الأشياء التي أستخدمها لترفعني''.

''لم أكن أعرف أنك تشعرين بهذا''.

''أشعر أنني مشتتة''، قلت لها.

''لا أريدك أن تكوني حزينة''، قالت إنديا وهي تمسكني حافية القدمين في مطبخنا، مع صوت غليان لطيف صادر عن المعكرونة التي تغلي على النار، ''لا أريدك أن تقومي بهذا إن كان سيجعلك حزينة''.

أخبرت إليانور، في الجمعة التالية، أن إنديا قالت إنها لا تريدني أن أخوض هذه العملية وإنها قلقة من أن تجعلني حزينة. قلت إنني كنت نصف موافقة.

”حسناً إذاً، الأخبار دسمة“، قالت بنبرتها الساخرة الواضحة البسيطة، التي كنت بحاجة إليها كتوقي إلى انقضاء العام، ”أنت فعلاً حزينة. تباً، أنت حزينة حقاً!“

”أعرف“، أجبت وأنا أمد يدي إلى علبة المناديل الورقية من جديد، ”آسفة لاستخدام كل هذه المناديل. أراهن أنك تحتاجين الكثير منها في عملك“. أكدت لي أنهم كانوا هناك من أجل ذلك.

***

هكذا بدأت العملية. كنت أذهب إليها كل أسبوع ونجري تحرياً في نفسي للإجابة عن سؤال: كيف أصبحت ما أنا عليه في السابعة والعشرين من العمر. أجرينا بحثاً جدلياً في ماضيّ، وناقشنا أحياناً الأمر الذي حدث في الليلة السابقة، وأحياناً أمراً حدث في المدرسة في درس PE قبل عشرين عاماً. العلاج تنقيب في نفسك تستمر فيه إلى أن تصطدم بشيء ما. إنه حلقة أسبوعية شخصية من Time Team، جهد مشترك بين الخبير والمقدم، المعالج النفسي ميك أستون، والمريض طوني روبنسون. تحدثنا وتحدثنا حتى شكلت نظرية السبب والنتيجة الملائمة، ثم اكتشفنا بجدية كيف نغيرها. أحياناً كانت تسند إليّ مهمات، أشياء لأحاول فعلها، موادّ للعمل عليها، أسئلة لأجيب عنها، أفكاراً لأفكر فيها، محادثات لأجريها. لشهرين، بكيت كل ظهيرة جمعة. ونمت عشر ساعات كل ليلة جمعة.

وجدت بمرور الأسابيع أن الأسطورة الكبيرة القائلة إن كل ما يفعله العلاج هو توجيه اللوم إلى الأشخاص الآخرين لم تكن صحيحة، وإن العكس هو الصحيح. سمعت عن معالجين يأخذون دور الأم المخدوعة المدافعة في حياة مرضاهم، ويؤكدون لهم دوماً أن الخطأ لم يكن خطؤهم، وإنما خطأ الحبيب أو المدير أو الصديق الأفضل. لم تدعني إليانور تقريباً ألقي المسؤولية على أحد آخر، وأرغمتني دوماً على: ماذا كنت أفعل لأنتهي من وضع محدد، ولذلك كنت دائمة الخوف من جلساتنا. ”ما لم يمت أحد ما“، أخبرتني في إحدى الجُمعات، ”إذا كان ثمّة أمر سيئ يحدث في العلاقة معه، فأنت مساهمة في ذلك“.

أول مرة ضحكنا فيها، أنا وإليانور، كانت على الأرجح بعد شهرين من العمل. دخلت في فوضى بعد أسبوع عمل سيئ. كنت دون مال، وتقييمي لذاتي منخفضٌ، وكنت قلقة بخصوص دفعي للإيجار وأن مهنتي لا تتقدم. خرج هوس الارتياب عن سيطرتي. كنت أتخيل أن جميع من عملت معهم يوماً يظنونني عاجزة وغير موهوبة ولا فائدة منّي. لم أغادر الشقة لثلاثة أيام. وصفت لها كيف أتخيل بوضوح قاعة اجتماعات مليئة بالناس الذين لا أعرفهم يتحدثون أي كاتبة فاشلة كنت. حدقت إليّ وأنا أتحدث، ثم أشاحت بوجهها غير مصدقة.

''أعني''، زفرت ورفعت حاجبيها، ''أعتقد من الجنون أن تظني ذلك''. لاحظت أنها أصبحت بالعموم أسترالية أكثر قسوة مما كانت عليه. نظرت من خلف منديلي، ليس هذا رد الفعل الذي كنت آمله.

''قاعات اجتماعات مليئة بأشخاص لم تلتقيهم أبداً؟'' قالت وهي تهز رأسها غير مصدقة، ''ذلك نرجسي جداً''.

''حسناً''، قلت وأنا أخلط الضحك بالشخير، ''نعم، عندما تصوغين الأمر بتلك الصورة. هذا سخيف''.

''لا أحد يتحدث عنك''، قالت.

''نعم''، قلت وأنا أمسح دموعي بالمنديل، وأشعر فجأة أنني مثل شخصية يؤديها وودي آلن، ''أنت محقة''.

''حقاً!'' قالت وهي لا تزال مندهشة، وتبعد غرتها عن وجنتيها، ''أنت لست بتلك الأهمية، دولّي''.

عندما دخلت الشهر الثالث، عقدنا جلسة خالية من الدموع. بقيت علبة المناديل الورقية دون أن تمس. وكانت هذه نقطة مهمة في مسار العلاج.

بينما شجعتني أقرب صديقاتي على الأمر، أصبح واضحاً في الحال أن اختبار الذات جعلني أضجر من الأشخاص الخطأ. بدأت أقلل الشراب أكثر وأكثر. وكنت أتساءل على الدوام هل أفعل هذا لأتسلى أو لأصرف انتباهي عن مشكلة ما؟ حاولت وضع حدّ لإرضاء الناس وأنا أنتبه إلى أن صرف وقتي وطاقتي بحرية كبيرة كان يشبه تكسير الفراغ، وأنا لم أرد أن أتحول إلى مقلع حجارة. كنت أكثر صدقاً. أخبرت الناس عندما كنت منزعجة أو مهانة أو غاضبة ومنحت قيمة للإحساس بالهدوء الذي أتى مع النزاهة، بثمن صغير لمحادثة غير مريحة. أصبحت أكثر وعياً لذاتي. لذلك، اختصرت من وضع نفسي في خدمة إمتاع الآخرين.

شعرت أنني أكبر أسبوعاً بعد أسبوع، شعرت أن دواخلي تبنى بعملية التركيب الضوئي مع كل يوم اتبعت فيه عادات جديدة. طورت هوساً بالنباتات الداخلية الخضراء، نوع من فكرة مثيرة للشفقة. اطلعت على ما الذي يجب أن أضعه في كل زاوية من ضوء وظل وملأت شقتي بكثير من الأخضر؛ زحفت نبتة البوتس فوق رفوف المكتبة، بينما جلست نبتة السرخس على ظهر ثلاجتي، وكان نبات قشطة دندروم على الجدار الأبيض المشع في غرفة نومي. علقت شجرة الحب الرائعة فوق سريري، وفي الليل، كانت القطرات الباردة الزائدة من الماء تسقط من أوراقها ذات الشكل القلبي وتقع على رأسي. سألتني إنديا وبيلّي كم كان هذا صحياً بالنسبة إليّ مقارنةً مع الأسلوب

الصيني للتعذيب بالماء، لكنني قرأت أن ذلك كان هو النتح، وهي عملية يتخلص فيها النبات من الماء غير الضروري في الليل، فهو يعمل بجد للتخلص من أي شيء يسبب ضغطاً على جذوره. وأخبرتهم أن ذلك كان يعني شيئاً لي. أنا وشجرة الحب كنا نفعل هذا الشيء معاً.

''هل يتسع المكان للمزيد من النباتات هنا؟'' سألت فارلي في أحد الأيام وهي تجول بنظرها في غرفة نومي، ''ستتحول إلى متجر صغير للرعب''.

عندما لم أكن أحتسي الكثير من الشراب كنت أختبر نوعاً جديداً من الاستيقاظ وأنا أتذكر مباشرة الليل. الأشياء التي قالها الناس، الطريقة التي نظروا بها، الإشارات التي تبادلوها وظنوا أنها سريّة. لاحظت أنني أينما ذهبت إلى حدث اجتماعي أراد الناس الأشياء السيئة. إن كنا على مائدة في حانة، أرادوا زجاجة أخرى من النبيذ والاتصال بتاجر المخدرات والجلوس خارجاً للتدخين والثرثرة السيئة بثمالة عن شخص نعرفه. تحوّلت، دون أن أدرك، إلى علامة سيئة لليالي التي تُقضى في الخارج. لطالما كنت الضوء الأخضر الذي يسمح للجميع بالسلوك السيئ، ولم أدرك ذلك حتى توقفت. ازدرتني إليانور بقسوة وبراعة حين تحدثنا عن هذا في ظهيرة أحد أيام الجمعة.

''أدركت أن الناس يريدون مني أن أثرثر''، قلت لها، ''إنه الشيء الذي ينتظرونه عندما أصل إلى مكان ما، خاصة بعدما يثملون''.

''وهل كنت تثرثرين؟''

''قليلاً، نعم''، قلت، ''لم أدرك كم كنت معتادة ذلك''.

''لماذا فعلت ذلك؟''

''لا أعرف. لأشعر أنني قريبة من الناس؟ لأفتح حديثاً؟ ربما لأشعر أنني قوية''، قلت، ''ذاك السبب الوحيد الذي يثرثر الناس من أجله. واضح أنني فعلت ذلك لأشعر بالقوة''.

''نعم، فعلت ذلك''، قالت مع ابتسامة خافتة تعكس سرورها لأنني فهمت الأمر قبل أن تشرحه لي. ''إنه دفع الآخرين إلى الأسفل لتشعري بالتفوق''.

''نعم، أفترض ذلك''.

''هل تعرفين من يفعل ذلك أيضاً؟'' صمتنا قليلاً، ''دونالد ترامب''. انفجرتُ ضاحكة.

''إليانور. عليّ أن أقدر حقاً طريقتك القاسية في الحب''، قلت لها، ''لكن حتى من أجلك، تلك مبالغة نوعاً ما''.

''حسناً نايجل فاراج إذاً''، قالت مستهجنة بعض الشيء كما لو كنت أتحذلق.

"قارنتني معالجتي النفسية بدونالد ترامب اليوم"، أرسلت رسالة نصية إلى فارلي وأنا أخرج إلى شارع ريجنت، "أظن أنني أحرز تقدماً حقيقياً".

بعد نحو خمسة أشهر من العلاج، شعرت فجأة كأننا صدمنا جداراً من الآجر. توقف التقدم الذي كنت أحققه. وجدت نفسي أتحوّل إلى موقع المدافعة معها. أخبرتني أنني كنت دفاعية. في إحدى الجلسات، اقترحت أنه ربما لم يكن هناك فائدة في تشريح أحداث وقرارات حياتي، والبحث مراراً وتكراراً في الشيء الذي حدث مع ذاك الحبيب ذات مرة أو الشيء الذي قاله والداي أو لم يقولاه عندما كنت أكبر. "ربما كان ذلك تمريناً عقيماً، ربما أنا ولدت بهذه الطريقة. هل فكرتِ أنه كان هناك احتمال فقط أن أكون قد ولدت بهذا الشكل؟" نظرت إليَ بدهشة.

"لا، لم أفعل"، أجابت.

"حسناً، واضح أنك لم تفعلي"، قلت بطريقة فظة، "لأنه بهذه الطريقة حرفياً، لن يكون هناك حاجة إلى عملك".

كنت أفكر أحياناً في القصة التي سأحكيها لها فتسهل الأمور عليّ حين أشعر بالاضطراب خلال الأسبوع. ثم تذكرت كم كنت أدفع لرؤيتها، المبالغ الإضافية التي كان عليّ تكبّدها، أي امتياز كان أن تكون قادراً على الدفع لكل ذلك، وأي هدر للمال إن لم أخبرها الحقيقة! تحدثت إلى بعض الصديقات اللواتي قلن إنهن يصبحن عصبيات قبل جلساتهن لأنهن جربن الوصول إلى شيء جيد كفاية ليخبرنه للمعالجة النفسية. كنت أشعر بالعكس تماماً. كنت دوماً أفكر في ما أستطيع إخفاءه عنها أو الإضاءة على الإيجابي في القصة التي أرويها فلا تبدو سيئة بقدر ما كانت فعلاً.

لكن، بالطبع، كانت دوماً ترى الصواب لأنني كنت أدعها تعرف كيف أتصرف. وأنا دوماً يغضبني إلى أي مدى كانت تعرفني، وكنت أنفجر بالبكاء عندما تتحداني. ليس لكرهي أن نناقش أمراً ما فعلته، لكن لأنني كرهت نفسي بسبب ذلك في المقام الأول.

في الشهر السادس، وصلت في إحدى الجلسات إلى نقطة قلت فيها: "حسناً ما الذي يجعلك حكيمة لعينة ملمّة بكل هذه الأشياء؟ هيا أخبريني كم أنت مثالية". وأدركت أنني كنت بحاجة إلى استراحة ولم أخبرها. قالت لي إنها "شعرت ببعض الغضب". قلت لها إنني بخير وبدأت إلغاء الجلسات. غبت شهراً ونصف.

عندما عدت إليها وجدت أنها كانت أكثر فهماً بكثير مما أذكر وتساءلت هل ابتكرت أسلوبها العنيد والعديم الرحمة في السؤال. ربما أصبحت لوحتي الفارغة التي أرمي عليها كل الغضب والأحكام التي أشعر بها تجاه نفسي. في منتصف ساعتنا، سألتني لماذا توقفت عن المجيء بانتظام دون أن

أناقش ذلك معها. فكرت في اختلاق عذر، فكرت في المال والوقت اللذين كنت أنفقهما على ذلك، وكيف أن التراجع متأخر جداً الآن.

"لا أعرف"، قلت.

"هل هي قضية ألفة؟" سألتني، "هل هي قضية استقلالية؟ لا تريدين أن تعتمدي على ما يجري هنا؟"

"نعم"، قلت متنهدة، "أظن الأمر كذلك، أظن أنني أردت أن أسيطر على الأمر".

"نعم، ربما هو كذلك"، قالت كأنها تفكر بصوت عالٍ، "ما يحدث في حياتك الخارجية ينعكس هنا".

"يبدو ذلك منطقياً".

"ما الذي تحاولين السيطرة عليه؟"

"كل شيء"، قلت وأنا أدرك ذلك وأقوله بصوت عالٍ، "أحاول أن أكون المؤثرة في رأي الجميع بي. كيف يتصرفون نحوي. أحاول منع حدوث الأشياء السيئة: الموت، الكوارث، الإحباط، أحاول السيطرة على كل هذا". فهمها هو فهمي، قررت فتح الطريق للعملية. سلّمت نفسي بالكامل لإليانور بثقة، وبدأنا دورة جديدة من وقتنا معاً.

"يجب أن تواصلي المجيء إلى هنا، وتواصلي الكلام"، قالت لي، "نحتاج أن نتحدث ونتحدث ونتحدث حتى نربط كل الأشياء ببعضها بعضاً".

أظن بعض مشكلتي كان وصولي إلى نقطة لم أعد أحتمل فيها أنّ إليانور باتت تعرف الكثير عني: عمّن أكون في الأماكن الأكثر ظلمة، أكثر ما يرعبني، يحرجني، يهينني، يسيء إليّ، التجارب المهمة في حياتي. في المقابل، لم أعرف عنها أي شيء. كنت أحياناً أتخيل إليانور في البيت، أفكر كيف هي حياتها حين لا تكون معالجة نفسية. تساءلت ماذا كانت تقول لأصدقائها عني، وهل قرأت أياً من مقالاتي أو نظرت إلى ما أكتبه على مواقع التواصل الاجتماعي أو بحثت عني على "غوغل" مثلما بحثت عنها في المرة الأولى التي تلقيت فيها فاتورة عليها اسمها الكامل.

بعد بضعة أسابيع، سألتني كيف أجد العلاج وكشفت استيائي من عدم معرفة أي شيء عنها. أخبرتها أنني فهمت أنه التبادل الملائم، لكن أحياناً كنت أشعر أنه تبادل غير عادل. لماذا عليّ أن أتعرّى كل أسبوع وهي دوماً بكامل ثيابها؟

"ماذا تقصدين، أنك لا تعرفين شيئاً عني؟" سألت بارتباك صادق.

"لا أعرف أي شيء عنك كشخص".

"بلى، أنت تعرفين"، قالت.

"لا، لا أعرف، لا أستطيع أن أخبر صديقاتي أي شيء عنك".

"أنت تأتين إلى هنا كل أسبوع ونتحدث عن الحب والجنس والعائلة والصداقة والسعادة والحزن. أنت تعرفين تماماً ما أفكر فيه حول هذه الأشياء كلها".

"لكنني لا أعرف هل أنت متزوجة. لا أعرف هل لديك أطفال، لا أعرف أين تعيشين، لا أعرف إلى أين تخرجين، لا أعرف هل تذهبين إلى الجيم"، قلت وأنا أفكر تحديداً في عضلات ذراعيها المشدودة التي كنت دوماً أجد نفسي أنظر إليها في اللحظات الصعبة وأتساءل أي أوزان استخدمت لجعلها بهذا الشكل.

"وهل تظنين أن معرفة أي شيء من ذلك ستساعدك في فهم من أكون؟" سألت، "أنت تعرفين الكثير عني".

مع الوقت، تعلمت لغة إليانور. فبعد جلسة مليئة بالدموع، كانت تقول دوماً: "اعتنِ بنفسك جيداً"، مؤكدة "جيداً"؛ عنى ذلك: "لا تثملي كثيراً هذا الأسبوع". كان سيئاً أيضاً عندما تقول: "أوه حقاً" عندما أخبرها شيئاً ما. لكن الأسوأ بكثير كان: "كنت قلقة عليك هذا الأسبوع"، فعندما تقول إليانور إنها كانت قلقة عليّ ذاك الأسبوع، يعني هذا أنني أعطيتها عرضاً حقيقياً للهراء في الجمعة الفائتة.

لم أوقف أبداً أيام الجمعة المرعبة لكن خوفي منها كان يتضاءل. ضحكنا، أنا وإليانور، معاً أكثر. أخبرتها أنني أحياناً بعد جلساتنا كنت أذهب مباشرة إلى مطعم Pret وأتناول قطعة براونيز في خمس ثوانٍ تقريباً، أو أذهب إلى متجر وأشتري بعشرة جنيهات قطعة قمامة لا أحتاجها أبداً. قالت إنني أفعل هذا لأنني كنت قلقة مما تظنه بي، وأنا وافقت. ليس طبيعياً أن تجلس في غرفة صغيرة مع شخص بعيد عن بقية حياتك وتخبره كل قصصك بصراحة ودون حذر، أشياء لم تقلها أبداً بصوت عالٍ من قبل، أشياء لم تخبر بها أحداً، ربما حتى نفسك. لكن كلما كنت أتحسن، قلّت الأحكام التي أطلقها عليها. بدأ شكلها الحقيقي يتبدّى أمامي: كانت امرأة تقف إلى جانبي.

عندما أخبرتني صديقة لي أن العلاقة بين المريض والمعالج النفسي هي التي تسبب الشفاء وليس التحدث، فهمت الأمر. بدا إحساسي المتزايد بالهدوء والسكينة كشيء كنا نبنيه معاً مثل طبيب يقوّي عضلة. حملت جزءاً صغيراً منها معي وكنت واثقة أنني دوماً سأفعل ذلك. ساعدني العمل في تطوير فهم جديد لنفسي ما كنت لأستطيع طرده أو دفنه. ذاك ما دعته: "العمل". كان وقتي مع إليانور تحدياً ومواجهة وشيئاً صعباً. لم تتركني أبداً أفلت من أي شيء. جعلتني أفكر في كل دور لعبته. حاولت أحياناً التفكير في الوقت الذي لم يكن لسلوكي فيه أي نتيجة بعد ظهر أيام الجمعة

الصعبة تحديداً. تساءلت كيف كانت الحياة ستبدو لو أنني لم أقرر المضي في هذا الصعود داخل نفسي. هل كان من الأسهل فقط أن أواصل تناول الشراب وأندفع في سيارة أجرة في شارع M1 في الرابعة صباحاً، كشخصٍ لم يختبر سلوكه أبداً لكنه يتجاهل ذلك ليكرر الأمر نفسه في عطلة نهاية الأسبوع التالية؟

أحبت إليانور أن تخبرني أن الحياة هراء. أخبرتني ذلك كل أسبوع. أخبرتني أن هذا كان سيحبطني. ذكرتني أنه لم يكن هناك ما أستطيع فعله لأسيطر عليها. ارتحت لتلك الحتمية.

عندما أكملنا العام معاً. بدأت محادثاتنا تسير بألفة ويسر، أوصتني بقراءة الكتب التي ظننت أنني سأحظى فيها على مساعدة. كانت تقول في معظم الأحيان: "إلى اللقاء" بدلاً من: "اعتنِ بنفسك جيداً". توقفت عن قول: "أوه، لا" بطريقة قلقة عندما أخبرها قصة، وبدأت أسمع ارتياحاً صادقاً: "حسناً هذا كله يبدو رائعاً!" بانتظام تام. في أحد أيام الجمعة، استنفدت حقاً كل ما يمكنني إخبارها به.

لا أعرف تماماً كم أردت أن أبقى هناك أو إلى أي درجة أردت أن أشعر بالحرية. لكنني عرفت أنني كلما قضيت وقتاً أطول، أصبحت الأشياء أكثر اتحاداً. تحدثت بنفسي ببعض الانسجام تماماً كما توقعت. وصلت النقاط المنفصلة، واكتشفت الأنماط. بدأ الحديث يترابط فعلاً. باتت الفجوة أصغر بين كيف أشعر داخلي وكيف أتصرف. تعلمت مواجهة المشكلات: أدخل فيها بعمق عوضاً عن الذهاب في رحلة في خليط خارجي من التجربة حيث تسير الأمور على نحو خطأ. صارت الثمالة أقل وأقل، وعندما تحدث يكون القصد هو الاحتفال وليس الهرب، ولذا لم تكن النتائج كارثية أبداً.

شعرت أنني أكثر ثباتاً وقوة. فُتحت الأبواب داخلي واحداً بعد الآخر. فرغت الغرف من كل هرائي وتحدثت إليها عن كل قطعة من البقايا القديمة وجدتها هناك، ثم رميت كل شيء خارجاً. مع كل غرفة فتحتها، عرفت أنني كنت أدنو من الإحساس بالذات وبالهدوء وبالوطن.

الثاني عشر من حزيران

" عزيزتي دولّي شيء ما ألدرتون

تهانينا! لقد ربحت مقعداً في زفاف جاك هارفي–جونز وإيميلي وايت. أحسنت بالحصول على هذا.

أنت كنت بين الاثنين الأخيرين في الدعوة الختامية إلى الزفاف، إلى جانب روز ابنة عم إيميلي. اخترناك في النهاية لأنك تثيرين الضجة وتشربين كثيراً جداً، الأمر الذي ظننا أنه يمكن أن ينشط طاولة أصدقاء جاك الانطوائيين القادمين من كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية. ستأتي روز الآن إلى حفل الوداع فقط لكن

ذلك جيد لأننا لم نُدعَ إلى حفل زفافها عندما كانت وزوجها "هاربين خفية" ولأن روز لديها وشم بارز على وجهها فهي ستفسد صور اليوم على أي حال.

لذا! من فضلك، استعدي للخبر! السيد والسيدة وايت يطلبون سعادة رفقتك في زواج ابنتهم إيميلي بالسيد جاك هارفي–جونز في فندق Vale of Nowhere (أعرف أنه قد يبدو من الجنون قليلاً قول "السيد والسيدة وايت"، لكنّ والدي جاك الثريين أكدا أن ذلك هو ما يكتب وهما من يدفع ثمن خمرة الترحيب، ولذا لا يمكننا أن ننزعج بالشجار معهم على ذلك).

أنت مدعوة بترحاب لمشاهدة والد إيميلي يودعها، ويستلمها بحماسة رجل آخر كأنه يشتري سيارة مستعملة. عندما تسأل صديقات إيميلي المتعصبات للمرأة عن هذا، سوف تكذب وتقول إن الكنيسة قالت إن علينا ذلك وهذا لم يكن خيارنا، ونحن نقدر إذا كنت تؤيدين هذا الخط من الحفل.

الآن، من فضلك، نحن نتوسل إليك، لا هدايا. وجودك فقط! حسناً، حسناً، إذا كنت مصرة جداً يمكنك اختيار هدية رمزية صغيرة من متجر Liberty، حيث سيكون لديك امتياز أن تطلبي شيئاً عادياً، مثل خلاط سلطة بخمسين باونداً، أو يكون خيارك منحلاً مثل تمثال خزفي لأرنب يرتدي قبعة، الأمر حقاً يعود إليك.

تبرعي أيضاً لعمل الخير إن أردت، لا تنزعجي بالتفكير في شيء ما، نحن ظننا فقط أنه سيكون من الجيد اقتراح الأمر (من فضلكم، ليشتري أحد ما أريكة لغرفة معيشتنا!)

نحن نعرف، دولّي شيء ما ألدرتون، أنك عازبة مع دخل ٣٠.٠٠٠ جنيه في أحسن الأحوال، بينما لدينا دخل سنوي ٢٣٠.٠٠٠ جنيهاً. نحن نفهم كذلك أننا نعيش في شقة أجرتها ٧٠٠.٠٠٠ جنيه في باترسي، والاحتياطي الذي يدفع عليها هو بالكامل من أهلنا، بينما تناضلين لتجمعي ٦٦٨ جنيهاً كل شهر لتدفعي إيجارك، ولذا نظن أنه قد يكون منطقياً لك أن تكوني الشخص الذي يقدم إلينا الهدايا الثمينة لتزيين بيتنا المفروش بالكامل.

لا، لكن جدياً، نحن نريد أن تكوني هناك فقط، ولذا لا تقلقي حول الهدية أو العمل الخيري أو أي شيء. إذا أتيت بأيدٍ فارغة، سنطلق فقط تعليقات لاذعة عن ذلك في حفلات العشاء إلى أصدقائنا المشتركين عندما لا تكونين موجودة خلال العام التالي. وحقاً ذلك يناسبنا تماماً، لأننا نحتاج أن نستمر في التحدث عن الزفاف حتى يحدث لدينا حمل، ولذا كلنا أمل أن تأخذي قرارك الأناني بعدم الاحتفال بحبنا مع البوتقة، ما سيعطينا مادة كافية للحديث عنها في كل محادثة حتى يمكننا أن ننتقل إلى فصل آخر والحديث عن الولادة في الماء. لذا شكراً.

بالنسبة إلى الشراب! سيحصل كل ضيف على كأس من الشامبانيا/ نبيذ أبيض فوار غير معروف في كأس شامبانيا ذي قاعدة ضيقة عند الوصول، ثم أخشى أنه سيكون هناك دفع في الحانة. حاولنا جعل ميزانية الزفاف ٧٥.٠٠٠ جنيه لتشمل الشراب لـ١٢٠ شخصاً لكن للأسف، هذا لم يغطه تماماً. حفلات الزفاف اللعينة!

مرفقٌ تفاصيل مكان للإقامة باهظ إلى حد ما ولكنه لطيف وجميل. لن نضغط عليك لتختاريه ويمكنك أن تقيمي أين تشائين في القرية الريفية البعيدة حيث سنتزوج.

استمتعي بذلك واحجزي بسرعة!

إذاً، نراك هناك. أوه، بالمناسبة أعرف أن كل شخص تعرفينه تلقى دعوة إضافية لأنهم جميعاً مرتبطون، ولا، نحن لا نعرف نصف شركائهم، نحن ظننا فقط أن هذا سيكون لطيفاً لهم، أن يكون معهم أحد ما هناك، لأن الناس في العلاقات يحبون أن يكونوا معاً. للأسف، أنت لم تحصلي مثل هذا النوع من الدعم وعليك أن تأتي بمفردك. آسفة لذلك إنها مسألة أرقام فقط. من فضلك، اتصلي بشقيق جاك لأنني أظنه الضيف العازب الوحيد وقد يكون مسلياً أن تستقلا القطار معاً وتتقاسمي الغرفة معه! مع أنه ربما يحضر تلك الفتاة الفرنسية التي التقاها في ذاك المؤتمر، ولذا دعينا نراجعه أولاً.

اللباس الواجب ارتداؤه: لباس الصباح أياً كان ما يعنيه ذلك.

الوصول إلى هناك: الكنيسة ومكان الحفل في منطقة حيوية جداً ولذا نجد من المثالي غياب السيارات في هذا اليوم بما أننا لا نريد أن نفسد الصور أو المناخ الهادئ. نوصي بركوب القطار من لندن المحطة الأقرب إلى Vale of Nowhere. على بعد اثنين وعشرين ميلاً هناك شركة سيارات أجرة محلية لتقلك إلى الكنيسة. لكن من فضلك اتصلي مسبقاً لأنهم يملكون ثلاث سيارات فقط.

الشكليات الأخرى: نريد لجو الزفاف أن يكون مرتاحاً جداً، ولذا نشجع بعض المرح الزائد برمي النثار خارج الكنيسة. من فضلك، لا تحضري نثارك؛ سيكون هناك وعاء من النثار تسلمه أليسون، أم العروس، التي كانت تجفف أزهار العائق يومياً لأربع سنوات من أجل هذه المناسبة.

أزهار العائق التي تبدو رائعة على الكاميرا أرخص من الجوري، وهي أيضاً صديقة للبيئة. النثارة الورقية ستسبب ضرراً للحياة البرية المحلية، وقسم الاستقبال في مكان الحفل قال إن كان هناك أي قطع من النثار الورقية على الأرض، فإن الحفل سيُلغى مباشرة. سيُؤمر فريق خدمة المطاعم أن يغادروا والأمسية لن تستمر. لذا، انتظروا دوركم وستحصلون جميعاً على حفنة صغيرة من النثار (من فضلكم حفنة صغيرة فقط؛ نريد أن يحظى الجميع بفرصة للمشاركة) لترموها على العروسين السعيدين وهما يدخلان العالم كرجل وامرأة.

من فضلكم، اكتبوا أغنيتكم المفضلة لدى متعقب طلبات الحضور وسيبذل منسق الموسيقا أفضل ما لديه لتشغيلها، لكن حصراً إذا كانت "I would wall 500 miles" لفرقة Proclaimers أو "umbrella" لريانا.

لدينا هاشتاغ من أجل صور "إنستغرام" الخاصة بهذا اليوم وهو "jemily 2016". كنا نريد أن يكون "jemily" فقط، لكن للأسف اكتشفنا أثناء البحث أن ذلك اسم لماركة زيوت شخصيّة، ولذا سيكون "jemily 2016" جيداً.

الأطفال مرحب بهم!

بالتأكيد دون زي رسمي وربطة عنق لا يسمح بالدخول. إنه يومنا الخاص وليس عشاء كريكيت.

إذا لم يكن بإمكانك الحضور لا تقلقي لأننا سنقيم حفل استقبال عادي آخر في المدينة الشهر المقبل لأصدقائنا الأقل قرباً لكن الذين لديهم أصدقاء كثر في لندن على "إنستغرام". ثم سنجري احتفالاً آخر وتشريفات في الشهر التالي في النمسا حيث سيحضر الكثير من أفراد عائلة جاك. ثم سنقيم حفلة لتلقي التهاني في جزيرة إبيثا إلى جانب عطلة جماعية ستكونون جميعاً مدعوون إليها. سيكون زفافنا مثل فرقة جوالة خلال السنة التالية، ولذا اختاري واحداً فقط من التواريخ التي تناسبك واحجزي تذكرة تعالي.

مع كل حبنا وتوقنا إلى رؤيتكم هناك يا رفاق!

جاك وإيميلي

قبلاتنا

ملاحظة اعتذار: عذراً عليكم أن تدفعوا للحصول على هذه الدعوة، كنا في موجة جنون عندما أرسلناها ووضعنا الطوابع الخطأ بالنسبة إلى وزنهم. هذا يعني أنكم جميعاً ستدفعون ٠.٧٩ جنيه، وهذا سوف يعوض عند مدخل الحفل. سيكون مارك، شقيق جاك، هو المسؤول عن الصندوق وسيكون واقفاً قرب القوس المشذب من الشجيرات. لا إيصال، لا تعويض للمبلغ.

ملاحظة اعتذار شديد: عذراً عن البرَق الذي له شكل القلب والذي سقط من المغلف وذهب في الأنحاء جميعها على سجادتكم التي نظفتموها اليوم.‘‘

فندق الأسى

استيقظت على ثلاث مكالمات فائتة من فارلي قبل السابعة صباحاً ورسالة تطلب فيها أن أكلمها. قبل أن أملك الفرصة لأتصل برقمها، كانت تتصل من جديد. عرفت أنها لم تكن بخير. فكرت في الشهور الثمانية عشر الماضية، منذ وفاة فلورنس، والطريقة التي انسحبت فيها فارلي بعيداً عن كل صديقاتها المقربات ودفنت حزنها في البعد. كيف حاولت استعادتها وأن أعرف ما الذي أقوله لتهدئتها، تلك اللحظات عندما كنا نضحك على شيء ما وأرى ومضة من نفسها القديمة، ثم ينقلب الضحك إلى بكاء مزعج. كانت تعتذر لأنها لم تفهم إن كان عقلها أو جسدها يعمل أكثر. بأنانية، كان لدي فكرة واحدة فقط: لا أعرف كيف أجعلها تعبر هذا من جديد. أخذت نفساً عميقاً والتقطت الهاتف.

''دولّي''.

''ماذا حدث؟''

''لم يمت أحد''، قالت وهي تلحظ الرعب في صوتي.

''حسناً''.

''إنه سكوت. أظن أننا انفصلنا''.

كان هذا قبل ثمانية أسابيع من زفافهما. كانت فارلي وحيدة في شقتهما عندما وصلت بعد ساعة. كان سكوت قد ذهب إلى العمل، وحصلت هي على بضعة أيام إجازة كتعاطف من مديرها. أخبرتني تفاصيل المحادثة التي جرت بينهما في الليلة السابقة، وأنها لم تتوقع هذا، وأن الزفاف كان آنذاك آخر ما يقلقها، وأنها كانت ستفعل أي شيء للحفاظ على علاقتهما. كان أبوها وزوجته في منزلهما في كرونويل يقضيان عطلة نهاية الأسبوع وقررنا أن نتوجه إلى هناك إذ يمكنها وسكوت الحصول على بعض الوقت بعيداً عن بعضهما بعضاً.

وضعنا مخططاً لما أرادت أن تقوله له على الهاتف. سألتني هل أنا قادرة على البقاء في الغرفة نفسها وهي تكلمه. كانت ثائرة محطمة وأرادتني قربها لتقوي نفسها. جلستُ على الأريكة وهي تجول في شقتهما ممسكة الهاتف بيدها. نظرت إلى المنزل الذي تشاركاه، والحياة التي بنياها معاً. كان هناك صورة لهما بوجهين ضاحكين في بداية ومنتصف العشرينات يمسكان بعضهما بعضاً بحب، وصورة لهما في آخر عطلة قضياها مع فلورنس، والبساط البرتقالي المحترق الذي ساعدتهما في اختياره، والأريكة التي استلقينا عليها ثلاثتنا نحتسي النبيذ الأحمر حتى الفجر ونحن نتابع نتائج

الانتخابات على التلفاز، وصورة كلمات أغنية موريسي التي اشتريناها من أجل خطبتهما معلقة على الجدار.

دارت في رأسي فكرة تبدو صعبة وغريبة. لسنوات عدة، كان هذا كل ما أردته. اعتدت أن أتمنى ذلك عند نقطة ما: أن يبتعد أحدهما عن الآخر. ونتحدث دوماً بولع عن سكوت، الحب الأول، وأنا أستعيد صديقتي. لكن الآن، واللحظة ماثلة هنا، لم أشعر إلا بعذاب الحزن واللهفة من أجلها. لقد كانا معاً لوقت طويل جداً وكنت مصرة أن يُنجحا الأمر.

فكّرنا جميعنا في زفاف فارلي وسكوت المنتظر كجبيرة للكسر الذي تعرّضت له عائلتها. أينما كانت عائلتها أو أي من أصدقائنا، كان الجميع يتحدث كيف سيبدو ذاك اليوم، واتفقنا جميعنا أنه سيكون مليئاً بسعادة غامرة إلى جوار الحزن الذي لا مفر منه. لكنه بالتأكيد سيضع علامة لفصل جديد في حياتهم. بداية بدلاً من نهاية.

بعد موت فلورنس، تحملت دور وصيفتها كما لو كان هذا يحمل وقار الفروسية. رتبنا، أنا وآج ولاسي، حفل وداع قبل الزفاف بمقاسات حفل افتتاح الأولمبياد. بعد أشهر وأشهر من التفاوض والتوسل استطعنا حجز الصالة الكبرى في الطابق العلوي المطل على المدينة في فندق في شرق لندن بمعدل تخفيض عالٍ لاستضافة عشاء كبير. حجزت فرقة London Gay Men's Chorus ليأتوا ويعدوا مفاجأة لفارلي بأداء مجموعة أغانٍ مرتبطة بالزفاف وهم يرتدون قمصاناً عليها وجهها. ابتكرتُ كوكتيلاً يدعى "فارلي والساقي". طلبت لوحاً لصورة رجل بقياس حقيقي من موقع eBay وألصقت صورة وجه سكوت عليها ليتصور الناس معه. سجلت عشرات من رسائل الفيديو من أناس يتمنون لها حظاً طيباً بزواجها لأعرضها في الليل مثل This Is Your Life VT. تضمنت هذه ممثل EastEnders التسعينيات دين غافني، وعضوين من فريق عمل Made in Chelsea، والفتى الذي فقدت عذريتها معه، ومدير مركز تجفيف الملابس في حيها.

أعود إلى المحادثة التي كانت تجريها مع سكوت.

"ربما الزفاف أصبح كبيراً جداً"، قالت، "أنت تعرف؟ ربما تركنا الزفاف يخرج عن السيطرة. ربما نحن بحاجة إلى أن ننسى كل شيء عن ذلك ونركز على أنفسنا".

في تلك اللحظة تماماً، تلقيت بريداً إلكترونياً من مكتب عضو البرلمان المحلي في منطقة فارلي.

العزيزة دولّي:

شكراً لبريدك الإلكتروني. سيكون آندي مسروراً بالمساعدة. يبدو الأمر أنك تسعين بجد إلى التأكد أن صديقتك ستحصل على حفل وداع خاص جداً قبل الزفاف! هل ستكونين قادرة على الحضور إلى مكتب الدائرة الانتخابية

لآندي الإثنين القادم عند 30:11 صباحاً، لتصوير الفيلم؟

إذا لم يكن ذلك مناسباً، سوف ألقي نظرة في مفكرته لأجد يوماً آخر.

أطيب التمنيات.

كريستين

حذفتها بسرعة.

قدنا السيارة إلى شقتي. جمعت بضعة أشياء في حقيبة، وأرسلت رسالة إلى إنديا وبيلّي لأخبرهما أن فارلي كانت مصابة بالتهاب اللوزتين وسكوت بعيداً في عمل، ولذا سأبقى معها لبضعة أيام. شعرت بالسوء للكذب، لكن بما أن كل شيء كان لا يزال عالقاً في الهواء ولم يتخذ بعد أي قرار نهائي كان من الأفضل إبقاء الأشياء مبهمة لتجنيبها الأسئلة. وضعت نفسي خارج المجال على الإيميل. وركبنا سيارتها إلى كرونويل.

كانت رحلة أجريناها مرات عدة معاً: M5, M4, M25. من أجل قضاء العطلات في المنزل في كرونويل، ومن أجل رحلات الطريق الصيفية التي أجريناها في سن ست عشرة وسبع عشرة، والرحلات التي أجريناها ذهاباً وإياباً من لندن إلى الجامعة عندما كنا في إكسيتر. كان لدى فارلي نظام ترتيب دقيق لكل محطات خدمة الطريق السريع وفقاً لمنافذ وجباتهم السريعة، وأحبت إخباري بترتيبها المفضل لها (تشيفلي، هيستون، لي ديلمير).

شعرت على نحو غريب، كأن الرحلة الطويلة بالسيارة هي ما كنا نحتاجه في تلك اللحظة. كانت سيارتها منزلاً لعلاقة مراهقتنا. في السنوات التي كنت فيها مستعجلة لأكبر، كانت رخصة قيادة فارلي للسيارة جواز سفرنا إلى الحرية. كانت أول شقة تشاركناها ملجأنا من بقية العالم. كان هناك نقطة مراقبة على تلة في ستانمور حيث تطل على المدينة البراقة كما لو كانت أستراليا. وكنا نقود إلى هناك بعد المدرسة ونتشارك سجائر Silk Cut وكريما Ben & Jerry ونحن نستمع لـMagic FM.

"ماذا ترين عندما تنظرين إلى ذلك؟" سألتني ذات مرة، قبل بضعة أسابيع من مغادرتنا المدرسة.

"أرى كل الفتيان الذين سأقع في حبهم والكتب التي سأكتبها والشقق التي سأعيش فيها والأيام والليالي التي تنتظرني. أنت ماذا ترين؟"

"شيء ما مرعب تماماً"، أجابت.

بدت مسافة القيادة التي تستغرق خمس ساعات أطول من المعتاد، ربما لأنها لم تكن مصحوبة بالثرثرة أو الراديو أو الأقراص المدمجة المخدوشة لأغاني جوني ميتشل، وإنما كانت مصحوبة

بالصمت الذي لم يكن صمتاً؛ أستطيع سماع الانزعاج في رأس فارلي. أسندنا هاتفها الخلوي على لوحة العدادات وانتظرنا كلانا اتصال سكوت ليقول إنه ارتكب خطأ سيئاً. في كل مرة أضاء فيها الهاتف، كانت عيناها ترمشان بسرعة من الطريق إلى شاشته.

''تفحصيه من أجلي''، كانت تقول بسرعة. وكانت دوماً رسالة أخرى من واحدة من صديقاتنا تتمنى لها التحسن من التهاب اللوزتين وتسأل هل تريدها أن تأتي مع حساء ومجلات.

''بحق الإله''، قالت وهي تضحك ضحكة ضعيفة. ''قضينا، أنا وهو، السنوات الست الماضية نتراسل باستمرار حول أكثر الأشياء دنيوية، وأنا الآن أنتظر بيأس أن يتصل وكل ما أحصل عليه هو مجموعة من رسائل الدعم حول مرض كاذب''.

''على الأقل أنت تعرفين أنك محبوبة''، قلت. كان هناك صمت قلق.

''ما الذي سأقوله للجميع؟'' سألت، ''كل ضيوف الزفاف أولئك''.

''ليس عليك التفكير في ذلك''، قلت، ''وإن كان الوضع كما يبدو، فلن يكون عليك أن تخبري أحداً بشيء. يمكننا أن نفعل كل شيء من أجلك''.

''لا أعرف كيف سأتجاوز هذا من دونك''، قالت، ''طالما أنت معي، كل شيء سيكون جيداً''.

''أنا هنا''، قلت لها، ''لن أذهب إلى أي مكان. سأكون هنا دوماً، صديقتي. وسنعبر معاً إلى الضفة الأخرى. لا يهم كيف يبدو ذلك المكان''.

سالت الدموع على خديها وهي تنظر مباشرة إلى الأمام في ظلام الطريق M5.

''أنا آسفة إن كنت جعلتك دوماً تشعرين أنك في المقام الثاني، دولّي''.

وصلنا بعد منتصف الليل. كان ريتشارد وآني في انتظارنا. أعددت الشاي في الأسابيع التي تلت موت فلورنس. تعلمت عن ظهر قلب كيف يحبها كل فرد منهم. كان هذا الشيء الوحيد المفيد الذي استطعت فعله. جلسنا على الأريكة نتحدث عن كل ما قيل وكل النتائج الممكنة.

استلقينا، أنا وفارلي، في السرير نفسه، والأضواء مطفأة.

''هل تعرفين ما هي التراجيديا الحقيقية في كل هذا؟''

''تابعي''، قالت.

''نجحنا، أنا ولورين، أخيراً في تثبيت الألحان والإيقاعات لأغنية One Day Like This من أجل الاحتفال''.

''أوه، أعرف، لا تهتمي. أحببت ذلك التسجيل الذي أرسلته إليّ''.

''والرباعي الوتري أكدوا للتو أنه يمكنهم أداء المقدمة''.

''أعرف، أعرف''.

''ربما تكون نعمة مخفية''، قلت، ''أنا حقاً أظن أن تلك الأغنية ستجعل الجميع يفكرون في الوصول إلى X Factor الآن''.

''هل ستخسرين المال من أجل إقامة حفل وداع قبل الزفاف؟''

''لا تقلقي حول أي من هذا''، قلت، ''سوف أنظمه''. كان هناك صمت في الظلام وانتظرتُ جملتها التالية.

''تابعي''، قالت، ''أنا متأكدة بنسبة 90% أن هذا لن يحدث الآن ولذا من الأفضل أن تخبريني''.

''لكن ذلك سيجعلك حزينة؟''

''لا، سيسعدني''.

أخبرتها عن عطلة نهاية الأسبوع التي خططنا لها مع كل تفصيل سخيف. بكت مثل طفل صغير فقد حلواه. شاهدنا على هاتفي فيديوهات لمجموعة من الشخصيات البريطانية المشهورة تقدم تمنياتها.

''شكراً لك لأنك خططتِ لذلك''، قالت، ''كان سيكون رائعاً. كنت سأحبه''.

''سنفعله من أجلك مرة ثانية''.

''لن أتزوج ثانية''.

''لا تعرفين. حتى إن كنت لا تريدين، فسأحول كل هذه المخططات إلى حفلة عيد ميلاد. سأحضر لك احتفالاً رائعاً بعيد ميلادك الأربعين''. سمعت أنفاسها تهدأ وتصبح أعمق. ولأننا قضينا سنوات نتقاسم السرير ونجري المشاحنات حول نومها قبل أن ينتهي فيلم، عرفت أنها كانت تغفو.

''أيقظيني في الليل إن احتجت إليّ''، قلت.

''شكراً، دولز. أتمنى أحياناً لو استطعنا أن نكون في علاقة فقط''، قالت بنعاس. ''كان كل شيء سيكون أسهل''.

''نعم، لكن أخشى أنك لست نوعي المفضل، فارلي''.

ضحكت وبعد بضع دقائق لاحقة بكت. مسدتُ ظهرها ولم أقل شيئاً.

أمضينا الأيام القليلة التالية بالخروج للمشي لأوقات طويلة. نكرّر الحديث عن تفاصيل محادثتهما الأخيرة محاولتين أن نكتشف الأشياء التي ربما سارت على نحو خطأ. أعددت الشاي الذي لم تستطع فارلي شربه. أعدّ ريتشارد وجبات لم أكد آكل منها شيئاً، وشاهدنا التلفاز وهي شاردة تحدق في الأرض. بعد بضعة أيام كان عليّ التوجّه إلى لندن من أجل عمل. بعد يومين عادت فارلي إلى

المدينة أيضاً؛ لقد اتفقت مع سكوت على اللقاء في الحديقة الواقعة في منطقتهما ليتمشيا ويتحدثا عن كل شيء. فقدت التركيز صباح لقائهما. راقبت هاتفي كأنه تلفاز، بانتظار رسالة منها. أخيراً، بعد ثلاث ساعات، قررت أن أتصل بها. ردت قبل انتهاء الرنة الأولى.

"انتهى الأمر"، قالت بعجالة، "أخبري الجميع أن الزفاف ألغي. سأتصل بك لاحقاً".

انتهت المكالمة.

اتصلت بصديقاتنا المقربات واحدة بعد أخرى وشرحت ما حدث. صُدم الجميع. كتبت رسالة اخترت كلماتها بعناية تشرح أن الزفاف ألغي وأرسلتها إلى قائمة الضيوف من طرف فارلي. ثم تم الأمر. نسخت ولصقت الرسالة في البريد الإلكتروني وأجريت بضع مكالمات. اليوم، أنهت قصتهما ذاك المستقبل. فككت كل ما حضرناه بإتقان لحفل وداعها الذي كان سيتم في أقل من شهر، وألغيت كل شيء. جميع من كلمتهم، ممن عرفوا مسبقاً أن الزفاف كان قد أُجل سنة بسبب مأساة العائلة، لم يقولوا شيئاً سوى كم كانوا آسفين.

غادرت فارلي الشقة في يوم محادثتهما معاً وذهبت لتعيش مع آني وريتشارد في منزل العائلة على بعد أميال. ذهبتُ إلى المنزل. حسابي المصرفي فارغ تماماً، وصار السحب بلا رصيد من البدهيّات.

"أشعر كأنني سجينة لسبب لا أعرفه"، قالت لي، "أشعر أن حياتي في مكان ما هناك وأنا حبيسة هنا، ويجري إخباري أنني لا أستطيع الوصول إليها. أريد أن تعود حياتي القديمة".

"ستصلين إلى هناك. لن يكون الوضع هكذا إلى الأبد. أعدك".

"أنا ملعونة".

"لا"، قلت. "لست ملعونة. هو شيء من الحظ السيئ المرعب الذي لا يحتمل مررت به. كانت العتمة في الشهور الثمانية عشر الماضية حالكةً عليك أكثر مما هي على الكثير من الناس في حياتهم. لكن هناك الكثير من الضوء أمامك. يجب أن تتمسكي بذلك".

"ذلك ما قاله الجميع بعد موت فلورنس. لا أظن أنني أستطيع التحمل أكثر".

بتشجيع من الجميع، عادت فارلي إلى العمل مباشرة، وأجرت صديقاتنا عملية عسكرية لإبقائها مشغولة. ومع أنه كان أكثر وقت قضيناه معاً مذ كنا مراهقات، أرسلت إليها بطاقة بريدية بين الأيام ليكون لديها دوماً شيء لطيف عندما تعود إلى المنزل. اصطحبتها الوصيفات بعيداً في عطلة نهاية أسبوع لتناول النبيذ والطهي في الريف، في مخطط كنا أعددناه لها من أجل حفل الوداع. وحجزت لقضاء عطلة في سردينيا في الأسبوع الذي كان مقرراً أن يكون فيه الزفاف. تناوبنا كلنا لقضاء

الأمسيات معها بعد العمل في الشهر الأول لانفصالهما. لم تمضِ ليلة دون أن تكون واحدة منا على الأقل هناك. أحياناً كنا نتحدث عما حدث، وأحياناً نجلس فقط ونأكل طعاماً لبنانياً سريعاً ونشاهد برامج التلفاز التافهة. أياً كانت من تقوم بالزيارة هي سترسل رسالة إلى بقيتنا في طريق العودة إلى المنزل لتخبرنا كيف كانت وتعرف من ستراها في اليوم التالي. كنا دائرة من الحراس، الممرضات المناوبات. عدة إسعافاتنا الأولية كانت كرات الشوكولا بالحليب Malteseres وحلقات من برنامج Gogglebox.

كان هذا الوقت الذي يذكرني بسلسلة الدعم التي تحفظ أي شخص يعاني. فالشخص في قلب الأزمة يحتاج إلى دعم من عائلته وأفضل أصدقائه، بينما يحتاج هؤلاء إلى دعم من أصدقائهم وشركائهم والعائلة، وأولئك الأشخاص الأبعد مرتين قد يحتاجون إلى التحدث إلى شخص ما عن ذلك أيضاً. إصلاح قلب مكسور يحتاج إلى قرية.

عدت إلى الشقة مع فارلي وانتظرتها في السيارة بينما ذهبت لتحضر أشياءها ولتجري نقاشاً أخيراً مع سكوت. عُرضت شقتهما للإيجار. رتبت فارلي كل شيء في غرفة نوم طفولتها. كان هذا مكاناً أكثر من مؤقت، لكنه أقل من أبدي الآن.

أول لحظة لمحنا فيها بريقاً من فارلي القديمة كانت في يوم أحد كارثي تماماً إذ كنت أحتجز صديقاتي لأخذ صورة من أجل حفل عشاء كاذب. كان الأمر لإرفاق قطعة كتبتها لقسم الثقافة حول موت حفلة العشاء التقليدية وأراد الناشر مني صورة وأنا "أسلي الضيوف" في شقتي. حذرته أنني لا أملك أي أصدقاء ذكور متوافرين في ذاك اليوم، وقد وافق على مضض أن تجمعاً كله فتيات سيكون جيداً. على أي حال، عندما وصل المصور، بدا أن لديه تعليمات جديدة تقضي بوجود رجال في الصورة.

فارلي، التي كانت محقونة بالنبيذ الأبيض منذ وصولها بعد الظهر، ذهبت تطرق الأبواب باباً باباً على طول شارعي في محاولة لإيجاد جار ذكر مستعد للمساعدة، لكن لا جدوى. اتجهت بيلّي وآج في هذه الأثناء إلى حانتنا القريبة. دخلتا، طرقتا على كأس للفت انتباه الجميع وأدليتا بتصريح، ضعيف نوعاً ما، أنهما كانتا تبحثان عن حفنة من الرجال ليصوروهم مقابل بعض لحم الحمل المشوي ونشر صورتهم في الصحيفة.

"إذا كان هذا يبدو شيئاً قد تهتمون به"، أعلنت بيلّي، "سنكون في انتظاركم أمام سيارة سيات إبيزا الحمراء خارجاً".

بعد خمس دقائق، تدحرجت مجموعة من الرجال المتعرقين والمخمورين في الثلاثينات والأربعينات خارج الحانة ودخلوا السيارة.

عندما جلسنا جميعاً حول المنضدة نطرق الكؤوس ببعضها ونحاول أن نبدو مثل أصدقاء قدامى، أصبح واضحاً أن واحداً من الرجال كان ثملاً أكثر من الآخرين، وبدأ يتناول اللحم المشوي بيديه مثل إمبراطور روماني. وقف المصور على كرسي ليكون بإمكانه الإحاطة بنا جميعاً في لقطة واحدة في غرفة معيشتي الضيقة نوعاً ما. انكسر المصباح، وبدأ أحد الرجال يصرخ طلباً لمزيد من النبيذ. كان المشهد نوعاً من مسرحية هزلية لأشخاص يتحركون وأشياء تتكسر مع طاقة جنونية منخفضة المستوى.

''هذه كارثة''، قلت لاهثة للفتيات.

''أوه، لا أظن أنها كارثة إطلاقاً''، صاحت فارلي بثمالة، ''هجرني حبيبي الذي بقيت معه سبع سنوات منذ شهر، لذا هذا مجرّد نزهة في الحديقة!'' نظر المصور إليَّ للاطمئنان، حتى الإمبراطور الثمل توقف عن المضغ. ''بصحتكم''، قالت بمرح، وهي ترفع كأسها لنا جميعاً.

تعلمنا بسرعة كيف نتعامل مع هذا النوع من القنابل الانتحارية للمزحة التي أصبحت مألوفة، القطعة المهترئة من الأثاث في محادثاتنا مع فارلي. لا يمكنكم أن تنضموا إلى الهزل ما دمتم لا تعرفون أين تختبئ الكوميديا السوداء وتنقلب إلى وحشية، لكنكم لا تستطيعون تجاهله كذلك. عليكم فقط أن تضحكوا بصوت عالٍ.

غادرنا إلى سردينيا قبل بضعة أيام من اليوم الذي كان محدداً ليكون موعد الزفاف. وصلنا متأخرين واتجهنا في السيارة المستأجرة غير المؤمّنة إلى شمال غرب الجزيرة، منطلقين بحذر على الطرق الساحلية نستمع لأغنيات جوني ميتشل نفسها التي استمعنا لها في أول رحلة طريق لنا قبل أكثر من عشر سنوات، وقت كانت العلاقة تبدو أكثر شيء مرغوب بعيد المنال على نحو مثير للضحك، ناهيك عن الزفاف الملغى.

نزلنا في فندق جميل فيه بركة سباحة وحانة وغرفة تطل على البحر، وكان هذا كل ما أردناه. فارلي، الفتاة التي أحبت المدرسة واستمرت في ذلك لتصبح مدرّسة، هي دوماً مخلوق معتمد على الروتين ولذلك ابتكرنا واحداً بسرعة. كنا نستيقظ باكراً كل صباح، ونذهب مباشرة إلى الشاطئ حيث نمارس بعض الرياضة في ضوء شمس الصباح المشرقة، ثم نسبح في البحر قبل الفطور. حسناً، كنتُ أسبح. فارلي كانت تجلس على الرمال وتراقب. أكثر ما نتعارض فيه، أنا وهي،

موضوع السباحة خارجاً. فأنا أنزع ثيابي على مرأى أي كان تقريباً في المياه المفتوحة من أجل أن أغطس، بينما فارلي تسبح في مياه البركة المعقمة بالكلور فقط.

"هيا!" صحت على الشاطئ في أحد الصباحات. عندما كان البحر ساكناً ودافئاً مثل مياه الحمام. "عليك أن تنزلي فيها! إنها رائعة جداً".

"ولكن ماذا إن كان هناك أسماك؟" صاحت بي متجهمة.

"ليس هناك أي أسماك؟" صحت، "حسناً ربما يكون هناك بعضها".

"أنت تعرفين أنني أخاف من السمك"، ردت بصياح.

"كيف يمكنك أن تخافي منها. أنت تأكلينها".

"لا أحب فكرة أن يسبحوا حولي في الأسفل".

"تبدين فتاة ضواحٍ لعينة"، صحت بها، "لا تريدين أن تُحرمي الحياة ولذلك تتسوقين فقط في مراكز التسوق لأنك تخافين أن يُفسد المطر شعرك المسرّح، وتسبحين في برك السباحة فقط لأنك تخافين الأسماك".

"كلانا من الضواحي، دولّي. ذاك حرفياً ما نحن عليه".

"هيا! هذا طبيعي! إنها بركة السباحة الخاصة بالله! إنها شفاء! الله في المحيط!"

"إذا كان هناك شيء واحد متأكدة منه"، نهضت ومسحت الرمال عن ساقيها، "أنه ليس هناك إله، دولّي!" صاحت بمرح وهي تخطو في البحر.

أمضينا الصباح ونحن نقرأ كتبنا ونستمع للموسيقا. ثم تناولنا شرابنا الأول في الظهيرة. استلقينا في الشمس بعد الظهر، ثم أخذنا حماماً وأصبحنا سمراً استعداداً للعشاء في البلدة. عدنا إلى الفندق بعد ذلك، شربنا شراب الأماريتو على الشرفة ونحن ملتفتان في البطانية السميكة الباعثة على الدفء في جو المساء. لعبنا الورق وكتبنا بطاقات بريدية مخمورة لصديقاتنا.

في يوم الزفاف، استيقظت فارلي قبلي. حدقت في السقف.

"هل أنت بخير؟" سألتها عندما فتحت عيني.

"نعم"، قالت وهي تستدير بعيداً وترفع الغطاء فوقها، "أريد فقط أن ينتهي هذا اليوم".

"سيكون اليوم واحداً من أصعب الأيام"، قلت، "ثم سينتهي. عند منتصف الليل، ينتهي ولن يكون عليك أن تعبريه ثانية أبداً".

"نعم"، قالت بهدوء. جلست عند طرف سريرها.

"ماذا تريدين أن تفعلي اليوم؟" سألت، "لقد حجزت مساءً مطعماً ذا خمسة نجوم لامعة ويعرض موقع Trip Advisor [74] صوراً مقرفة مقرّبة للطعام يظهر فيها كمشهد جريمة".

[74] أكبر موقع للسفر في العالم يعرض أسعار الفنادق والمطاعم وغيرها من خدمات تهمّ المسافرين.

"يبدو جيداً"، قالت مع تنهيدة، "أظن أنني أريد فقط الاستلقاء على كرسي أتشمّس مثل كلبة ضجرة".

مر معظم اليوم في صمت. نقرأ كتبنا وتضع كل منا سماعة أذن واحدة لنستمع معاً لبرنامج إذاعي. أحياناً كانت تنظر حولها وتقول شيئاً مثل: "سأتناول الفطور مع وصيفتي الآن"، أو: "أنا على الأرجح سأرتدي ثوب زفافي".

في منتصف الظهيرة، التقطت هاتفها ونظرت إلى الساعة. "الرابعة إلا عشر دقائق في إنكلترا. خلال عشر دقائق تماماً، كنت سأصبح متزوجة".

"نعم، لكن على الأقل أنت هنا تأخذين حمام شمس في إيطاليا الجميلة بدلاً من العوم في البحيرة مع والدك في أكسفوردشاير".

"أبداً، ما كنت سآتي فوق جندول"، قالت بسخط، "أنا فقط أخبرتك عنها كإمكانية محتملة لأن منظم الحفل قال إن ذاك ما قامت به بعض العرائس الأخريات".

"فكرتِ في الأمر رغم ذلك".

"لا، لم أفعل".

"نعم، فعلت، لأنك عندما أخبرتني عن الأمر استطعت أن ألحظ في صوتك أنك كنت تنتظرين أن أقول أنها فكرة جيدة".

"لا، لم أكن كذلك".

"كان سيكون صعباً جداً، الجميع ينظرون إليك وأنت تطوفين في البحيرة بفستان ضخم ثم يأتي أحدهم ويأخذك منه، والبحارة منتشرون مع مجاديفهم".

"ليس لدي بحارة"، تنهدت، "وليس هناك مجاديف".

ذهبت إلى الحانة وطلبت زجاجة نبيذ بروسيكو.

"صحيح"، قلت وأنا أسكب الشراب المثلج في الكؤوس البلاستيكية قرب حوض السباحة.

"ألن تقدمي العهود الآن. أظن أن علينا تقديم العهود".

"لمن؟"

"لأنفسنا"، قلت، "ولبعضنا".

"حسناً"، قالت وهي تضع نظارتها الشمسية فوق رأسها، "ابدئي أولاً".

"أتعهد ألا أحاكمك أياً كانت الطريقة التي تتعاملين فيها مع ما جرى عندما نعود إلى الوطن"، قلت، "إذا أردت أن تدخلي في مدة من الاستهلاك الثقيل جداً للأمفيتامين والجنس العابر، ذلك جيد. إذا حبست نفسك في المنزل لسنة، ذلك جيد أيضاً. لقد حصلتِ على دعمي أياً كان ما ستفعلينه، لأنني لا أستطيع أن أتخيل كيف يجب أن تكون الحال بفقدان الأشخاص الذين فقدتهم".

"شكراً لك"، قالت وهي تأخذ رشفة من نبيذ بروسيكو وتتوقف لتفكر، "أنا أتعهد أن أدعك دوماً تكبرين. لن أخبرك أبداً أنني أعرف من أنت فعلاً فقط لأننا عرفنا بعضنا بعضاً منذ كنا أطفالاً. أعرف أنك تمرين بوقت تغيير كبير وأنا فقط سأشجع ذلك دوماً".

"ذاك عهد جيد"، قلت وأنا أطرق كأسها، "حسناً، أنا أتعهد دوماً أن أخبرك عندما يكون هناك شيء ما في أسنانك".

"أوه، دوماً".

"تحديداً عندما نغدو أكبر وتبدأ اللثة عندنا بالانحسار. عندما تصبح مسكونة بالنباتات الخضراء كالأشجار".

"لا تجعليني أكثر كآبة مما أنا عليه"، قالت.

"قدمي عهداً إلى نفسك".

"أتعهد ألا أتوقف عن رؤية صديقاتي إذا وقعت في الحب مرة ثانية"، قالت، "لن أنسى أبداً كم كنتن جميعاً مهمات وكم نحتاج بعضنا بعضاً".

بالنسبة إلى المساء الذي كان يجب أن يكون ليلة زفاف فارلي ويضم أكثر من مئتي شخص، استقلينا فيه سيارة أجرة إلى مطعم في قمة التل يطل على البحر.

"كنت ستلقين خطبتك الآن"، قالت، "هل كتبتها؟"

"لا"، قلت، "كنت أسجّل بعض الأفكار والملاحظات على هاتفي الآيفون كلّما ثملت. لكنني لم أجمعها معاً بعد".

"أتساءل هل سأكون سعيدة طوال النهار أو سأجد الأمر مرهقاً".

بعد موت فلورنس فكرت في مقالة قرأتها عن موت الشباب غير البالغين نصحت فيها عمّة ملتاعة أباً محزوناً ألا يفكر في الحياة التي كان سيعيشها ابنه المراهق لو لم يقتل في حادث سيارة؛ كان هذا التخيل تمريناً على العذاب بدلاً من الراحة.

''تعرفين، تلك الحياة لا تحدث في مكان آخر''، قلت، ''إنها ليست موجودة في عالم آخر. علاقتك مع ذلك الرجل دامت سبع سنوات. هذا هو الأمر، هذا ما كان عليه''.

''أعرف''.

''حياتك هنا. الآن. أنت لا تعيشين نسخة كربونية عنها''.

''نعم، أفترض من الأفضل ألا أنشغل بما لا أستطيع أن أكون عليه''.

''لا تفكري في ذلك كما في Sliding Doors [75]''.

75 فيلم حائز جائزة Empire لأفضل مخرج و''جائزة الفيلم الأوروبي'' لأفضل سيناريو.

''أحب ذلك الفيلم''.

''وشكراً لله أنه لا يمكن لأحد أن يملك قَصَّة الشعر الشقراء التي ظهرت فيها جوينيث بلاترو فيه''.

''سأبدو مثل مايرا هيندلي[76]''، قالت فارلي بحسم وهي تشير إلى كأس آخر من النبيذ، ''هل كانت لديك أي شكوك حولنا، أنا وهو؟''

76 سفاحة بريطانية شهيرة أدينت بقتل أربعة أطفال بين 1963–1965.

''هل تريدين أن تعرفي بصدق؟''

''نعم، حقاً أريد''، قالت، ''هذا لا يهم الآن على أي حال، وأود أن أعرف''.

''نعم''، قلت، ''كنت قد بدأت أحبه بصدق، وآمنت في النهاية أنك ستكونين سعيدة جداً في المستقبل. لكن، نعم، كان عندي دوماً شكوك''، نظرت إلى الشمس الغارقة عند خط الأفق في البحر المتوسط الأزرق الداكن التي بدت مثل حبة خوخ معلقة بتوازن على حافة.

''أشكرك لأنك لم تخبريني أبداً''.

ابتلع البحر الشمس وتحولت السماء ببطء إلى أزرق مسود، ثم بدأ الليل كأنه يأتي بواسطة جهاز معتم للإضاءة في المسرح. لن يكون الأمر سيئاً اليوم أيضاً مرة ثانية.

بعد أسبوع قضيناه معاً، اتجهنا إلى بلدة ساحلية أخرى حيث التقينا صابرينا وبيلّي. استمرت العطلة في مزاج مشابه. شربنا الأبيرول، لعبنا الورق، استلقينا على الشاطئ. غادرنا، أنا وبيلّي، الشقة في السادسة صباحاً في أحد الأيام، تعرينا على الشاطئ وسبحنا عراة عند شروق الشمس. عاشت فارلي أياماً جيدة وهادئة في أسبوعنا الأخير، الأمر الذي كان متوقعاً. تحدثنا كثيراً عما حدث، السبب الضمني للعطلة بحد ذاتها. لكنها أيضاً بدأت تتحدث عن المستقبل بدلاً من الماضي:

أين ستذهب لتعيش، كيف سيكون روتينها الجديد. بدا الأمر كأنها خلعت خلال هذين الأسبوعين أحد جلود الكآبة التي تلبّستها.

ثملت كثيراً في إحدى الليالي – أكثر مما ثملت منذ كنا مراهقات – وبدأت تغازل مدير مطعم محلي بدا مثل جون كاندي الإيطالي في الستينات من العمر، وهذا بالتأكيد هو الطقس الأكثر تميزاً الذي يشير إلى أنك أصبحت في مرحلة جديدة بعد الانفصال.

بدت الأشياء مختلفة جداً عندما عدنا إلى لندن. كان عيد ميلادها التاسع والعشرون بعد ثلاثة أشهر من ذلك الصباح الذي استيقظت فيه على ثلاث مكالمات فائتة منها. بدا كأنه كان رمزاً واحتفلنا به بطريقة صحيحة. ذهبنا إلى واحدة من حاناتنا المفضلة للعشاء ثم خرجنا للرقص. لبست الثوب الذي اخترته لها من أجل حفل الوداع قبل الزفاف الذي لم يحدث. كان أسود مقصوص الأكمام وأضاء على الوشم الذي حصلت عليه عندما كانت في التاسعة عشرة، في خطأ اندفاع كارثي في ردهة في Watford، إذ وشمت نجمتين صغيرتين واحدة بلون زهري وأخرى بلون أصفر رديء (يهودية مع نجمة صفراء موشومة عليها! ”أنا أسألك!“ قالت أمها بيأس).

ذهبت ظهيرة يوم ميلادها إلى مركز وشم آخر لتصلح خطأها السابق. ملأت النجوم باللون الأسود، ووضعت حرف ”F“ قرب إحداها رمزاً لفلورنس و”D“ قرب الأخرى من أجلي، كتذكير بأنه لا يهم ما نخسره، ولا يهم كم تصبح الحياة غير مؤكدة وغير قابلة للتنبؤ. بعض الناس يسيرون قربك إلى الأبد.

حصلت على توجيه روحي

في بداية الصيف الذي كسر فيه قلب فارلي، طُلب إليّ أن أكتب أول مقالة أدبية لمجلة حول مخاطر إرضاء الناس. اقترح الناشر الذي كنت أعمل لمصلحته أن أتحدث إلى رجل كتب كتاباً جديداً عن الموضوع. اسمه ديفيد، في حوالى الخمسين، وكان ممثلاً تحول إلى كاتب. بحثت عنه على "غوغل" قبل أن نتحدث عبر الهاتف ولاحظت أنه كان وسيماً جداً أيضاً: بشرة زيتونية، شعر يخالطه الشيب، وعيون بنية لطيفة. أرسل إلى ناشره ملف PDF عن الكتاب وكانت قراءته رائعة جداً. ركز عمله على الحاجة الإنسانية إلى الحصول على مصادقة الآخرين وكيف تختصر السعادة. بدت قراءته كأن شيئاً ما، أو أحداً ما، أمسك كتفيّ بيدين قويتين واثقتين وهزني هزة قوية كنت أحتاجها بشدة.

تبادلنا الرسائل الإلكترونية لمدة ثم رتبنا موعداً للحديث. كان صوته عميقاً وناعماً وأكثر وضوحاً وتأثيراً مما تخيلت. بدت شخصيته العامة هبيّة تماماً لكنه تحدث مثل عضو في مجموعة RSC. سألته أسئلة عن الكتاب والأشياء التي وجدتها صعبة فعلاً، فأخبرني أنه عندما نكون أطفالاً يخبروننا على الدوام أن نحتوي سلوكنا. وصف كيف يُطلب منا ألا نكون متسلطين أو ألا نتباهى أو ألا نظهر أننا أذكياء بوضع حواجز حول فسحات محددة لمن نكون، وكنا نخاف دوماً العودة إلى تلك الفسحات مرة ثانية كبالغين، وبدلاً من ذلك نخفي هذه الأجزاء من أنفسنا، الأجزاء التي هي داكنة أو غريبة الأطوار أو ملتوية، بسبب الخوف من ألا نكون محبوبين. كانت هذه الأجزاء من أنفسنا، كما قال، الأكثر جمالاً.

ولأن المقالة مطلوبة من رؤية شخصية، كان علينا الحديث عن تجربتي الخاصة، فأخبرته أنني بدأت رؤية معالجة نفسية في هذه السنة.

"خطورة أن يخضع شخص مثلك لعلاج نفسي هو أنك تبدين ذكية"، قال، "ستصلين إلى نظرية العلاج بسهولة كبيرة، وستكونين قادرة على أن تكوني أكاديمية حول نفسك بالمحادثة. لكن، تعرفين، الثرثرة الكثيرة فقط سوف تأخذك بعيداً جداً. أنت بحاجة إلى أن تشعري حقاً في أعماقك بذاك التغيير. لا يمكن أن يكون الأمر مجرد مادة تناقشينها مع معالجتك النفسية. أنت بحاجة إلى أن تشعري بذلك في جسدك، الصورة المتباطئة، أن تشعري به في ظهرك، وركبتيك، ورحمك، وأصابع قدميك، وأصابعك".

"امم"، قلت موافقة.

تحدثنا خمساً وأربعين دقيقة تقريباً متنقلين من مقاطع في الكتاب إلى البحث والعمل الذي أجراه لسنوات وإلى تجربتي الخاصة. تحدث إليّ مباشرة دون شكليات أو قواعد تهذيب. شعرت كأنه وصل بطريقة ما مباشرة إلى داخلي العميق الداخلي، عبر مكالمة هاتفية فقط.

"اقرصي خديك الصغيرين"، قال كأنه يعرفني منذ سنوات، "لست بحاجة إلى شخص آخر يخبرك ما تفعلين وما لا تفعلين. أنت أمّ نفسك الآن. عليك أن تستمعي لما تريدينه".

"اممم"، تمتمت مرة ثانية.

"ولكل يوم آخر في حياتك الباقية. أريدك أن تأخذي ذلك العمل بجدية".

"لكن ماذا عن كونه لائقاً؟ كيف ينجح ذلك عندما تكون نفسك طوال الوقت؟"

"هل تقعين دوماً في حب رجل ما لأنه لائق؟"

"بالتأكيد لا".

"أوه، ذلك ممل"، قال بصوت شهواني، "إنه يثيرني، تباً إنه لائق جداً".

"لا، لا"، قلت ضاحكة.

"أنا لا أهتم بما هو لائق. الكنز يدفن دوماً في الأماكن المظلمة والحافات والزوايا. تباً للّياقة".

شعرت أنه كان يغازلني، لكنني لم أستطع أن أخمن إن كان يتحدث بهذه الحميمية ببساطة فقط من أجل اقتباسات جيدة للقطعة الأدبية. في نهاية حوارنا الذي انجرفنا فيه إلى حديث عام لم يبدُ مطلقاً كمقابلة، عرفت أيضاً أنه أراد أن يكتشف إن كنت في علاقة، لكنني أبقيت تلك المعلومة غامضة. أخبرني أنه فكر أن بإمكاني إجراء جلسة عبر الاتصال معه.

"إذا كنت تشعرين أنك تستطيعين أن تكشفي نفسك بالكامل أمام شخص ما دون خوف من أن تحاكمي"، قال، "ألفتك ستتجاوز الحدود".

"أعرف، أستطيع أن أشعر بذلك فيك"، كان هناك صمت مفاجئ بيننا. ربما كان يتحدث كلاماً فارغاً كمرشد روحي. ربما كل ما كنت أحاول إخفاءه دائماً كان مرئياً أكثر بكثير مما ظننت.

"امم"، تمتمت مرة أخرى.

"أتمنى أن يكون لديك أحد يحضنك حقاً، دولّي".

"لدي معالجة نفسية"، أجبت.

"ليس ذلك ما قصدته"، قال.

خرجت من شقتي ورمشت في الضوء كأنني استيقظت للتو.

"أجريت للتو المحادثة الأكثر استثنائية"، قلت لإنديا وبيلّي اللتين كانتا تستلقيان للحصول على حمام شمس في حديقتنا.

"مع من؟" سألت إنديا وهي تزيل سماعات هاتفها من أذنيها.

"ذاك الشاب من أجل المقالة... ذلك المعلم الروحي".

"ماذا قال؟"

"لا أعرف. كان كأنه يتحدث إلى شيء ما داخلي لم يتم التحدث إليه من قبل. بدا كشيء يتثاءب ويستيقظ للمرة الأولى".

"ذلك ما يفعلونه، أليس كذلك؟ يجعلونك تظنين أن هذه هي القوة التي يملكونها"، قالت إنديا بكآبة وهي تستدير على بطنها، "لن أثق أبداً بأي ممن يسمون أنفسهم معلمين روحيين".

"لنكن عادلين، هو لا يسمي نفسه معلماً روحياً"، قلت، "الجميع يفعلون ذلك".

"حسناً، ذلك أفضل"، أجابت.

"هذا كأن تكوني مخضرمة"، تابعت، "أو متمكنة. أظن أنّه شيء يجب أن تنتظري أحداً آخر ليقوله عنك. لا يمكنك قول هذا عن نفسك". نزعت ملابسي العلوية وانضممت إليهما فوق المناشف التي فرشوها على العشب.

"هل حصلت على ما تريدين منه؟" سألت بيلّي.

"نعم"، قلت، "كانت مقابلة رائعة". أغمضت عيني وتركت ضوء الشمس الإنكليزية القوية يعانقني عناقاً نادراً، "يا يسوع، لن أكون قادرة على التوقف عن التفكير فيه".

"فيه؟ بطريقة جنسية مثلاً؟" سألت إنديا.

"لا، لا أظن ذلك بطريقة أنني أريد أن آكل روحك[77]. أريد فقط أن أكتشف كل شيء عنه، أريد فقط أن أستمع لكل شيء يقوله".

77 تعبير بالإنكليزية شاع منذ القرن التاسع عشر بين المقاتلين.

"اطلبي رقمه"، قالت.

"لدي رقمه. لقد حاورته على الهاتف للتو".

"أوه، نعم"، قالت، "حسناً، إذاً، أرسلي إليه رسالة فقط".

"لا أستطيع مراسلة شخص أجريت معه للتو مقابلة من أجل قطعة أدبية".

"لم لا؟" سألت بيلّي.

''لأن هذا سيكون غير لائقٍ''، قلت ممسكة الكلمات في فمي، ''لكن من يقع في الحب مع الشخص اللائق؟''

استمعت للتسجيل ثانية عندما كنت في السرير تلك الليلة. كانت كلماته تثب فيّ مثل كرة بينغ بونغ. في الصباح التالي، كتبت المقالة وأرسلتها إلى الناشر ونسيتها.

***

بعد شهرين، كنت عائدة من حفلة إلى المنزل عندما وصلتني رسالة ''واتس أب'' من ديفيد. أخبرني أنه في عطلة في فرنسا، وأنه كان يجري نزهة طويلة تحت النجوم وتذكر فجأة مقابلتنا ولم يعثر عليها في أي مكان.

''واضح أن هذا حديث نرجسي. متى تُنشر المقالة؟''

''ليس نرجسياً على الإطلاق''، أجبت، ''لقد تأخر النشر لسبب، آسفة، سأرسل إليك رسالة في اليوم الذي تنشر فيه الشهر المقبل. يمكنني أن أرسل إليك نسخة إن لم تكن في البلد''.

''سأكون عدت حينذاك. كيف حالك؟'' سأل، ''بدوتِ على حافة شيء ما عندما تحدثنا المرة الماضية''.

''ما زلت على حافة شيء ما''، كتبت، ''ما زلت أحاول أن أتحول إلى أنموذج مختلف، سهل جداً. كيف حالك؟''

''على حالي''.

أخبرني أنه كان خارجاً من علاقة طويلة انتهت منذ بضعة أسابيع. قال إنه كان الشيء الصحيح: انفصال ودي متبادل. أخبرني أن الانفصال يكون في بعض الأحيان خلاصاً لكلا الطرفين، مثل انطفاء وحدة تكييف الهواء، حيث ينخفض الصوت المتواتر الذي لم تدركي وجوده حتى صمت.

تراسلنا لساعات تلك الليلة، نتعرف إلى أساسات بعضنا التي لم نتطرق إليها في حوارنا الأول. كلانا كبر في شمال لندن، كلانا ذهب إلى مدرسة داخلية محافظة، ولهذا السبب كان عنده رأي جعلني أتوقع أنه كره مدرسته بقدر ما كرهت مدرستي. لديه أربعة أطفال، صبيان وفتاتان، وكان واضحاً أنه مأخوذ جداً بهم. كان بإمكاني اكتشاف هل يستخدم الشخص أطفاله كحديث دردشة من بعد ميل. ولم يكن هو كذلك، فقد عرف كل تفصيل صغير عن شخصية كل طفل وشغفهم وأحلامهم وحياتهم اليومية وتحدث عنهم كلهم بسحر وإخلاص صادق.

تحدثنا عن الموسيقا والقصائد الغنائية. أخبرته أن فناني المفضل هو جون مارتين الذي كانت موسيقاه رمزاً لعلاقة الحب الوحيدة التي عشتها مع رجل واستمرت حفنة من السنوات. أخبرني كيف أنه اشترى واحداً من غيتارات مارتين من زوجته السابقة وقال إنني أستطيع الحصول عليه إن أحببت بما أنه عرف كم كنت معجبة بموسيقاه. تحدثنا عن الكتاب الذي قرأه كلانا والذي حولني إلى نباتية؛ كان لدينا شعور بالغضب حول الحالات والمقاطع نفسها، وعن عطلات طفولتنا التي قضيناها في فرنسا، وعن والدينا، وهن المطر. أخبرته كم أحب المطر أكثر من السماوات الزرقاء والشمس المشرقة. أخبرته كيف كان المطر دوماً يهدئني، وكيف كنت أسأل أمي وأنا طفلة هل أستطيع الجلوس في صندوق سيارتها المركونة في الخارج عندما تمطر. أخبرته أنني عندما قرأت في سيرة حياة رود ستيوارت أنه كان يقف وسط الشارع وذراعاه ممدودتان عندما أمطرت ذات مرة في لوس أنجلوس لأنه كان مشتاقاً إليه كثيراً، أدركت أنني لا أستطيع أبداً مغادرة إنكلترا. قلنا ليلة سعيدة عند الثالثة صباحاً.

استيقظت في الصباح التالي كأنني أعود من حلم يشبه الحقيقة. لكنه كان كافياً بالتأكيد. ورأيت رسالة جديدة من ديفيد تنتظرني على هاتفي تحت وسادتي مثل عملة نقدية لامعة مشعة من جنية الأسنان.

"لقد أيقظتني عند الخامسة هذا الصباح"، تقول الرسالة.

"ماذا تقصد؟" أجبت. أرسل إليّ تسجيلاً لصوت سقوط المطر، قوياً ثم ناعماً، على نافذة غرفته.

"هل أنا المطر؟" سألت وأنا أؤجل حسي التهكمي القديم بطريقة من شأنها أن تصبح أساسية في تفاعلاتنا.

"نعم، أنت كذلك"، أجاب، "شعرت أنك تصبحين أقرب".

كان عليَ أن أخبر صديقاتي عن ديفيد لأنني لم أفصل هاتفي في وجهه أبداً. تبادلنا الرسائل منذ اللحظة التي استيقظنا فيها إلى اللحظة التي ذهبنا فيها إلى النوم. احتفظت بنحو خمس ساعات في اليوم للعمل وتناول الطعام والاستحمام. لكن حتى في هذه النوافذ المغلقة من الوقت كنت أفكر فيه. تناولت الغداء مع صابرينا وأخبرتني أن عينيّ كانتا على هاتفي طوال الوقت.

"حقاً. يكفي هاتف"، قالت.

"لست على الهاتف!" قلت على نحو دفاعي.

"لستِ جسدياً على هاتفك، لكنني أستطيع القول إنك لا تفكرين إلا في التحدث إليه".

"لا، لست كذلك".

"بلى أنت كذلك، يبدو الأمر كأنني آخذ ابنتي ذات الأعوام الثلاثة عشر إلى الغداء وهي تريد العودة إلى MSN للتحدث إلى حبيبها الأجنبي طالب التبادل".

"آسفة"، قلت، "أنا لا أفكر فيه، أقسم". أضاء هاتفي.

"ما الذي يرسله إليك هناك؟" سألت صابرينا وهي تحدق في الشاشة. أريتها الهاتف وعليه صورة واضحة لأسد.

"هو يظن أن روحي الداخلية أسد".

قامت صابرينا ببضع حركات محيرة.

"نعم، لا أظن أنه سيكون لدينا الكثير من الأشياء المشتركة أنا وحبيبك الجديد"، قالت بحزم.

"لا، سيكون لديكما. هو ليس معلماً روحياً ثقيل الظل. إنّه شخص مرح حقاً".

"حسناً، فقط خففي هذه المراسلات"، قالت، "من فضلك، لمصلحتك، ستفسدين علاقتك حتى قبل أن تبدأ".

"يبدو هذا كأنه تاماغوتشي[78] إنساني، لكنه في فرنسا منذ ثلاثة أسابيع"، قلت، "لن أذهب لأتحدث معه حتى يعود ونتمكن من اللقاء".

78 حيوان أليف رقمي صممه أكي ميتا عام 1996.

"أوه، يا إلهي، أراهن أنه طلب منك أن تطيري إلى فرنسا، ألم يفعل؟" سألت وهي تهز رأسها، "لماذا يكون الأمر دوماً متطرفاً جداً بينك وبين الرجال؟"

"هيا، أنا فعلاً لن أقدم على الذهاب"، قلت. لم أخبرها أنني اطلعت على رحلات الطيران بدافع الفضول.

صديقاتي محقات تماماً؛ ظننّ أنني كنت مجنونة لأني سرعان ما أصبح مهووسة بأحد لا أعرفه. لكنهن دوماً كن معتاداتٍ ذلك. أنا أجد الاهتمام بحب جديد دوماً أشبه بطفل طماع يفتح لعبة هدية عيد الميلاد. أمزق الغلاف لأفتحها، وأصاب بالإحباط وأنا أحاول جعلها تعمل. ألعب باللعبة بهوس حتى تنكسر، ثم أجمع القطع البلاستيكية في خزانة الهدايا.

أرسلت إلى فارلي في البريد الإلكتروني تسجيلاً لحوارنا الأول، أنا وديف.

"استمعي لهذا"، كتبت، "ثم ستفهمين لماذا أنا متحمسة جداً لهذا الرجل". بعد ساعة تلقيت بريداً إلكترونياً منها.

"حسناً أفهم لماذا حماستك لهذا الرجل"، قرأت.

بعد أسبوع من بداية مراسلاتنا تحدثنا عبر الهاتف. ومع تغير ديناميكية المحاورة، بدا كل شيء مختلفاً عن المرة الأخيرة التي تحدثنا فيها قبل شهر. كنت بطيئة وهادئة واستطعت سماع تنفسه وصوت الصراصير في الريف الفرنسي. أغمضت عيني واستطعت تقريباً أن أشعر به قربي، وأشعر بسحر هذه الحميمية الغريبة التي خلقناها في الأسبوع الماضي.

"إنه نوع من الروعة أن نعرف بعضنا بهذا الشكل قبل أن نلتقي"، قالت شيلي ونترز، "إذا أردت أن تتزوجي شخصاً، تناولي الغداء مع زوجته السابقة".

"هل تقترح عليّ تناول الغداء مع زوجتك السابقة قبل تناوله معك؟"

"لا، أنا أفكر فقط في الناس الذين يعطون مثل هذه الأفكار التجارية، أنت لا تستطيعين حقاً أن تري أي شيء حقيقي من ذاك الشخص في الموعد الأول".

"نعم أفترض أن الأفكار التجارية ستكون متأخرة جداً في الوقت الذي نلتقي فيه".

مضى أسبوع آخر. آلاف الرسائل، وعشرات المكالمات. أصبح أكثر سحراً بالنسبة إليّ وأردت معرفة أفكاره حول كل شيء. لم يكن هناك تفصيل ضائع. أغواني الشجار الذي كان يحدث في حواراتنا حول أي أمر أهتمّ به. كان لديه شيء جديد ليقوله. امتلاك ضوء يشع عليّ من اهتمام هذا الرجل جعلني أشعر بالانتعاش والتجدد. لم يكن هناك ساعات كافية في اليوم للتحدث إلى ديف. احتجت أكثر، وأكثر، وأكثر.

لم تعد الرسائل والمكالمات كافية. تبادلنا كل ما نؤديه من عمل. أرسل إليّ فصولاً منشورة من كتابه الجديد، وأرسلت إليه مسودات من المقالات والنص السينمائي. تبادلنا المعلومات حول الأشياء التي لم نتمكن من معرفتها من المحادثة وتفحص الصور: كفكرة أنني كنت أقضم أظفاري حين أشعر بالقلق، وأن أصابعه كانت صلبة من العزف على الغيتار. شاهدت الأفلام القصيرة التي ظهر فيها مركزة عليه فقط. ظننت أنه كان عبقرياً وأخبرته ذلك مدونة كل السطور التي وجدتها صعبة والمقاطع التي أحببتها لأتصل به بعدها مباشرة ونتحدث عنها.

"اذهبي، انظري إلى القمر"، قال في إحدى الليالي بينما كنا نتحدث على الهاتف في وقت متأخر. زلقت قدمي ضمن حذاء رياضي ولبست معطفاً فوق قميصي وثيابي الداخلية وخرجت. مشيت إلى نهاية طريقي في هامبستيد هيث. أخبرني عن المرأة ذات الشعر الأشعث التي واعدها ذات مرة وكانت تعيش في هايغيت، والتي أعطته ثلاثين ثانية لينطلق راكضاً في المروج قبل أن تطارده.

مارسا الجنس في الغابة مقابل شجرة بلوط. جلستُ على مقعد عند مشهد مطل على أفق المدينة. مددت ساقيّ العاريتين تحت ضوء القمر وأخبرته عن مقعد آخر كنت أراه هنا وجعلني أبكي عندما

قرأت التكريم المنقوش عليه. كنت على المرج بجوار بركة السيدات، حيث سبحت طوال الصيف. ”يقول النقش: في ذكرى وين كرونويل التي سبحت هنا لأكثر من خمسين عاماً، وفِيك كرونويل الذي انتظرها. لا بد أنه وقف قرب البوابة بينما كانت هي تسبح كل يوم. أليس ذلك جميلاً؟“

”تعرفين...“، بدأ التحدث.

”ماذا؟“

”لا شيء“، قال.

”لا، تابع، أخبرني“.

”أنت تماماً مثل ساحرة. أنت هذا الكتاب الواضح بطرائق كثيرة. لماذا تفعلين هذه المشاكسة كلها لتقولي: أنا جزيرة؟“ سأل.

”لم أدرك أنني أفعل هذا، إنه ليس شعوراً واعياً“.

”ربما لا تشعرين بالقدرة على امتلاك ذلك، لكنك تستطيعين. يمكن لكل شيء أن يكون لك إن أردت ذلك“.

”يمكن أن يحركني شيء ما ولا أعرف إذا كنت أريده لنفسي“، قلت، ”وأنا غبية فقط على أي حال. هذا مثل أن يأتي عامل نظافة كل عام لينظف القناة بين قلبي وقنواتي الدمعية. في أحد الأيام، سيكون هناك فقط ممر نظيف ضخم للمشاعر المتدفقة المقرفة. وفي الوقت الذي أصبح فيه بعمرك على الأرجح سوف أبكي على مشهد ورقة في مهب الريح“.

”إذا كنت محظوظة“.

”أحياناً تكون الفجوة بين الإيمان القليل الذي لديك والإيمان الراسخ لدى الآخرين شيئاً مؤثراً جداً“.

”لا أعرف. ربما أنت فقط لديك فراغ غير قابل للملء“، قال مع تنهيدة لطيفة، ”ربما لا وجود لرجل سيكون قادراً أبداً على ملئه“. نظرت إلى القمر الذي كنا كلانا ننظر إليه وتمنيت على نجمة أن أذهب إلى السرير تلك الليلة وأنسى ما قاله.

كنت منتبهة أنني أستثمر كميات كبيرة من الوقت والطاقة في شخص غريب تماماً، لكنني كنت أملك الأسباب كلها لأثق به. لقد أحصيت الأيام تنازلياً بانتظار أن نلتقي، وفي تلك الأثناء استمتعت بهذا العالم الذي صنعناه بأنفسنا: كان بمنزلة بوابة على المدخل الجانبي للملل والحياة اليومية سمحت لي بالعبور إلى عالم سحري ملوّن. إذا واجهتني مشكلة، أطلب منه نصيحة، وإذا وجدت نفسي أبحث عن نهاية لجملة عندما كنت أكتب، كنت أطلب رأيه.

''شكراً لأنك أصبحت أكثر انفتاحاً عليّ''، أرسل إليّ رسالة في ظهيرة أحد الأيام، ''هذا مثير''.

من الواضح أنني كنت سأكمل فعل أي شيء إذا ما قال رجل يعجبني إنه يراه ''مثيراً''.

تحدثنا باستمرار كم أصبح اتصالنا كثيفاً. بالنسبة إليه، كان هذا جديداً تماماً وغريباً بالكامل. لم أشكل أبداً رابطة بمثل هذه المتانة مع شخص لم ألتقه أبداً، لكنني كنت أكثر منه اعتياداً لفكرة الدردشة مع الغرباء من استخدامي لـMSN وسنوات البلوغ التالية التي قضيتها في المواعدة على الإنترنت.

''أليس غريباً؟'' أرسل إليّ رسالة. ''أنا وأنت لم نلتقِ بعد أبداً رغم الأماكن التي كنا فيها! عوالم الألفة والرقة وأيام الأحد والضحك والموسيقا!''

''أعرف!''

''وقد نسجناها معاً بطاقة خفية باستخدام نقاط الشاشة فقط''.

''نحن سحرة''.

''انظري ما الذي نفعله بنقاط الشاشة هذه''، كتب، ''نتعارف عبر الأقمار الصناعية''.

لم أكد أنام في الليلة التي سبقت وصول ديفيد عائداً إلى إنكلترا. سيذهب ليضع أطفاله في منزل أمهم، ويقود إلى لندن وينام في منزل صديق، ثم في اليوم التالي نحصل على موعدنا المثالي المخطط له. كان الطقس معداً ليكون جيداً. كنت ذاهبة لألتقيه في هامبستيد هيث في بداية الظهيرة مع زجاجة نبيذ وكأسين بلاستيكيين. ساعدتني بيلّي وإنديا لتحضير الزي المناسب: tea dress [79] أزرق وحذاء خفيف أبيض. نظفت شقتي. أحضرت بعض الخبز الطري من أجل الصباح الحتمي التالي.

79 فستان بأكمام قصيرة وتنورة تصل أسفل الركبتين، بألوان زاهية وورود.

''هي تقصد الأعمال''، لاحظت إنديا وهي تراقبني أزيل الكتب من رفي، أنظف الحافات وأعيد ترتيب الكتب وفق العناوين بالشكل الذي تخيلت أنه سيجده أكثر روعة (دوركين، لاركن، الطعام، الصلاة، الحب).

لكن في الظهيرة الحارة التي سبقت موعدنا المتفق عليه كان عليّ أن أستمر في المواعدة. وكان هذا إعداداً غبياً من وكالة وساطة الزواج الذين طلبوا مني الكتابة عن الأشخاص الذين أواعدهم في عمودي عن المواعدة. وكان هذا الموعد مبرماً قبل أسابيع تقريباً من بدء علاقتنا المفترضة، أنا وديفيد. في ذاك الوقت جاءني إحساس كلي أن هؤلاء الأشخاص كانوا بحاجة إلى لفت الانتباه، وأنا

كنت بحاجة إلى موعد وصورة. لم أكن أريد إهانة الشاب المسكين، ولذا رتبنا لقاء في مكان مركزي لتناول شراب في بداية المساء، حيث عرفت أنني أستطيع العودة إلى البيت بحلول التاسعة.

"كلميني لاحقاً، محطِّمة القلب"، ودعني ديفيد بهذه الكلمات.

لم أقصد أبداً أن أكون محطمة قلب، بل العكس تماماً، كما اكتشفت في معظم هذه المواعيد. لم يرغب أي منا أن يكون هناك. كان لا يزال يحب حبيبته السابقة التي أفسد الأمور معها للأسف، بينما كنت مجنونة برجل لم ألتقه أبداً. تبادلنا قصصنا الخاصة. اقترحت أن يذهب إلى منزل حبيبته السابقة مع الأزهار ويخبرها أنه لن يتوقف عن حبها أبداً. اقترح أن أذهب إلى المنزل وأنام باكراً لأنني في الغد ذاهبة للقاء الرجل الذي كنت بوضوح تام سأتزوجه. غادرنا بعد أن تناولنا كأس كوكتيل واحد. صعدنا على القطار نفسه عائدين وافترقنا مع عناق.

"حظاً طيباً!" صاح لي بينما أبواب القطار تغلق بيننا.

"أنت أيضاً!" قلت عبر الزجاج.

عندما وصلت إلى المنزل، اتصلت بديفيد وأخبرته عن الموعد. كان قد عاد إلى لندن أبكر ما خطط وكان نائماً على أريكة صديقه في شقة على بعد ميلين غرب شقتي.

"تعال، وابقَ هنا"، قلت.

"ماذا عن الموعد المثالي في الغد؟" سأل.

"أعرف، أعرف، هذا فقط يبدو سخيفاً جداً، أنت على بعد عشر دقائق مني".

اتفقنا أن نلتزم المخطط الأصلي. بعد خمس دقائق نظرت إلى هاتفي ورأيت رسالة منه.

"أنا قادم".

خرجت من الشقة على رؤوس أصابعي ونزلت الدرج الحديدي أمام الباب الخارجي وهناك كان يقف في شارعي الصامت مع ضوء القمر فقط، الذي يظهر ظله الواسع الطويل وتجعيدات شعره الداكن. توقفت للحظة فقط لأحتوي صورته، وأنا أشعر كأنني أقفز من أعلى منحدر وأوشك على ملامسة سطح الماء الساكن. ركضت إليه. رميت ذراعي حول رقبته وتبادلنا القبلات.

"دعيني أنظر إلى هذه الفتاة"، قال وهو يتفحص وجهي بعينيه مندفعاً باهتمام شديد للتعرف إلى صفاتي كأنه يتذكرني من أجل امتحان.

"لطيف أن ألتقيك"، قلت.

"حسناً، لطيف أن ألتقيك أيضاً"، تابعنا تبادل القبلات وسط شارعي في منتصف الليل بينما أقف فوق الإسفلت على رؤوس أصابعي بقدمي العاريتين، وصوت بومة مدنية يأتي من شجرة قريبة.

شدني إليه وضغطت وجهي مقابل قميصه الأزرق الداكن المجعد كشعره.

"لست بطول ستة أقدام"، همس أمام جبهتي.

"بلى، أنا كذلك"، أجبت وأنا أقف على نحو أكثر استقامة.

"لا لست كذلك، وأنا عرفت أنك لست كذلك، أنت كاذبة شقية".

أمسكت يده وصعدنا الدرج إلى شقتي.

مرت الساعات القليلة التالية تماماً كما تخيلت. شربنا، تحدثنا، استمعنا للموسيقا، استلقينا متجاورين وتبادلنا القبلات. شممت في بشرته العارية الموشومة رائحة الجوز والغبار والشمس الفرنسية ورائحة التبغ والأرض. اختبرت تصنعه الذي لم أستطع التقاطه على الهاتف، وطية جفونه، والطريقة التي ينزلق فيها حرف "S" من بين أسنانه. استمع لي عن قرب. تحدث إليّ مباشرة. كنت منفتحة وواثقة ومتعجبة من قدرتي على الشعور بالحميمية مع شخص لا أكاد أعرفه.

"هل تعرفين ما هو الممتع"، قال وهو يقبل رأسي.

"ما هو؟"

"أنت تماماً كما تخيلتك، مثل طفلة في الملعب تغطي عينيها بيديها وتظن أن أحداً لا يستطيع رؤيتها".

"ماذا تعني؟"

"لا تستطيعين الاختباء مني"، قال. عرفت مسبقاً أنه كان الشخص الذي لن أكون قادرة أبداً أن أكذب عليه. عرفت أنني كنت في وضع صعب.

"هل أنت منزعج أننا لم ننجز موعدنا المثالي أولاً؟" سألته وأنا أنتقل إلى الأرض المشوشة الحالمة بين النوم واليقظة.

"لا"، قال وهو يمسّد شعري، "على الإطلاق. ماذا ستفعلين غداً؟"

"لدي لقاء مع ناشر عند الحادية؟" قلت.

"أستطيع أن آتي للقائك بعد ذلك؟" اقترح.

أغمضت عيني وغرقت في النوم بأمان. استيقظت بعد بضع ساعات على صوت ديفيد يرتدي ثيابه قرب السرير.

"هل أنت بخير؟" سألته بنعاس.

"أنا بخير"، قال وهو ينتصب.

"أين تذهب؟"

"لقيادة السيارة".

نظرت إلى ساعتي ووجدتها الخامسة صباحاً.

"ماذا... الآن؟"

"نعم، أحب القيادة".

"حسناً"، قلت، "هل تريد أن أعطيك مفاتيحي كي تستطيع الدخول عندما تعود".

"لا"، قال. انحنى على السرير وقبل ذراعي على طولها من المرفق إلى الكتف. "عودي إلى النوم".

أغلق الباب. سمعته يغادر الشقة، يركب سيارته وينطلق. حدقت في السقف الأبيض لغرفة نومي أحاول فهم ما جرى. كنت مليئة بشعور حامضي من الرفض المرعب، شعرت به من معدتي إلى حنجرتي، الاشمئزاز من النفس، البغض للنفس، الشفقة على النفس. شعرت أنني محشورة في علبة تماماً كما شعرت قبل سنوات بعيدة حين تلقيت تلك المكالمة من هاري.

عند السابعة صباحاً، زحفت إلى سرير إنديا وأخبرتها كل ما جرى.

"يبدو أنه صُدم"، قالت إنديا.

"بماذا؟"

"ربما كان الأمر فجأة حقيقياً وحميمياً جداً".

"لكن، الرجل مدرب حميمية"، قلت، "ذلك حرفياً هو عمله".

"حسناً، ربما يكون حالة من هؤلاء الذين يستطيعون فعل...".

"ما زلت عاجزة عن تصديق ما حدث"، قلت.

"أياً تكن أسبابه لا بدّ أنه سيكون لديه مقدار من التفسير لما فعل عندما تلتقيه اليوم".

"لكن ربما لن ألتقيه، ربما لن يحدثني مرة ثانية".

"بالتأكيد لا"، قالت، "إنه أب لأربعة أطفال، مؤكد أنّ شعوره بالشفقة أكبر من ذلك".

"لولا رسالته إلى هاتفي التي قال فيها إنه قادم، لكنت بصدق سأظن كلّ ما حدث حلماً"، قلت، "كنت أستلقي مستيقظة، أعذب نفسي بهذه الأجزاء منه، عينيه، نمشه، الوشم على صدره".

"أوه، بالطبع لديه وشم على صدره"، قالت إنديا، وهي تدور عينيها، "ما هو؟"

"لا أستطيع. السخرية سيئة جداً".

"تابعي"، قالت.

"شيء رمزي يتعلق باحترام النساء".

"بكى المسيح[80]".

80 عبارة شعرية رمزية يوشمها البعض على أجسادهم.

"عليه أن يعدله بهامش"، قلت، "إشارة إلى جانبه تقول: باستثناء دولّي ألدرتون".

"هل أنت بخير؟" سألت إنديا وهي تمسد ذراعي، "إنها صدمة كبيرة".

"أنا مضطربة فقط"، قلت، "هل هو كذلك؟"

بعد ساعتين من ذلك تلقيت رسالة تشبه اللغز من ديفيد. "مرحباً"، تقول الرسالة، "آسف إذا كان ذلك غريباً، خروج غريب. كان جميلاً جداً أن ألتقيك، وألمسك، أرسلني ذلك إلى العمق. الشعور بهذه الهوة بين الحميمية الساحرة التي خلقناها في الأيام الماضية وبين العكس، غياب معرفة أحدنا للآخر". راقبته وهو يطبع الحروف ورفضت أن أجيب. حتى أحصل على شيء منطقي.

"دفعني ذلك إلى بعض الأسئلة الكبيرة. تباً، أتمنى ألا تكوني متألّمة، ربما أنت فقط، أياً كان، لكن ربما استهجنت الأمر"، حدقت في هاتفي. ما زلت غير متأكدة ماذا سأجيبه. "أتمنى ألا تكوني قد استيقظت حزينة"، كتب.

"أنا فعلاً استيقظت حزينة"، أجبت، "أنا لا أدع الناس غالباً يقتربون مني".

"أعرف، أنا حقاً آسف، لم يكن هذا هجراً لك".

فكرت في آخر مكالمة كانت بيني وبين هاري كيف أنني توسلت إليه ليحبني، وكيف أقنعته بالدموع أنني كنت جيدة بما فيه الكفاية له. كيف أنني أصغيت إلى أي تردد في صوته يمكن أن يقودني إلى الاعتقاد أنني أستطيع التعلق به بيأس. تحولت أصابعي إلى اللون الأرجواني من الضغط. تلك لم تعد قصتي بعد الآن. ذاك لم يكن الشخص الذي أريد أن أكونه.

"أنا حقاً لا أفهم ما الذي يعنيه ما سبق، لكنني سأكون بخير بإنهاء الأمر هنا إن كان ثمّة ما يمنعك من الشعور بالراحة في الاستمرار"، كتبت.

"أحتاج مهلة لأرتب رأسي في ما يتعلق بك"، أجاب، "لا أقول إنه يجب أن ينتهي".

"أنا"، كتبت، "عليّ أن أضغط توقف الآن".

"اللعنة، لقد آذيتك. أشعر بذلك".

"لا بأس"، أجبت، "كلانا نمر بأوقات غريبة في حياتنا. أنت خارج من علاقة للتو، وأنا أخضع لعلاج نفسي. لكن عليّ أن أحمي نفسي".

"حسناً"، أجاب.

حذفت محادثاتنا وتاريخ الاتصال، ثم حذفت رقم ديفيد.

بمرور الأيام، شعرت بمزيج من الوحدة والإحراج والحزن والغضب. شعرت أنني مثل البلهاء، كنوع من شخصية أنثوية رثة على The Archers يغازلها غريب جميل بنذالة قبل أن يغادر آخذاً كل نقودها. تبادلت الصديقات قصصاً محرجة مشابهة لجعلي أشعر أنني أفضل: حكايات عن كونهن خدعن بحميمية كاذبة مع غرباء. أرسل إلى أحد الناشرين في عمود المواعدة الذي أكتبه مقالة تدعى ''حب افتراضي'' نشر في عام 1997 في *The New Yorker* عن الظاهرة الجديدة الغريبة للوقوع في الحب عبر الإنترنت. مقالة كتبتها صحافية عن تجربة شخصية حيث بدأت علاقة هاتفية وعبر البريد الإلكتروني مع غريب. ''ربما لم أعرف خطيبي''، كتبت، ''لكن للمرة الأولى في حياتي، عرفت الصفقة: كنت شخصاً مرغوباً، كنت مراد نظرة الرجل الأعمى، إذا التقينا في الشارع، لن يتعرف أحدنا على الآخر. نسختنا المحددة من الحميمية الآن مخفية في الأشجار والأجسام والحطام المتساقط الذي يشكل العالم المادي''.

بعد يومين من ترك ديفيد لي، في منتصف الليل، نشرت المجلة المقالة التي قادتني في الأصل إليه. كنت قد نسيت أمرها تماماً. لكن برؤيتها على رفوف محلات بيع الصحف شعرت كأن الدورة اكتملت. لم أرسل إليه لأعلمه أنها نشرت كما وعدته في تلك الرسالة التي بدأت الكارثة. لم أتحدث إلى ديفيد مرة ثانية أبداً.

عدت إلى صديقاتي في أعقاب اللقاء، وبات الأمر برمته يبدو أكثر سخفاً كلما مر الوقت. كنا نجلس أحياناً في الحانة بعد أسابيع مما جرى، وفجأة تضع إنديا كأس نبيذها وتصيح: ''هل يمكن أن تصدقوا ذاك الشاب ديفيد؟''

فكرت بيلّي في الإبلاغ عنه لأنه يسيء استخدام مكانته وأنه موضع ثقة. ''لكن لمن تستطيع حتى أن تشتكي عليه؟'' سألت.

''لا بد من وجود هيئة ما للمعلمين الروحيين، نوع من مكان ما حيث يتم تأهيلهم''، قالت إنديا.

''ربما علينا فقط أن نكلم Haringey Council''، اقترحت بيلّي.

''أخبريهم أن هناك معلماً روحياً كبيراً وهو يشكل خطراً على النساء الشابات الشديدات التأثر''.

ظنت بعض الصديقات أنه مجرد عدو للمرأة واجه تحدياً بوجود امرأة تعاني مشكلة مع قضايا الثقة، حصل على ما أراد وذهب، ذئب في مهرجان Glastonbury. ظنت الأخريات، الأكثر تسامحاً، أنه كان أقل ارتياحاً للعلاقة في عالم افتراضي من مواليد الثمانينيات والتسعينيات. كنت معتادة التحدث مع أشخاص لم ألتقهم وإنشاء علاقة معهم. لقاؤهم وجهاً لوجه للمرة الأولى كان دوماً

صادماً. لكن التعرف إلى شخصٍ ما كان فن إغلاق تلك الفجوة، تلك ''الهوة'' التي تحدّث عنها. تلك هي الفرضية الكاملة للمواعدة على الإنترنت.

ابتكرت هيلين نظرية أخرى: هو كان يمر في أزمة منتصف العمر إضافة إلى انفصاله، وأنا لم أكن أكثر من نزوة لإرضاء غروره. كنت سترة جلدية أو سيارة سريعة أحب فكرتها، لكن عرف بعد شرائها أنها لن تناسبه أو تناسب حياته أبداً.

لكن الحزن لخسارة ديفيد كان مثل بكاء طفل لخسارة صديق غير مرئي. لم يكن واقعياً، كان افتراضياً، كان خيالاً. تنافسنا في عرض آرائنا. بالغنا في الابتذال، وتحليل مشاعر بعضنا والحاجة الملحة إلى تغذية شيء ما عميق ومظلم ومهجور في قاع أنفسنا. كان كلمات وفراغات. كان صوراً رقمية. لعبة The Sims، لعبة dress–love up، كان تنقلاً بين الأقمار الصناعية في رقصة مصممة بإحكام.

الآن فقط، بعد ساعات من التحليل، هل أفهم من كان ديفيد؟! لم يكن محتالاً ولا شخصاً يمر بأزمة منتصف العمر، ولا دون جوان سافل متنكراً بحذاء جلدي صيفي وسترة من الكتان. كان الطفل الصغير في الملعب الذي غطى عينيه وظن أن أحداً لن يستطيع رؤيته. لكنني أخيراً تمكنت من رؤيته، لأننا كنا من النوع نفسه: طفلان سيئان نشبه بعضنا بعضاً. كان ضائعاً ويبحث عن زورق نجاة. كان حزيناً وبحاجة إلى سلوى. كنا اثنين وحيدين يحتاجان الخيال للهرب من نفسيهما. ربما، لأنه يكبرني بعشرين عاماً، كان يجب أن يكون لديه معرفة أكبر لكنه لم يكن كذلك. أتمنى ألا أكون أبداً متواطئة في لعبة كهذه ثانية. وأتمنى أن يجد ما كان يبحث عنه.

الثامن عشر من نوفمبر

'' صباح الخير لكارين الخصبة والصديقات العاقرات!

فكرت أن أرسل خطة حمّام ابن صديقتنا كارين، غير الضروري أبداً، والمقزز، والمتكلف والمستعار من أميركا على نحو غير تقليدي! تظن كارين أنه من الجيد دوماً طلب المال والوقت من الآخرين للاحتفال بخيارات حياتها الخاصة، ونحن شعرنا أنكم لم تعطوها ما يكفي أخيراً في حفل توديعها قبل الزفاف ١.٥٠٠ جنيه في إبيثا، وفي الزفاف في مايوركا مع اللباس الصارم والهدايا من Selfridges (سيداتي ملاحظة مهمة: إذا حصلتن على عمل جديد أو اشتريتن شقة لحسابكن فأنتن تحصلن على بطاقة وهكذا هو الأمر. نريد التأكد أنه ليس هناك حضور من مجموعة سابقة. نحن لسنا مصنوعين من المال!)

الأخبار الجيدة هي أن كارين بعد أن تلد لا تريد رؤية أي من صديقاتها اللواتي ليس لديهن أطفال ما لم يردن التحدث عن طفلها دون أي شيء آخر، ولذا يمكنكن معالجة ما يخص حفلة وداعها إضافة إلى حمّام طفلها

وادخار البنسات لسنتين! وذلك بالطبع حتى تعود إليكم عندما تكون قد توقفت عن الإرضاع وملت من عقلها، وتطلب منكن جميعاً أن تخرجن لتناول الشراب والرقص وتناول المخدرات، ثم ترسل إليكنّ رسالة نفور في الأسبوع التالي تقول فيها إنها حقاً لا تستطيع أن تخرج في ليلة كهذه ثانية لأنه: "أنا أم الآن".

عندما تصلون إلى شقتي، أنا صديقة كارين المفضلة، في بلسايز بارك أود منكم حقاً الانتباه إلى تخطيط وعصرنة الشقة، لأن ذلك سيكون جزءاً كبيراً من محادثة بعد الظهر. سأتحدث بالتفصيل وبنوع من التبجح عن إعادة ترتيب مطبخي جاعلة كل مستأجر في الغرفة يشعر بالخجل. سأقدّر ألّا يشير أحدكم إلى أن أبي دفع ثمن الشقة بالكامل. ذاك صحيح، هي ليست رهناً حتى! من فضلكم، اخلعوا أحذيتكم عند الباب.

سوف نبدأ عند الساعة الثانية الألعاب المحرجة الطفولية التي تجعل الوقت يمر سريعاً. لعبتنا الأولى تعليق دبوس على شكل قيء الطفل. الثانية هي تخمين البراز: سوف نذوب ألواحاً من أصناف مختلفة من الشوكولا داخل الحفاضات وسيكون على الأم المقبلة أن تخمن أي لوح في أي حفاض! بعد ذلك سنستمر أكثر بالألغاز المتعلقة بالطفل، وهنا سيكون علينا كلنا أن نشارك في تمثيل مرحلة مختلفة من الأبوة، مثل الشجار مع أمك المتعجرفة لأنك لا تريدين تعميد طفلك وقتالك مع شريكك لأنه يرى ادعاءك أن القوارض سترث الأرض بعدنا غنجاً زائداً منك.

سننتقل بعد ثلاث ساعات إلى لعبة تمرير مضخة الصدر بين الحضور. جاءتني بعض الرسائل البريدية قلقة حول هذا، ولذا دعوني أوضح لكم شيئاً: ليس عليك أن تكوني مرضعة فعلاً حتى تستمتعي بهذه اللعبة. لقد أوضحت كارين جيداً لي أن الصديقات اللواتي لسن أمهات مرحب بهن أقل من الأخريات اللواتي هن إما حوامل وإما لديهن أطفال. سوف نمرر مضخة الصدر بين الحضور، والتي تصل المضخة إليها عند توقف الموسيقا تربطها بحلمتها من أجل القليل من المرح. يفترض أن يكون هذا مسلياً!

سيكون هناك زجاجة واحدة من نبيذ بروسيكو الدافئ لتشاركها بين خمس وعشرين ضيفة، وبخلاف ذلك الحدث ليس فيه شراب. بدلاً من ذلك، يمكنكم أن تفرطوا في تناول الشاي في حفل بعد الظهيرة المتوقع، الذي سيكون كل شيءٍ فيه مصغراً.

ستُفتح الهدايا عند الساعة ١٧.٠٠، قائمة الهدايا مرفقة في البريد. بالنسبة إلى الهبيين، وأصحاب الأعمال المستقلة، وغير الموظفين وأولئك الذين يعملون في الإعلام، أو الفنون، أو الصناعات الإبداعية الأقل من ٢٥.٠٠٠ جنيه كمتوسط، لا أحد يريد منكم هراءً من الصناعات اليدوية. إذا كنتم مهتمين بكارين وطفلها الوليد حقاً اذهبوا إلى The white company كأي شخص آخر. هناك قبعات من الكشمير بأقل من ٨٠ جنيهاً، ولذا ليس هناك عذر لمحاولاتكم في الحياكة. لن يجد أحد ذلك لطيفاً.

سنشاهد كارين تفتح كل هدية مثل طفلة بعمر خمس سنوات في حفل شاي عيد الميلاد وسوف تشرح ما هي كل هدية. لن يكون هذا مضجراً فقط وإنما مروعاً تماماً بالنسبة إلى هؤلاء الذين لم يضعوا مواليد ولا يعرفون بعد أنواع كريمات الحلمات، وحفاضات بعد الولادة للأم، ووسائل المشيمة والتقاط البراز من بركة الولادة في الماء. سيكون هناك معالج نفسي [81] PTSD مدرب على الموقع من أجل النساء من دون أطفال بالإضافة إلى طلاء أظفار للجميع.

81 post–traumatic stress disorder: الاضطراب اللاحق للإجهاد المسبب للألم.

الحدث الكبير في اليوم سيكون في الساعة ١٩.٠٠، اكتشاف جنس المولود. فكارين وزوجها جوش لا يعرفان جنس طفلهما وبدلاً من ذلك طلبا من الطبيب أن يوجه المعلومات مباشرة إلى مخبز حرفي في Hackney إذ عمل أعضاء الفريق جميعهم في Bake ‘n’ Bites على نحو استثنائي بجد لإنتاج قالب حلوى من أربع طبقات مغطى بصلصة الكراميل المالح المثلج المفضلة لكارين. وعندما تقطع الكعكة، سيكشف لون قلب الكعكة الجنس: زهري للفتاة، أزرق للصبي أو أخضر فاتح للاثنين. سيكون هذا لحظة خاصة جداً لنا جميعاً (ليس المقصود الطعم اللذيذ!).

نحن نأمل في يوم ممل ومكلف ومليء بالحب والضحك، يحضّر أفضل صديقة لنا للأمومة. نأمل في جعل صديقاتها كلهن اللواتي ليس لديهن أطفال يشعرن بالنفور وكل صديقاتها اللواتي عندهن أطفال يشعرن بالنقص.

نراكم إذاً!

أحبكم.

ناتاليا قبلات كثيرة جداً.''

يكفي

في الأسابيع التي تلت لقائي بديفيد، وشعوري بالانكشاف والإحراج، صرحت تصريحاً دفاعياً صاخباً عن العزوبية. بالطبع، لم أكن أقصد العزوبية على الإطلاق لأنه، أولاً، استمر التصريح ثلاثة أشهر خجلة فقط. ثانياً كان هذا التصريح في الأساس أداة للفت انتباه الذكور، نوع من تحدٍّ خيالي أنني قد أولد عذراء من جديد، الأمر الذي هو مناقض تماماً للنتيجة المقصودة من العزوبية. فليس هناك راهبة تعهدت العزوبية يوماً كي تبدو صعبة المنال على نحو لا يقاوم.

ثم جاءت مناسبة عيد الميلاد الكارثية. "عيد الميلاد الخاص" كان عبارة صاغتها صديقاتي لوصف نوع محدد من العلاقة المؤقتة الهانئة الثملة، التي تحدث فقط في الاستعداد لعيد الميلاد عندما يكون الجميع منتشياً وفرحاً وتكون النيات حسنة والرهانات كلها متوقفة. في الاستعداد لعيد الميلاد، قررت أنني سأحصل على مثال للتأكد من صحة الفكرة كوجبة جاهزة لتقدير الذات.

بعد حفلة عمل، أرسلت رسالة إلى شاب كنت أتحدث معه على تطبيق مواعدة منذ أسبوعين. جيوردي[82] عمل في صناعة الموسيقا مع ابتسامة بخدين ممتلئين وقد أبدى اهتماماً بممارسة الجنس.

82 Geordie: لقب للشخص القادم من منطقة تاينسيد في شمال شرق إنكلترا، أو يستخدم للإشارة إلى أي شخص من شمال شرق إنكلترا.

"هل تود أن نلتقي الآن؟" أرسلت الرسالة مع لا مبالاة عدائية. كان هذا في الحادية والنصف صباحاً.

"بالتأكيد"، أجاب.

وصل إلى شقتي مع زجاجة من النبيذ الأحمر العضوي في الثانية صباحاً وأجرينا محادثة صغيرة على الأريكة كأننا مجرد شخصين حضريين معقدين يستمتعان بموعد عشاء في مساء مبكر بدلاً من واقع اليأس التراجيدي الذي نعيشه. بعد ساعة تماماً من المحادثة، بدأنا نقبل بعضنا بعضاً. ثم ذهبنا إلى غرفة نومي ومارسنا الجنس الروتيني. كان هذا مكافئاً فيزيائياً للتطلع إلى الحصول على شطيرة من محطة على الطريق السريع، شيء ما تظن أنك كنت تبحث عنه حتى اللحظة التي تحصل فيها عليه فتتساءل لماذا.

لم أمارس الجنس مع شخص غريب منذ الليلة التي التقيت فيها آدم في نيويورك. فجأة تخليت عن رغبتي في علاقات الليلة الواحدة مثل فتاة صغيرة تدرك في أحد الأيام أنها ما عادت تريد الاستمرار

في اللعب بدماها الباربي. حالما انتهى الأمر، عرفت أنني لا أريده أن يتكرر ثانية أبداً. الجنس بحد ذاته كان جيداً، لكن وجوده كان لا يحتمل. الحميمية الكاذبة للجنس العرضي التي تمتعت بها ذات مرة طالبة بدت مثل نكتة مضحكة. لم يكن هذا خطأ الشاب على الإطلاق. لكنني أردته أن يخرج من منزلي، خارج غرفتي، خارج سريري ذي المفرش الناعم، حيث رسائل من صديقاتي على المنضدة قربه. جعلتني رؤية هذا الوجه الغريب النائم في الظلام أشعر بالغثيان. مرت الليلة بطيئة كيرقة زاحفة.

استيقظت مع صداع سيئ وكان الجيوردي لا يزال في سريري. أراد أن نقضي الصباح ونحن مستلقيان معاً في السرير، نحتسي الشاي ونستمع لأغاني Fleetwood Mac. كان بين يدي شاب مع ‘‘احتمال تجربته كحبيب‘‘. لاحظت على مر السنوات أن هذا شيء اقترحه رجالٌ محددون بعد علاقة ليلة واحدة، إذ كانوا يتصرفون بطريقة رومانسية غير مناسبة في الصباح التالي إما لجعلك تقعين في حبهم وإما لتهدئة شعورهم الذاتي بالذنب لممارستهم الجنس مع شخص لا يعرفون حتى لقبه. يمضون الصباح في مغازلتك ويعدّون فطورك ويشاهدون حلقات Seinfeld قبل أن يغادروا أخيراً عند الغروب، ثم لا يتصلون مرة ثانية. كانت تلك على ما يبدو خدمة مجانية مع شحنة عاطفية عالية.

لم أقبل أبداً ‘‘تجربة الحبيب‘‘ حين كانت تقدّم.

خرج من منزلي أخيراً بعد أن تذرعت بمخططات لالتزامات كاذبة على الغداء. ‘‘تمتع بحياة لطيفة‘‘، قلت له عند الباب.

‘‘لا تقولي ذلك‘‘، قال وهو يعانقني.

‘‘آسفة‘‘، أجبت وأنا ليس لدي شيء آخر لأقوله، ‘‘ميلاد مجيد‘‘.

استلقيت على الأريكة بسترة ليو التي لم أرمها أبداً وراقبت التلفاز طوال النهار. دخل حبيب إنديا اللطيف غرفة المعيشة. كان ملتحياً مبتسماً ويرتدي وشاحاً صوفياً لطيفاً أحضرته له إنديا بحب من أجل الميلاد. كان صورة من الألفة والحب، ولم يكن أبداً بعيداً عني.

‘‘صباحك سعيد، دولي‘‘، قال.

‘‘وشاح لطيف!‘‘

‘‘أجل لطيف أليس كذلك؟‘‘ قال وهو ينظر إليه مبتسماً، ‘‘أخبرتني إنديا أنك أمضيتِ ليلة ميلاد خاصة‘‘.

"نعم"، قلت ووجهي نصف مدفون في مسند الأريكة، وعيناي ما زالتا تحدقان إلى اللجنة في برنامج The Loose Women.

"جيد؟"

"لا. سيئ، محبط"، قلت، "كانت حلقة من برنامج The East Enders Christmats Special".

"أوه، عزيزتي"، قال، "إذاً، لن يكون هناك لقاء آخر؟"

"لا، كان لقاءً لمرة واحدة".

في الشهر التالي، وصل عمود المواعدة أخيراً إلى النهاية، ولم يعد لدي أي عذر لأن أبحث دوماً عن الشاب التالي تحت غطاء أنها مهنتي. يمكن لنهاية العمود بسهولة أن ترمز إلى بداية مرحلة جديدة في حياتي. مرحلة لا تُحكم باتصالات آخر الليل من أحباب قديمين ومن أشخاص تعرفت عليهم عبر تطبيق *Tinder* أو في حفلات العشاء ولا بتنسيق فواصل تدخين في الحانة عندما يكون هناك رجل جذاب في الخارج.

الحقيقة هي أن العمود كان قد أصبح مساعداً، لكنني كنت مدمنة. كنت كذلك على الدوام منذ وقت طويل قبل أن أصبح نشطة جنسياً. هناك هذا الشيء الذي تقوله جيلي كوبر في برنامجها Desert Island Discs أنها عندما كانت في مدرسة كلها بنات كانت مهووسة جداً بالفتيان الذين كانت تتخيلهم حتى في هيئة البستاني بعمر الثمانين، الذي كان يعمل أحياناً في الحدائق. كنت تلك الفتاة التي تكبر، وبطريقة ما، لم أتوقف أبداً عن كوني تلك الفتاة. سحرني الفتيان وأرعبوني بالمقدار نفسه؛ لم أفهمهم ولم أردهم كذلك. كانت وظيفتهم الإمتاع، بينما أمّنت الصديقات الإناث كل شيء آخر مهم. وكان وجودهن طريقة لإبقاء الفتيان بعيدين.

***

عندما عدنا، أنا وفارلي، من سردينيا وبدأت حياتها الجديدة كامرأة عازبة لأول مرة منذ بداية عشريناتها، أعطيتها محاضرة TED [83] متغطرسة تماماً حول تعقيدات المواعيد الحديثة.

83 اختصار لـ Technology, Entertainment, Design[تكنولوجيا وترفيه وتصميم]، وهي سلسلة من المؤتمرات العالمية التي تهدف إلى تعريف ونشر الأفكار الجديدة والمتميزة للعالم. ترعاها مؤسسة أميركية غير ربحية شعارها "أفكار تستحق النشر".

"أول شيء عليك فهمه"، قلت، "لم يعد أحد يلتقي أحداً في الحياة الواقعية. تغيرت الأشياء منذ كنت في السوق آخر مرة، فارلي، ولسوء الحظ، ليس لديك خيار سوى أن تتغيري معها".

''حسناً''، قالت وهي تومئ وتأخذ الملاحظات بجدية.

''الأخبار الجيدة أنه لا أحد يحب المواعدة على الإنترنت فعلاً. كلنا نفعلها، لكن الجميع يكرهها، ولذا كلنا في مركب واحد''.

''صحيح''.

''لكن عليك ألا تنزعجي إذا وجدت نفسك في حانة أو أي مكان ولا أحد يتحدث إليك. هذا عادي جداً، في الحقيقية أحياناً، سوف يحب رجل إطلالتك في حفلة ولا يتحدث إليك، لكن بعد ذلك تصلك رسالة على 'فايسبوك' تقول إنه تمنى لو تحدث إليك''.

''غريب''.

''جداً، لكن ستعتادينه. إنها مجرد طريقة جديدة لصنع ذاك الاتصال الأول مع شخص ما''.

''ماذا عن الاستمناء على الصدر''، سألت.

''حسناً، ماذا عنه؟''

''هل ما زال الناس يقومون بالاستمناء على الصدر؟''

''لا''، قلت رسمياً، ''لم يعد أحد يفعله منذ 2009، لن يكون متوقعاً منك''.

''حسناً ذاك شيء جيد على الأقل''، قالت.

***

التقت فارلي شاباً في حانة بعد ذلك بأسبوع. تبادلا أرقامهما وبدآ لقاءاتهما مباشرة.

''التقت فارلي أحدهم''، أخبرت إنديا صباح أحد أيام السبت أثناء الفطور.

''هذا جيد لها''، أجابت، ''شريحة خبز أو اثنتان؟''

''اثنتان. لن تصدقي أبداً أين، خمني''.

''لا أعرف''، قالت وهي تأكل ملعقة من خثارة الليمون.

''في حانة''.

''ماذا تقصدين 'في حانة'؟''

''كما في الحياة الواقعية. أتى إليها وبدأ يحدثها وهما الآن يتواعدان. هل تصدقين هذا؟ أنا سعيدة من أجلها لكن أنا أيضاً غاضبة جداً. أقصد متى كانت آخر مرة التقيت فيها أحداً في حانة؟''

''كم هذا مضحك!'' قالت إنديا بغضب صادق.

''أعرف''، قلت، ''أعرف''.

دخلت بيلّي المطبخ.

"صباح الخير، يا هررة"، قالت بنعاس.

"هل سمعت هذا؟" سألت إنديا بغيظ، "عن شاب فارلي الجديد؟"

"لا؟" أجابت.

"تقابلا في حانة".

"أي حانة؟"

"لا أعرف"، قلت، "ريتشموند، أظن. هل تصدقين هذا؟ لا أظن أن أحداً أعطاني رقمه في سهرة منذ نحو خمس سنوات. لقد حدث هذا معها في خمس دقائق".

"ربما هو أمرٌ من جنوب النهر"، قالت بيلّي.

"أظن أنه أمرُ فارلي"، قلت.

لم تكن الاختلافات بيني وبين فارلي واضحة بقدر ما كانت عليه عندما يتعلق الأمر بالحب. فارلي مريحة، لطيفة المعشر، ملتزمة، مثابرة، نموذجية، مخلصة. الجزء الذي أجده أنا أكثر إثارة في العلاقة. الجزء الغامض، ذو الخطورة العالية، المتمثل في الشهور القليلة الأولى المثيرة إذ لا تكاد تستطيع أن تأكل بسبب الفراشات في معدتك، هو أكثر جزء تكرهه فارلي. أنا أعيش في خوف من حفلات الشواء في منزل عائلة الحبيب، ومن حبتي بطاطا مشويتين تُؤكلان على الأريكة ليلة السبت أمام التلفاز، ومن الرحلات الطويلة في السيارة على الطرقات السريعة معاً. هذا بالنسبة إليها الجنة بحد ذاتها. هي ستبادل سعادة الأشهر الثلاثة الأولى من الرومانسية مقابل حياة من الألفة والحميمية والمخططات العملية والبطاطا المشوية. أنا سأعطي أي شيء مقابل تكرار الأشهر الثلاثة الأولى وضمان أنه لن يكون عليّ أبداً أن أذهب إلى إيكيا أو محطة National Express Coach أو لزيارة منزل قريب لي خارج M25 مع شريك جنسي.

"الإسقاط النفسي" واحدة من الكلمات العلاجية التي تتعلمينها على طول الطريق. وهي تعني أن تتهمي شخصاً آخر بفعل ما، أو الادعاء أنه هو تماماً ما يخيفك كطريقة للتهرب من المسؤولية وإلقاء اللوم على الآخر. لقد فعلت ذلك كثيراً عندما كان الأمر يتعلق بخيارات فارلي في العلاقات. كنت على الدوام أعتبر مقاومتي الدائمة للالتزام فعلاً تحررياً، ولم أدرك أبداً أنها كانت الشيء الذي جعلني أشعر أنني في مصيدة. ربما احتاجت فارلي على الدوام أن تكون في علاقة، لكن على الأقل هي عرفت ما أرادت وكانت واضحة بخصوصه. احتجت شيئاً ما، لكن بالتأكيد لم يكن لدي فكرة ما هو، وكرهت نفسي بانتظاره.

ذهبنا، أنا وفارلي، في نزهة طويلة وأخبرتها أنني خططت لأخذ إجازة حقيقية من الجنس مع مقدماته وخواتيمه كلها'' من المغازلة إلى المراسلة والمواعدة والتقبيل، في محاولة لإيجاد بعض الاستقلالية. أخبرتها أنني رغم قضائي معظم حياتي عازبة، فأنا لم أكن عازبة فعلاً ولا لحظة منذ كنت مراهقة. وافقت، وأخبرتني أنها تظن ذلك فكرة جيدة.

''هل تظنين أنني سأشعر بالاستقرار يوماً مع أحدهم؟'' سألتها ونحن نقفز بين الأشجار في غابات Hampstead Heath's.

''بالطبع، أظن ذلك، أنت فقط لم تلتقي بعد الرجل المناسب''.

''نعم، لكن تلك هي المشكلة. لا أظن أن الأمر يتعلق بالرجل المناسب إطلاقاً وإنّما يتعلق بي. أظن أنّ نوع الرجال غير مهم حتى أنظّم هذا''، أومأت إلى نفسي بتعب كأنني غرفة نوم لمراهقة فوضوية.

''حسناً، أظن من الجيد أن تأخذي وقتك لفعل ذلك. سيكون عملاً قصير المدى مع عائد طويل المدى''.

''لماذا تجدين ذلك مريحاً جداً؟'' سألتها، ''كنت دوماً أشعر بالغيرة من السهولة التي كنت تتعاملين فيها مع سكوت. كنت تماماً هناك مندفعة، وملتزمة''.

''لا أعرف حقاً''.

''هل فكرت يوماً، عندما كنت مخطوبة، كيف أنك لن تنامي أبداً مع أي شخص آخر؟ ألم يزعجك ذلك أبداً؟''

''هل تعرفين؟'' قالت، ''الآن أنت قلت ذلك، لا أظن أنني فكرت في ذلك أبداً''.

''لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً''، قلت وأنا أقفز كطفل صغير لتلامس أصابعي فروع الأشجار.

''بصدق، أعرف أن ذلك يبدو غريباً، لكن لا أظن أن تلك الفكرة عبرت أبداً في ذهني''، قالت، ''كل ما أردته كان مستقبلاً معه''.

''أريد معرفة كيف تبدو تلك المشاعر، أن تكوني ملتزمة بصدق مع أحد ما بدلاً من أن تكون قدمك خارج الباب''.

''أنت قاسية جداً مع نفسك''، قالت، ''يمكنك الالتزام بحب طويل المدى. لقد فعلت ذلك أفضل من أي شخص أعرفه''.

''كيف؟ أطول علاقة لي دامت سنتين وقد انتهت عندما كنت في الرابعة والعشرين''.

''أنا أتحدث عني وعنك''، قالت.

لم أستطع التوقف عن التفكير في كلمات فارلي في الأيام القليلة التالية. فكرت كيف أننا معاً منذ عشرين عاماً وأنني في ذلك الوقت كله لم أشعر بالملل منها أبداً. فكرت كيف أنني فقط أحبها أكثر وأكثر كلما كبرنا وتقاسمنا التجارب أكثر. فكرت كم كان مثيراً أنني على الدوام أخبرها الأخبار الجيدة أو أستشيرها حين تحدث أزمة، وأنها لا تزال الشخص المفضل لدي لأذهب معه للرقص، وكيف أن قيمتها تزايدت كلما زاد التاريخ الذي تشاركناه معاً، مثل عملٍ فنيٍ، جميلٍ، ثمينٍ، معلقٍ في غرفة معيشتي... الألفة والأمان والإحساس بالهدوء الذي غمرني به حبها.

طوال هذا الوقت، كنت منقادة إلى الاعتقاد أن كفاءتي الجنسية هي ما حددت قيمتي في علاقة ما، الأمر الذي كان يدفعني إلى التصرف كنوع من امرأة كرتونية شبقة. لم أفكر أبداً أن رجلاً يستطيع أن يحبني بالطريقة نفسها التي تحبني فيها صديقاتي، أو أنني أستطيع أن أحب رجلاً بالاهتمام والالتزام نفسه الذي أحبهن به. ربما كنت طوال هذا الوقت في زواج رائع دون إدراك. ربما كانت علاقتي بفارلي هي ما تبدو عليه علاقة جيدة.

دخلت في امتناع متعفف كما لو كنت أتحضّر للدكتوراه فيه. كلما زاد عدد الكتب والقصص والمدونات التي قرأتها عن إدمان الحب والجنس، زاد إدراكي أن ما كنت أفعله كان خطأً كبيراً. أصبحت المواعدة مصدراً للمتعة الفورية، مصدراً للافتتان بالنفس المتزايد، ولا تقدم شيئاً للاتصال مع الشخص الآخر. مرة بعد مرة خلقت علاقة قوية مع الرجال وخربتها بسبب الحميمية مرات عدة. عرض عليّ غريبٌ الزواج في مطار جون كينيدي. طلب مني مدرب روحي في منتصف العمر أن أطير إلى فرنسا لأقضي أسبوعاً معه. لقد كان هذا مبالغة وحرارة لا حاجة إليها، ولم يكن ارتباطاً وثيقاً مع الشخص الآخر. حرارة وحميمية. كيف استطعت أن أخلط هذا كله معاً؟

مضى شهر. لم أشعر إلا براحة تامة. حذفت تطبيقات المواعدة من هاتفي. حذفت الأرقام التي جمعتها. توقفت عن الرد على الأحباء السابقين الذين كانوا يرسلون إليَّ الرسائل في الثالثة صباحاً يطرحون أسئلة تبدو عادية مثل: "ما أخبارك؟" أو: "ما الذي يجري؟" توقفت عن ملاحقة العلاقات المحتملة على الإنترنت. حذفت حسابي على "فايسبوك" ولهذا السبب أساساً توقفت عن العيش مع الأسرار. توقفت مع ساعات منتصف الليل. استثمرت وقتي كله في عملي وصداقاتي. مضى شهران؛ اكتشفت كيف يبدو الذهاب إلى زفاف حين تكونين هناك فقط لتشهدي زواج صديقاتك بدلاً من التعامل معه كسوق لحم يعقد عند الثامنة. اكتشفت كيف يبدو أن تستمتعي بالصوت الجميل الذي يشبه الجرس للجوقة التي تغني في الكنيسة دون تفحص المقاعد الطويلة باهتياج للنظر إلى أصابع الرجال واكتشاف من منهم غير متزوج. تعلمت كيف أستمتع بمحادثة مع رجل يجلس قربي على

العشاء بغض النظر عن حالته الاجتماعية. تعلمت مقاومة الحرب من أجل لفت انتباه رجل عازب واحد على المائدة بقول شيء غير لائق بنبرة مسرحية غامضة لسيد جيمس. رأيت ليو لأول مرة منذ خمس سنوات في حفلة والتقيت زوجته الجديدة. عانقتهما ثم تركتهما. أعلن هاري خطوبته. أرسلت إليه رسالة تهنئة. لم تعد قصصهم تعنيني، ولم أكن بحاجة إلى انتباههم. شعرت كما لو كنت أخيراً أهرول في طريقي الخاص، أجمع سرعتي وزخمي الخاصين.

جلست في المترو غارقة في كتابي بدلاً من محاولة التقاط عيني رجل. تركت الحفلات عندما أردت أن أغادر بدلاً من الدوران في الغرفة حتى تنفد الجعة على أمل أن أجد أحداً يعجبني. لم أعد أذهب إلى المناسبات فقط لأنني عرفت أن أشخاصاً محددين سيكونون هناك، ولم أخترع لقاءات بالمصادفة مع الأشخاص الذين أعجبوني. خرجت للرقص مع لورين في إحدى الليالي وعندما بدأت حديث تعارف بقيتُ وسط حلبة الرقص لساعة ورقصت بمفردي، تعرقت وتمايلت ودرت ودرت بدلاً من البحث شاب أتعرف إليه.

''هل تنتظرين أحداً؟'' سألني شاب وهو يسحبني نحوه.

''لا، إنها هنا بالفعل''، قلت وأبعدتُ يديه عني.

''لم أظن أبداً أنني سأستخدم هذه الكلمة في ما يخصك، وأنا لا أريدك أن تشعري بالأذى منها''، قالت فارلي بعد ثلاثة كؤوس في الحانة بعد بضعة أسابيع، ''لكنني وجدت صحبتك هادئة جداً في هذه الشهور القليلة الماضية''.

''متى كانت آخر مرة رأيتني فيها هادئة؟'' سألت.

''حسناً، أنا فقط لم أرك''، أجابت قبل أن تتناول بقية الفودكا تونيك وتكسر مكعب الثلج بأسنانها. ''أبداً. خلال عشرين عاماً تقريباً''.

في آخر الربيع، استقليت طائرتين وذهبت إلى جزر أوركني لأكتب مقالة لمجلة سفر حول فن قضاء العطلة بمفردك. بقيت في الحانة التي تطل على ميناء Stromness، وفي الليل بعد أن شربت الجعة وتناولت طبقاً من بلح البحر في الطابق السفلي خرجت لنزهة على طول الشاطئ ونظرت إلى السماء الواسعة المفتوحة التي كانت أوسع من أي سماء رأيتها في حياتي.

في إحدى الليالي بعد قضاء أيام في عزلة آمنة مع أفكاري، مشيت تحت النجوم وعلى طول الشوارع المرصوفة، وهناك استحوذت عليّ فكرة مثل أزهار wisteria الحيوية الآسرة. لا أحتاج موسيقياً موهوباً لامعاً ليكتب سطراً عني في أغنية. لا أحتاج معلماً روحياً ليخبرني أشياء عن نفسي أظن أنني لا أعرفها. لا أحتاج أن أقص شعري كله لأن فتىً أخبرني أنه سيناسبني. لا أحتاج أن

أغير شكلي لأجعل نفسي أستحق حب أحدهم. لا أحتاج أي كلمات أو نظرات أو تعليقات من رجل لأصدق أنني مرئية، ولأصدق أنني هنا. لا أحتاج أن أهرب من الضيق إلى عيون ذكرية. ليس ذلك ما أحتاجه.

لأنني أكفي. قلبي يكفي. القصص والجمل التي تدور في ذهني تكفي. أنا أفور وأرغي وأزبد وأنفجر. أنا أغلي وأحترق. نزهاتي في الصباح الباكر وحمّاماتي في المساء المتأخر تكفي. ضحكتي العالية في الحانة تكفي. صفيري الثاقب، وغنائي في الحمّام، والمرونة في مفاصل أصابعي كافية. تكفيني كأس مدفوعة وعلى وجهها رغوة لذيذة. أنا عالمي الخاص، مجرة، نظام شمسي. أنا فرقة الإحماء، والفرقة الأساسية والكَورَس.

وإن كان هذا هو الأمر، إن كان هذا كله متوافراً، فأنا والأشجار والسماء والبحر فقط. أنا أعرف الآن أن هذا يكفي.

أنا كافية. أنا أكفي. ترددت الكلمات داخلي تهز كل خلية وهي تغادر. شعرت بها، فهمتها، انصهرت داخل عظامي. ركضت الفكرة بسرعة وقفزت عبر جسدي مثل حصان سباق. أعلنتها للسماء المظلمة. راقبت كلماتي تتنقل من نجم إلى نجم وتتأرجح مثل طرزان من غصن إلى غصن. أنا كاملة وتامة ولن أنتهي أبداً.

وأنا أكثر من كافية.

(أظن أنهم يسمون ذلك "اختراقاً")

ثمانية وعشرون درساً تعلمتها في ثمانية وعشرين عاماً

1 – هناك 1 من 100 شخص يمكنهم أن يتعاطوا المخدرات بكثرة ويتناولوا الشراب بانتظام لوقت طويل دون أن يشعروا بالفراغ أو باشتياق عميق. هناك 1 من 200 شخص ممن لا يتأثرون سلباً بذلك. بعد سنوات عدة من محاولة اكتشاف هذا، قررت أن كيث ريتشاردز هو الاستثناء، وليس القاعدة. يستحق الاحترام، لكن يجب تقليده بحذر.

2 – هناك 1 من 300 شخص ممن يمكنهم أن يمارسوا الجنس مع ثلاثة غرباء في الأسبوع دون أن يكون ذلك لأنهم يتجنبون شيئاً ما على نحو يائس. ربما يكون هذا الشيء هو أفكارهم أو سعادتهم أو جسدهم، وربما يكون الوحدة، أو الحب، أو التقدم في السن أو الموت. بعد سنوات عدة من محاولة اكتشاف ذلك، قررت أن رود ستيوارت هو الاستثناء، وليس القاعدة. يستحق الاحترام، لكن يجب تقليده بحذر.

3 – قصائد سميث "السماوات تعرف أنني بائس الآن" هي التعبير الأكثر إتقاناً الذي يفسر واقع الحياة وهي تلخص التفاؤل الأولي وتليه السخافة المدمرة في السنوات الخمس الأولى من عشرينات المرء بإيجاز أنيق.

4 – الحياة شيء صعب، وقاسٍ، وحزين، وغير معقول، وغير منطقي. القليل منها مفهوم. الكثير منها غير عادل. والكثير منها ببساطة يتلخص في صيغة غير مرضية من الحظ الجيد والسيئ.

5 – الحياة شيء رائع، سحري، مسلٍّ، سخيف. والبشر مذهلون. جميعنا نعرف أننا سوف نموت، ومع ذلك نستمر بالحياة. نصرخ ونلعن ونهتم عندما تنكسر سلة قمامة مليئة، مع أننا بمرور كل دقيقة نقترب أكثر من النهاية. نحن نمتلئ إعجاباً بالغروب الذي بلون الدراق في شارع M25 أو برائحة رأس طفل رضيع أو بكفاءة أثاث الشقة حتى لو كنا نعلم أن كل شخص نحبه سوف يغادر الوجود يوماً ما. لا أعرف كيف نفعل ذلك.

6 – أنت المجموع الإجمالي لكل شيء حدث لك حتى الرشفة الأخيرة من فنجان الشاي ذاك الذي وضعته من يدك للتو. كيف عانقك والدك، ذاك الشيء الذي قاله لك أول حبيب ذات مرة عن أشيائك، هذه هي القطع التي بنتك من أسفل قدميك للأعلى. شذوذاتك وعيوبك وإخفاقاتك هي أثر فراشة للأشياء التي رأيتها على التلفاز، والأشياء التي قالها لك المدرسون والطريقة التي نظر فيها الناس

إليك منذ اللحظة الأولى التي فتحت فيها عينيك. أن تكون محققاً في ماضيك تتعقب أثر كل شيء لتحصل على المصدر بمساعدة من مختص يمكن أن يكون أمراً مفيداً ومحرراً بطريقة لا تصدق.

7 – لكن العلاج النفسي يمكن أن يذهب بك بعيداً تماماً. إنه مثل اختبار نظري لتعلم القيادة. يمكنك أن تتمرني قدر ما تشائين على الورق، لكن في نقطة ما ستدخلين السيارة وتشعرين واقعياً كيف يعمل هذا.

8 – لا يحتاج الجميع إلى التبحر داخلهم مع العلاج النفسي. الجميع يكون مختلاً على مستوى ما، لكن الكثير من الناس يمكنهم أن يتصرفوا بطريقة مختلة.

9 – لا أحد أبداً ملزم أن يكون في علاقة هو لا يريد أن يكون فيها.

10– تُفسد العطلة بطريقة كاملة وتامة إذا لم تشترِ علبتين من البخاخ الطارد للحشرات في المطار وأنت في طريقك إلى هناك. لن تشتريها أبداً عندما تصل إلى الضفة الأخرى. سوف تجلس إلى العشاء خارجاً كل ليلة مع شركائك في العطلة والجميع يقول "لقد عضني" بعداء مبطن تجاه بعضكم بعضاً لأن كل شخص منزعج من أن أحداً آخر لم يتذكر أن يحضرها. اشترها في المطار فقط وأنت في طريقك إلى الخارج وعندئذ يتم الأمر.

11– لا تتناولي السكر كل يوم. السكر يحوّل كل شيء خارج وداخل جسمك إلى هراء. ثلاثة لترات من الماء تجعل كل شيء يعمل على نحو صحيح. كأس من النبيذ الأحمر فيها الشفاء.

12– لا يطلب منك أحداً أبداً أن تعدي لوحة صداقة من الأرض إلى السقف له لعيد ميلاده، أو أن تتصلي به ثلاث مرات في اليوم. لا أحد سوف يبكي إن لم تدعه إلى العشاء لأنك لا تملكين ما يكفي من الكراسي. إذا شعرت أنك منهكة من الناس، هذا لأنك تلعبين قصداً دور الضحية لجعلهم يحبونك. هذه مشكلتك، وليست مشكلتهم.

13– إنها مهارة وغير مجدية أن تحاولي جعل خياراتك الصغيرة كلها ممثلة لبوصلتك الأخلاقية ثم تلومين نفسك عندما يفشل هذا المخطط حتماً. يمكن لمناصري المرأة استخدام الشمع لإزالة الشعر. يمكن للكهنة أن يقسموا. يمكن للنباتيين أن يلبسوا أحذية جلدية. افعل أفضل ما تستطيع. لا يستند التمثيل المهم عالمياً إلى أي قرار تتخذينه.

14– يجب أن يمتلك الجميع ألبوم بوي سيمون وكتاب ويليام بويد وفيلم ويس أندرسون. إذا كانت هذه هي الأشياء الثلاثة الوحيدة التي تملكها على رفك، سوف تجتازين أطول وأبرد وأكثر ليلة تشعرين فيها بالوحدة.

15– إذا كنت في شقة مستأجرة، اطلي الجدران بالأبيض وليس بالبيج. البيج الرخيص قذر، وممل ومبهرج. الأبيض اللامع الرخيص لطيف ونظيف ومهدئ.

16– إذا ضغطت زر shift وF3، هذا سيجعل الحروف كلها إما كبيرة وإما صغيرة.

17– دعي الناس يضحكون عليك. دعي نفسك تكون غبية. الفظي الأشياء خطأ. اسكبي اللبن على قميصك. الخلاص الأعظم أن تدعي ذلك يحدث أخيراً.

18– على الأرجح أنت لا تعانين من أنك لا تتحملين القمح، فأنت تأكلين القمح بنسبات عادية 90–100 غ من المعكرونة أو شريحتين من الخبز. الجميع يشعرون بقلة الراحة بعد تناول رزمة كاملة من الخبز. ستشعرين أنك غير مرتاحة إذا تناولت بطيخة كاملة أيضاً.

19– ليس هناك طريقة أسرع لربط مجموعة من النساء من فتح موضوع شعر الذقن الخشن الخبيث.

20– يصبح الجنس فعلاً أفضل مع العمر. إذا استمر في هذا التحسن كما هو الآن، سأكون في حالة جماع دائم في عمر التسعين. لن يكون هناك فائدة في فعل أي شيء آخر، بغض النظر عن التوقف بعد الظهر لتناول شريحة Bakewell.

21– من الجيد تماماً أن تركزي على نفسك: مسموح لك أن تسافري وتعيشي بمفردك وتنفقي أموالك كلها على نفسك وتغازلي أي شخص تحبين وتكوني مشغولة مع عملك كما تشائين. ليس عليك أن تتزوجي وليس عليك أن تنجبي أطفالاً. إذا لم ترغبي في الانفتاح ومشاركة حياتك مع شريك، هذا لا يجعلك سطحية. لكن أيضاً ليس جيداً تماماً أن تكوني في علاقة إذا كنت تعرفين أنك تريدين أن تكوني بمفردك.

22– بغض النظر عن الجنس والعمر والحجم، الجميع يبدو جيداً في قميص أبيض أو سترة بياقة عالية أو حذاء بني من الجلد أو سترة من denim أو معطف طويل.

23– لا يهم كم يكون جيرانك سيئين. حاولي أن تبقي على علاقة جيدة معهم. أو اصنعي تحالفاً على الأقل مع شاغلي الشقة المجاورة لبابك الذي يمكنك أن تومئي إليهم باحترام عند تفريغ سلال المهملات. سيكون هناك تسرب في الغاز واقتحام من اللصوص وطرود تحتاج إلى تسليم عندما تكونين في الخارج، وهذا سيكون أسهل بكثير إذا كان لديك دوماً شخص ما يمكنك أن تطرقي على بابه وتقبلي عيوبه بابتسامة. واتركي معهم مجموعة احتياطية من مفاتيحك من أجل الطوارئ.

24– حاولي الادعاء أن شبكة Fi–Wi غير موجودة في القطار؛ إنها سيئة جداً. على أي حال، احتفظي بكتاب في حقيبتك دوماً.

25– إذا كنت تشعرين أنك مأخوذة بدرجة كبيرة بشيء ما، جربي هذا، نظفي غرفتك، أجيبي على بريدك الإلكتروني المنتظر، استمعي للإذاعة، استحمي، اذهبي إلى السرير قبل الحادية عشرة.

26– اسبحي عارية في البحر كلما كانت الفرصة مناسبة. اخرجي عن طريقك لفعل ذلك. إذا كنت تقودين مترددة متجهة إلى مكان ما قريب من الساحل وشممت رائحة البحر المالح في الهواء، اركني السيارة، اخلعي ثيابك ولا تتوقفي عن الركض حتى يغمرك المحيط البارد.

27– سيكون عليك أن تختاري نمط حياتك بين وضع طلاء الأظفار وعزف الغيتار. ليس هناك امرأة يمكن أن تحصل على الاثنين.

27 (أ) – باستثناء دولّي ألدرتون.

28– ستتغير الأشياء جذرياً على نحو لا يمكنك تخيله أبداً. وستنتهي على بعد 300 ميل من أكثر توقعاتك جموحاً. الناس الأصحاء يسقطون موتى في طوابير التسوق. حب حياتك المستقبلي يمكن أن يكون رجلاً يجلس قربك في الحافلة. يمكنك الآن أن تخاطبي مدرسة الرياضيات التي درستك في الثانوية ومدرب الركبي باسم سوسان. كل شيء سوف يتغير. وهذا يمكن أن يحدث في أي صباح.

العودة

هناك كثير مما لا أعرفه عن الحب. أولاً وقبل كل شيء أنا لا أعرف كيف تبدو العلاقة التي تستمر لأكثر من عامين. أحياناً أسمع الناس المتزوجين يشيرون إلى "مدة" علاقتهم على أنها استمرت أطول من أطول علاقة عشتها يوماً. واضح، هذا شائع. سمعت الناس يصفون السنوات العشر الأولى من علاقتهم أنها "شهر العسل". شهر العسل عندي أقل بكثير من عشر دقائق. لدي صديقات يصفون علاقاتهم كأنها الشخص الثالث في شراكتهم، شيء حي يتلوى ويتحول ويتحرك وينمو كلما زادت المدة التي يقضيانها معاً. كائن يتغير تماماً مثلما يتغير شخصان يعيشان معاً. لا أعرف ما الذي أفعله لرعاية هذا الكائن الثالث. لا أعرف حقاً كيف يبدو الحب الطويل المدى أو كيف يبدو من الداخل.

أنا أيَضاً لا أعرف ما هو أن تعيش مع شخص تحبه. لا أعرف كيف يبدو أن تذهبا للبحث عن منزل معاً، وتتآمرا ضد السمسار همساً من الحمام. لا أعرف كيف أصطدم بشخص ما كل صباح في الحمام ونحن نتبادل الأدوار لتنظيف أسناننا واستخدام المِرَش في روتين أليف. لا أعرف كيف يبدو أن تدركي أنك لن تغادري أبداً وتعودي إلى البيت مرة ثانية، لأن منزلك هو حيث أنتِ طوال الوقت.

في الحقيقة، لا أعرف ماذا يعني أن تكوّني مع شريكك فريقاً صحيحاً؛ أنا لم أستخدم أبداً علاقة رومانسية كمصدرٍ للدعم ولم أسترخِ في ظلها. لكنني كنت في الحب وفقدت الحب؛ عرفت كيف يبدو أن تَهجري وتُهجري. أتمنى أن الباقي كله سيأتي يوماً ما.

تقريباً كل شيء أعرفه عن الحب تعلمته من صداقاتي الطويلة مع النساء، خاصة اللواتي عشت معهن في مرحلة أو أخرى. أعرف ماذا يعني أن تعرف كل تفصيل صغير عن شخص ما والفرح بتلك المعرفة كما لو كانت موضوعاً أكاديمياً. عندما يتعلق الأمر بالفتيات اللواتي بنيت منازل معهن، أنا مثل المرأة التي تستطيع أن تتنبأ بما سيطلبه زوجها في كل مطعم. أعرف أن إنديا لا تشرب الشاي، وأن شطيرة آج المفضلة هي الجبن والكرفس، إذ تسبب المعجنات حرقة في المعدة لبيلّي، وفارلي تحب خبزها بارداً ولذا تمد الزبدة فوقه لكنها لا تذوب. تحتاج آج ثماني ساعات نوم كي تعمل، فارلي سبعاً، بيلّي نحو ست وإنديا يمكنها أن تعمل طوال اليوم بأربع إلى خمس ساعات على الطريقة التاتشرية[84]. منبه استيقاظ فارلي مضبوط على أغنية "so far away" لكارول كينج

وهي تحب مشاهدة البرامج التي تعتمد على سرد القصص عن الأشخاص السمينين والتي تسمي الأشياء أسماء مثل أم نصف طن أو ابني، أو الحيتان القاتلة. تشاهد آج حلقات Home and away القديمة على "يوتيوب"، هذا مذهل، وتشتري كتباً عن السودوكو لتحلها في السرير. تمارس بيلّي التمارين الرياضية التي تشاهدها في الفيديو في غرفة نومها قبل الذهاب إلى العمل وتستمع لموسيقا ترانس[85] وهي تستحم. تركب إنديا قطع البازل في غرفة نومها وتشاهد حلقات Fawlty Towers في عطلات نهاية أسبوع. أنا فقط لا أعرف ما الفائدة التي تجنيها من ذلك. قالت لي بيلّي سراً ذات مرة إن "هناك اثنتا عشرة حلقة فقط".

84 صفة تطلق على كل ما يخص السياسات والاقتصاد لرئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارغريت تاتشر التي يعرف أنها كانت تنام أربع ساعات فقط.

85 نوع من موسيقا الرقص الإلكترونية.

أعرف الحماسة التي تشعر بها وأنت تعلّق أسطوانة أكسجين وتغوص عميقاً في شذوذات شخصٍ وأخطائه، والتمتع بكل لحظة ساحرة من الاكتشاف كحقيقة أن فارلي كانت طوال معرفتي بها تنام دوماً مرتدية التنورة. لماذا تفعل ذلك، ما الفكرة من ذلك؟ أو أن بيلّي تنزع سروالها الضيق بلون اللحم ليلة الجمعة عندما تعود إلى المنزل من المكتب، هل لهذا علاقة بغضبها الهادئ من نظام الشركات، أو أنه مجرد تقليد كبرت وهي مولعة به؟ تلف آج وشاحاً حول رأسها عندما تكون متعبة، هذا بالتأكيد ليس استحواذاً ثقافياً[86]، إذاً ما هو؟ هل كانت تُلف كثيراً وهي رضيعة فيعطيها هذا إحساساً بالطفولة؟ لدى إنديا بطانية مريحة كسترة زرقاء داكنة قديمة جداً تسميها Nigh [87] تحب أن تنام معها. لماذا تستخدم معها صفة المذكّر؟ وكم كان عمرها حين قررت أنها كانت صبياً؟ في الحقيقة، لا أرغب في شيءٍ أكثر من أن أعقد نوعاً من صالون أدبي تُحضر فيه صديقاتي المحبوبات جميعهن بطانياتهن المريحة من الطفولة إلى الطاولة ونناقش الهوية الجنسية لكل منها. سأجد ذلك، صدقوا أو لا تصدقوا، مهماً جداً.

86 الاستحواذ الثقافي: تبنّي أشخاص من الثقافات السائدة عناصر تابعة للأقلية الثقافية، لكن يمكن أن يشير إلى نظرة سلبية تجاه التبادل الثقافي من ثقافة أقلية عبر ثقافة مسيطرة.

87 كلمة قديمة تعني المقرّب.

أعرف الثقة في البناء التعاوني والإدارة المشتركة لاقتصاد المنزل. أن تعرف أن هناك دوماً شخصاً ما سوف يقرضك 50 جنيهاً لتدفع مصاريف يومك طالما أنك ستردها هم أيضاً يحتاجون أن يستعيروا منك بالطريقة نفسها. "نحن مثل أطفال المدرسة الابتدائية الذين يتبادلون الشطائر على الدوام"، قالت بيلّي ذات مرة عن رواتبنا، "في الأسبوع الأول أنت تحتاجين شطيرة التونة والذرة

الحلوة خاصتي، وفي الأسبوع التالي أريد شطيرة البيض والجرجير خاصتك". أعرف إثارة بريد ديسمبر والبطاقات المرسلة عبر صندوق البريد مع ثلاثة أسماء مكتوبة على مقدمة الغلاف التي تجعلك تشعر أنكم عائلة. أعرف المعنى الغريب للأمان الذي تشعر به لرؤية ثلاثة ألقاب على حساب واحد عندما تسجل دخولاً إلى الحساب المصرفي على الإنترنت.

أعرف كيف يبدو بالنسبة إلى الهوية أن تكون أكبر مما أنت عليه، أن تكون جزءاً من "نحن". أعرف ما يبدو عليه أن تسمع فارلي تقول لشخص في الجهة المقابلة كمن الطاولة: "نحن لا نريد فعلاً تناول اللحم الأحمر"، أن تسمع لورين تقول لفتى التقته في حفلة "تلك مجموعتنا المفضلة Van Morrison". أعرف كم هو جيد جداً أن تشعر بتلك المشاعر. أعرف كيف يبدو أن تتجاوز تجربة سيئة ثم تحولها إلى أسطورة مشتركة مثل الزوجين اللذين يخبران بطريقة مسرحية قصة ضياع حقائبهما في عطلتهما الأخيرة، ويصوّبان لبعضهما بعضاً. نحن نفعل الشيء نفسه مع كوارثنا الصغيرة الخاصة، كالمرة التي انتقلنا فيها أنا وإنديا وبيلّي من المنزل وكان يمكن لكل شيء أن يفشل ويصبح خطأ، إذ تلخصت القصة في مفاتيح ضائعة واستعارة نقود من أصدقاء والنوم على الأريكة ووضع الأشياء في المستودع، وكانت قصة رائعة.

أعرف ما هو أن تحب شخصاً ما وتقبل أنك لا تستطيع أن تغير أشياء محددة فيه. لورين متحذلقة نحوية، بيلّي فوضوية، صابرينا تواصل الكلام دون توقف، آج لن ترد عليّ أبداً، فارلي مزاجية دوماً عندما تكون متعبة أو جائعة. أعرف كم يمنحك إحساساً بالحرية أن تكون محبوباً ومقبولاً مع عيوبك كلها في المقابل. هاتفي دوماً غير مشحون، وأنا مفرطة الحساسية، تستحوذني الأشياء، وأترك سلة المهملات تمتلئ حتى النهاية.

أعرف ما هو أن تسمع شخصاً تحبه يخبرك قصة سمعتها خمسة آلاف مرة كمستمع مبتهج. أعرف كيف يبدو لذاك الشخص، لورين، أن يزين قصته كل مرة ببهرجة أكثر مثل بيضة فابرجيه[88] القصصية. "حدث هذا عند الحادية عشرة"، تصبح، "إذاً كان هذا نحو الرابعة صباحاً"، "كنت أجلس على كرسي بلاستيكي"، تصبح، "أنا على كرسي من نوع أريكة مصنوعة يدوياً من الزجاج". أعرف كيف يبدو أن تحب شخصاً كثيراً جداً إذ لا يكون مزعجاً لك على الإطلاق أن تدعه يغني هذا اللحن المعروف وربما ترفع القبعة لدعمه عندما يحتاج.

88 مصنوعات صياغة ثمينة من صنع الصائغ الروسي بيتر كارل فابرجيه.

أعرف كيف تبدو الأزمة في علاقة عندما تفكر: نحن إما نواجه هذا الشيء ونحاول إصلاحه وإما نذهب في طريقين منفصلين. أعرف ماذا يعني أن توافقي على اللقاء في حانة في الضفة الجنوبية، تكون الأمور شائكة ثم تنتهي بعد ثلاث ساعات، تبكيان في أحضان بعضكما وتعدان ألا يتكرر الخطأ نفسه ثانية. الناس يلتقون في الضفة الجنوبية فقط للتصالح أو الانفصال. أجريت بعض أروع الانفصالات وهُجرت في حانة National Theatre.

أعرف ماذا يعني أن تشعري أن لديك على الدوام فناراً يعيدك إلى اليابسة لتشعري بدفء شعاعه وهو يعصر يدك واقفاً قربك في جنازة لشخص أحببته، أو أن تتبعي وميضه عبر غرفة مزدحمة في حفلة سيئة حيث حبيبك السابق وزوجته الجديدة على نحو غير متوقع، الوميض الذي يقول دعينا نشتري الرقائق ونستقل الحافلة الليلية إلى المنزل.

أعرف أن الحب يمكن أن يكون صاخباً ومبهجاً. يمكن أن يكون رقصاً في طين المستنقع تحت المطر الغزير في احتفال، والصياح لأعضاء الفرقة: "تباً كم أنتم مذهلون". هو تقديم الأصدقاء إلى زملائك في مناسبة عمل والتمتع بفخر وهم يجعلون الناس يضحكون ويجعلونك تبدو محبوباً فقط بقوة كونك محبوباً منهم. إنه الضحك حتى تنقطع أنفاسك. هو الاستيقاظ في بلد لم تكن فيه من قبل. هو السباحة عارياً في الفجر. هو السير على طول الشارع معاً في ليلة سبت والشعور أن المدينة بكاملها فقط لكما. هو قوة طبيعية كبيرة جميلة حماسية.

وأعرف أيضاً أن الحب شيء هادئ جداً. هو استلقاء على الأريكة معاً تحتسيان القهوة، وتتحدثان أين ستذهبان في الصباح لتشربا المزيد من القهوة. هو تقليب صفحات الكتب التي تظن أن الآخر يجدها مهمة. هو نشر غسيله عندما يغادر المنزل ساهياً وناسياً إخراجه من الغسالة. هو قول: "أنت هنا أكثر أماناً من أن تكوني في سيارة، احتمال أن تموتي في واحدة من صفوف اللياقة التي تنحتين فيها جسدك أكثر من احتمال موتك في الساعة التالية"، بينما هو يلهث على طائرة نفاثة تطير إلى دبلن. هو الرسائل التي تقول: "أتمنى أن يسير اليوم جيداً"، "كيف سار اليوم؟" "فكرت فيك اليوم"، "أحضرت محارم الحمام". أعرف أن الحب يحدث تحت روعة القمر والنجوم والألعاب النارية وغروب الشمس. لكنه يحدث أيضاً عندما تكون مستلقياً على سرير هوائي منفوخ في غرفة نوم طفولتك، أو تجلس في غرفة طوارئ أو في طابور في انتظار جواز السفر أو في ازدحام السير. الحب هو اطمئنان تام، ارتياح، عبث، انسجام متحذلق حول شيء. شيء ما يمكنك أن تنسى بسهولة أنه هناك، مع أن كفيه ممدودتان تحتك في حال سقطت.

عشت مع صديقاتي لخمس سنوات قبل أن ينتهي ذلك. أولاً غادرتني فارلي من أجل حبيبها، ثم غادرت آج، ثم اتصلت بي إنديا ذات يوم لتخبرني أنها كانت مستعدة لفعل الشيء نفسه قبل أن تنفجر بالبكاء.

"لماذا تبكين؟" سألتها، "هل لهذا علاقة بما كنت عليه مع فارلي حين التقت سكوت؟"، "هل أنت خائفة من أن أصاب بالجنون؟ هل أنتن جميعاً ترين أنني مجنونة؟ كان ذلك قبل أربع سنوات، أنا الآن محصّنة بطريقة أفضل للتعامل مع هذا".

"لا، لا"، زفرت، "أنا فقط سأشتاق إليك".

"أعرف"، قلت، "أنا سأشتاق إليك أيضاً. لكنك ستكملين الثلاثين هذا العام ومن الرائع أن تكون علاقتك جاهزة للتقدم إلى الأمام. صحيح تماماً وعادي أن الأشياء تتغير"، كنتُ متفاجئة من منطقيتي حول الأمر برمته ومنحت نفسي وسام CBE على خدمات الصداقة.

"ماذا ستفعلين؟" سألت، " كنت تتحدثين على الدوام كم تودين تجربة العيش بمفردك".

"لا أعرف، لا أعرف إن كنت مستعدة لذلك الآن"، قلت، "ربما عليّ أن أبقى مع بيلّي حتى تقرر الانتقال مع حبيبها. سيعطيني هذا على الأقل ستة أشهر لاكتشاف ماذا سأفعل بعدها".

"دولّي، أنت لست في The Hunger Games[89]"، قالت، "لا يجب أن يكون هناك اختبار تحمل بين صديقاتنا لتري من يمكن أن يلتصق بك أطول مدة".

89 [مباريات الجوع] فيلم خيال علمي، إنتاج 2012.

أدركت أن أمامي فرصة للاختيار. يمكنني أن أنتظر حتى تجد كل واحدة من صديقاتي العازبات رجلاً وتنتقل للعيش معه. يمكنني الاستئجار مع غرباء من Gumtree [90] ممن يحتفظن بمعجون الحلاقة في البراد، على أمل أنني سأجد رجلاً وأنتقل للعيش معه. أو يمكنني أن أبدأ قصة جديدة بمفردي.

90 الموقع الأول للإعلانات المبوبة المجانية.

لم يكن إيجاد شقة بغرفة نوم واحدة لاستئجارها ضمن ميزانيتي سهلاً. عُرضت عليّ أماكن عدة فيها أسرّة قرب الأفران، ومرشات الحمام معلقة فوق المرحاض في "غرفة رطبة". كان هناك غرفة بمساحة عشرين متراً مربعاً تحتوي "سريراً واحداً واسعاً"، ومحاطة بشريط للشرطة عند بابها الأمامي. أتت إنديا معي لرؤية الخيارات والتفاوض واستجواب مجموعة السماسرة ولتسألني هل أستطيع فعلاً تدبر الأمر دون خزانة، وحفظ ملابسي كلها في حقيبة تحت السرير بدلاً من ذلك.

لكن في النهاية وجدت مكاناً يمكنني تحمله وسط كامدن. كان شقة في طابق أرضي مع غرفة نوم وحمام وغرفة معيشة، مساحة كافية لخزانة ومرش معلق فوق حمّام حقيقي. في الخلف، كان هناك مطبخ واطئ رطب من دون أدراج، وكان صغيراً جداً ولا أكاد أستطيع أن أستدير فيه، مع كوة ومشهد على القناة يجعل الأمر يبدو كأنني في قارب. لم يكن مثالياً لكنه سيكون لي.

اجتمعنا نحن اللواتي عشنا معاً في حفلٍ لتوديع العشرينات في حانة. جئنا ونحن نرتدي زيّاً يذكّر بعنصر من عناصر شقتنا المشتركة في عشريناتنا، زيّاً كان مضطرباً مثلما كانت. أتت آج تماماً مثل جوردن، مالك منزلنا الأول، بسترة سائق دراجة جلدية في منتصف العمر، وحذاء رياضي أبيض، وشعر مستعار بني قصير مع ابتسامة متملقة دائمة. وكساكنٍ مهووس بالنظافة، أتت فارلي كمكنسة كهربائية عملاقة في زي كُرَوي مع أنبوب موصول كانت تجره على الأرض كلما ازدادت ثمالة. جاءت بيلّي كجارتنا الصاخبة المزعجة، مع أحمر شفاه حول شفتيها وشعر مستعار طويل. أتت إنديا كسلة مهملات عملاقة مع أكياس قمامة مربوطة حول حذائها، وغطاء للقبعة وكيس فارغ لمناديل الوجه وأكياس فارغة لوجبات Monster Munch معلقة على جسدها لأن تفريغ السلة أو تجديد حافظتها أو إخراجها كان على الدوام الموضوع الأكثر تداولاً في المدة التي قضيناها معاً. أتيت كعلبة سجائر عملاقة وندمت على ذلك فوراً إذ استمر الناس يتقدمون مني ليطلبوا سجائر مجانية مفترضين أنني كنت فتاة إعلانات تروج لسجائر Marlboro وهي تجوب شوارع بلدة كنتش.

تنقلنا من حانة إلى أخرى قبل أن ننتهي عائدات إلى منزلنا الأول ذي الآجر الأصفر. حتى أننا مررنا بإيفان عند متجر الزاوية، لنكتشف من زميله أنه سافر على نحو غامض جداً إلى الخارج من أجل ''بعض الأعمال غير المنتهية''، وغادر ''دون أثر''.

''غادر الفنانون''، قالت بيلّي بحزن ونحن نسير قرب الحافة الهلالية عند الغسق، ''الآن سيتحرك المصرفيون''.

بعد أسبوع، وضعت أواني نباتاتي المغلفة بأوراق في صناديق من الورق المقوى ونقلتها إلى منزلي الجديد. في الليلة الأخيرة التي قضيناها معاً، شربنا، أنا وبيلّي وإنديا، نبيذ بروسيكو ونبيذاً أحمر معتقاً لعقد ورقصنا بثمالة على أنغام بول سيمون حول غرفة معيشتنا الخالية. تكومنا جنباً إلى جنب وركبنا متلاصقة في الزاوية فوق السجادة الملوثة بالنبيذ، ولك نكد نتحدث، ونحن ننتظر شاحنات النقل الخاصة التي ستأتي في الصباح التالي.

جاءت فارلي، الشخص الأكثر كفاءة وتنظيماً الذي سأعرفه في حياتي، لتساعدني في ترتيب الأشياء في اليوم الذي انتقلت فيه إلى منزلي الجديد. ''هل أنت متأكدة أنك تريدين هذا؟'' أرسلت إليها

رسالة وأجابت: "من فضلك هذا مثل الكوكايين بالنسبة إليّ". طلبنا طعاماً فيتنامياً وجلسنا على أرضية غرفة معيشتي نلتهم حساء النودلز ونغمس لفائف summer في صلصة sriracha ونحن نتحدث أين يجب أن نضع الأريكة والكراسي والأضواء ورفوف المكتبة، وأين سأجلس وأكتب كل يوم. فككنا الحزم قبل أن أسقط منهكة على مفرشي الموضوع مقابل جدار غرفة النوم محاطة بصناديق الأحذية الكرتونية وحقائب الملابس وأكوام الكتب.

عندما استيقظت في الصباح كانت فارلي قد غادرت إلى العمل وكان هناك ملاحظة على الوسادة خربشتها بخط يدها الطفولي الذي لم يتغير منذ كانت تكتب ملاحظات على ملفاتي المدرسية بقلم التصحيح الأبيض خلال صفوف العلوم في الثانوية العامة. "أحب منزلك الجديد وأحبك"، تقول الملاحظة.

تسللت شمس الصباح إلى غرفة نومي وصبت عليّ بَركة الضوء الأبيض المشرق. تمددت في سريري فوق الغطاء البارد كنت وحيدة تماماً لكنني لم أشعر أبداً أنني أكثر أماناً. لم تكن الجدران المحيطة بي هي الشيء الذي خططت بطريقة ما لاستئجاره أو السقف فوق رأسي هو أكثر ما أشعر بالامتنان لوجوده. ولكن كان المنزل الذي أحمله الآن على ظهري كالحلزون. إحساسي أنني كنت أخيراً بين أيدٍ مسؤولة ومُحِبة.

كان الحب هناك في سريري الفارغ. كان مكوماً في تسجيلات لورين التي اشترتها لي عندما كنا مراهقات، في وصفات الطعام التي أعطتني إياها أمي والملطخة بمواد الطبخ هناك بين صفحات كتب الطبخ في خزانة مطبخي. كان الحب في زجاجة من الجن مربوطة بشريط حزمتها إنديا مع أمتعتي، في شرائط صور ملطخة مع زوايا محنية سألصقها على ثلاجتي. كان في الملاحظة التي تستلقي على الوسادة قربي والتي ستطوى وتحفظ في صندوق مع الملاحظات الأخرى كلها التي كتبتها لي من قبل.

استيقظت آمنة في قارب لامرأة واحدة. كنت أحلّق في أفق جديد. أطوف في بحر من الحب.

كان هناك. من عرفَ ذلك؟ كان هناك طوال الوقت.

كل ما عرفته عن الحب في الثامنة والعشرين

سيفضل أي رجل محترم المرأة التي تشعر بالسلام مع نفسها على التي تحتال لتؤثر فيه. يجب ألا تعملي أبداً على لفت انتباه رجل. إذا كان الرجل بحاجة إلى "إبقائه مهتماً"، فهو لديه مشكلات ليس من شأنك حلها.

على الأرجح لن تكوني أفضل صديقة لحبيب صديقتك المفضلة. تخلي عن ذاك الحلم لأنه ضربٌ من الخيال. طالما أنه يجعل صديقتك سعيدة ويمكنك تحمل رفقته خلال وقت غداء طويل فهذا جيد تماماً.

يحب الرجال المرأة العارية والإضافات الأخرى كلها إضاعة ثمينة للوقت.

المواعدة عبر الإنترنت هي للشجعان. تزداد اليوم جداً صعوبة لقاء الناس في الحياة الواقعية. وهؤلاء الذين يحلون أمورهم بأنفسهم، الذين يدفعون ضريبة شهرية من أجل فرصة الاقتراب من الحب، الذين يملؤون ملفاً شخصياً محرجاً يقول إنهم يبحثون عن شخص خاص ليمسك أيديهم في السوبرماركت، هم أبطال رومانسيون عظيمون.

جرّبي جلسة الشمع البرازيلي إذا أردت ذلك. إن لم ترغبي لا تفعلي. إذا أحببت أن تشعري أنك عارية وكان لديك المال، فافعلي ذلك طوال العام. لا تفعلي ذلك أبداً من أجل رجل ولا تفعلي ذلك من أجل "الأختية"، الأختية لا تقدم إلا الهُراء، تطوعي للعمل في مأوى للنساء[91] إذا أردت أن تكوني مفيدة. لا تهدري الساعات في مناقشة سياسات شعر عانتك ولا تجري جلسة الشمع لأنك تظنين أن الامتناع عنها هو قلة نظافة أو بشاعة، لو كان ذلك صحيحاً فإن كل ذكر لم ينزع شعره بالشمع سيكون غير نظيف. إذا كان الراتب يسمح، لا تقتربي من الكريم المزيل للشعر ثانية.

91 مكان للجوء المؤقت وتوفير الدعم للنساء الهاربات من العنف أو المواقف التي تنطوي على سوء المعاملة.

قد لا تكوني قادرة على الاستماع لأغاني علاقاتك السابقة في السنوات القليلة الأولى بعد انتهائها لكن هذه المجموعات ستجد طريقها إليك. ستنتشر الألحان بهدوء الذكريات كلها عن أيام السبت قرب البحر، ومعكرونة ليالي الأحد على الأريكة، وستغادر هذه عائمة بين الأغاني حتى تختفي. سيكون هناك على الدوام اعتراف خفيف في مكان ما عميقاً في نسيج أحشائك يخبرك لأسبوع أن ذاك اللحن، ذاك الرجل، كان في مركز عالمك لكن عند نقطة ما لن يعود قادراً على جعل قلبك يحترق.

إذا كنت لا تزالين تثملين وتتغازلين مع الآخرين أمام حبيبك، فهناك شيء ما خطأ في علاقتك أو على الأرجح، فيك. حددي في أقصر وقت ممكن لماذا تحتاجين هذا المستوى من الانتباه ولا تؤجلي. لأنه ليس ثمّة رجل على سطح الأرض لديه مؤونة من الإمتاع تكفي لملء ذلك الفراغ الذي تشعرين به.

في أغلب الأحيان، سيكون الحب الذي يعطيك إياه شخص ما انعكاساً للحب الذي تعطينه لنفسك. إذا لم تستطيعي أن تمتعي نفسك باللطف والاهتمام والصبر، فالاحتمالات تقول إن أحداً آخر لن يفعل ذلك أيضاً.

سواء كنت نحيلة أو سمينة فذاك ليس مؤشراً على الحب الذي تستحقينه أو الذي ستحصلين عليه.

يصبح الانفصال أصعب كلما تقدمت في السن. عندما تكونين شابة أنت تخسرين حبيباً. كلما كبرت أنت تخسرين حياة أمضيتماها معاً.

ليس هناك أمر عملي له من الأهمية ما يكفي لجعلك تستمرين في العلاقة الخطأ. العطلات يمكن أن تلغى، حفلات الزفاف يمكن أن تلغى، المنازل يمكن أن تباع. لا تخفي جبنك في الأمور العملية.

إذا فقدت احترام أحدهم، لن تكوني قادرة على الوقوع في حبه من جديد.

يجب أن يكون اتحادكما في حياة بعضكما بعضاً متكافئاً تماماً: يجب عليكما أن بذل الجهد لتكونا مشتركين مع أصدقائكما المهمين، عائلاتكما، اهتماماتكما، عملكما، إذا لم يكن هذا متوازناً، فالاستياء سيعرف طريقه إليكما.

يجب أن تمارسي الجنس في الموعد الأول إذا كان هذا يبدو صحيحاً. يجب ألا تأخذي أبداً أي نصيحة من مدرّسة مساعدة ذاتية وقحة تروج فكرة أن تجعلي الرجل الحمار وأنت الجزرة. أنت لست مادة للفوز بك. أنت إنسان مصنوع من لحم ودم وأحشاء ومشاعر. الجنس ليس لعبة سُلطة إنه تجربة تراضٍ، محترمة، ممتعة، خلاقة، تعاونية.

ليس هناك شعور أكثر سوءاً من الانفصال عن أحدهم. أن تُهجري هو ألم شديد مرعب يمكن أن يتحول عند نقطة معينة إلى طاقة جديدة. الشعور بالذنب وحزن الانفصال عن أحدهم يبقيان داخلك وإذا تركتهما سيُنشئان دوائر في عقلك تدور إلى الأبد. أنا أتفق مع أودن في هذا:

إذا لم تكن المودة المتساوية ممكنة / دعيني أكون المحب أكثر

هناك عدد من الأسباب التي قد تبقي شخصاً عازباً وهو في الثلاثين أو الأربعين أو المئة والأربعين وهذا لا يجعله غير مؤهل. كل شخص لديه قصة، خذي الوقت لسماعها.

ممارسة الجنس مع شخص غريب كلياً هو دوماً شيء غريب، لكن البقاء في شقة أحدهم، في أغطية سريره، في غرفة نومه، أو جعله يبقى في غرفتك هو أكثر غرابة.

ليس عمل أي شخص أن يكون المصدر الوحيد لسعادتك. عذراً.

الرجل المثالي لطيف ومرح وكريم. ينحني ليحيي الكلاب ويرتب الرفوف ويبدو مثل قرصان يهودي طويل له عينان مثل كليف أوين وعضلات ذراعين مثل ديفيد غاندي. وهذه الصفات يجب أن تكون إضافة وليست نقطة انطلاق.

أي شخص يمكن أن يكون محط إعجاب، الأكثر عظمة أن يكون محبوباً.

لا تصطنعي الرعشة فهي لا تفيد أحداً على الأطلاق والرجل أكثر من مجهّز للتعامل مع الحقيقة.

إذا كنت تفعلينه لأسباب صحيحة وكلا الطرفين منتبه تماماً إلى طبيعة اللقاء، فالجنس العفوي يمكن أن يكون جيداً فعلاً إذا كنت تستخدمينه مثل وصفة طبية لتشعري أنك أفضل مع نفسك، سيكون تجربة غير مرضية على نحو سيئ.

الجزء الأكثر إثارة من العلاقة هو الأشهر الثلاثة الأولى عندما لا تعرفين بعد هل الشخص الذي معك في العلاقة هو حبيبك. الجزء الرائع يأتي تماماً بعد ذلك عندما تعرفين أن الشخص الذي معك في العلاقة هو حبيبك. الجزء الذي يأتي بعد ذلك هو شيء لم أختبره أبداً. واضح أنه مثير دوماً وقد سمعت أنه الأفضل.

إذا كانت العلاقة تسير على نحو خطأ، ولم يمت أحد ما، فأنت بطريقة ما تلعبين دوراً في ذلك. كم هو إحساسٌ محررٌ وساحقٌ معاً تبعثه فيكِ معرفة ذلك.

الرجال ليسوا سيئين والنساء لسن جيدات. الناس هم الناس وجميعنا نرتكب ونسمح ونعزز الأخطاء.

الألفة هي الهدف. البلادة ليس كذلك.

دعي صديقاتك يهجرنك مرة من أجل علاقة. الأشخاص الجيدون يعودون دوماً.

لخفض معدل دقات قلبك والاستغراق في النوم في الليالي التي تشعرين فيها أن النوم مستحيل، احلمي بكل المغامرات التي هي أمامك والمسافات التي قطعتيها حتى الآن. لفي ذراعيك بقوة حول جسدك. وبينما تضمين نفسك، ضعي هذه الفكرة الوحيدة في رأسك: لدي أنت!

الشكر

شكراً لوكيلتي كلير كونفيل التي أعطت هذا الكتاب شكله بعد أن كان مجرد مراسلات وأجزاء من قصص وقليلاً من الأفكار. أنا ممتنة جداً أن أتمثل بصديقة لطفها كبير مثل مهارتها.

شكراً لجولييت أنان التي فهمت الكتاب تماماً وفهمتني من لقائنا الأول، والتي أدهشتني بغريزتها ورؤيتها من البداية حتى النهاية. لا يمكن أن أطلب مزاجاً وخبرة وتوجيهاً أفضل، لا يمكنني أن أحلم بناشر أفضل.

شكراً لآن ستيدمان لعملها الرائع على الكتاب وتشجيعها المتواصل لي على الكتابة لسنوات.

شكراً لبوبي نورث، روز بول وإلك ديسانير من Penguin، لتعاونهن وتشجيعهن ودعمهن اللامحدود. أنتن العضوات الذهبيات في الأختية.

شكراً لمارتن كيز وإليزابيث داي لقراءتهما الكتاب ولكرمهما وقلبهما الكبير في دعمهما له.

شكراً لسارة ديليستون وويل ماكدونالد وديفيد غرانجير لأنهم أعطوني فرصة في عمر 22 وأنا أملك قصة شعر بيلي أيدول وأعطوني عملاً غيّر حياتي. لا أظن أنني سأجد عملاً ممتعاً مثله.

شكراً لريتشارد هرست كونه الشخص الأول الذي شجعني على الكتابة ولدعمه المستمر ونصائحه ولأنه عرفني إلى موسيقا البونك عندما كنت في السادسة عشرة.

شكراً لإد كريبس وجاك فورد اللذين جعلاني أريد أن أكون أكثر مرحاً فقط كي أتمكن من إضحاكهما.

شكراً لجاكي أنيسلي ولورا أتكنسون لإعطائي عموداً في *The Sunday Times Style* للتحرير وتوجيهي بصبر واهتمام ولتعليمي الكثير عن كيف تُحكى القصة.

شكراً للنساء المذهلات اللواتي لم يعشن معي هذه القصص كلها خلال العقد الأخير فقط وإنما سمحن لي بمشاركتها معهن. شكر خاص لـ: فارلي كلينير، لورين بينستيد، آج سميث، إنديا ماسترز، ساره سبنسر آشوورث، لاسي بوند–جونز، صابرينا بيل، صوفي ويلكنسون، هيلين نيانياس، بيلّي دودلي، أليكس كينغ–لايلز، أوكتافيا برايت، بيتش إيفرارد، ميلي جونز، إيما بيرسي، لورا سكوت، جيس بلوندن، باندورا سايكس، حنة ماكاي، ساره هايكس، نوو كيربي، وجيس وايندهام.

شكراً لعائلة كلينير لأنهم سمحوا لي أن أكتب وأخصص فصلاً في الكتاب لفلورنس التي سيشجعني تواضعها وإخلاصها وعاطفتها دوماً ويلهمني في كل كلمة أكتبها.

شكراً لعائلتي، أمي، أبي، بن، الذين أخبروني دوماً أن أي شيء ممكن، الذين شجعوني دوماً أن أخبر القصة بصدق، بأمان، بمعرفة أنهم لن يحاكموني. أي حظ استثنائي لدي بوجودكم. أحبكم كثيراً جداً.

وأخيراً شكراً لفارلي التي من دون دعمها وتشجيعها الثابت ما كنت لأكتب هذا الكتاب. أنت ستكونين دوماً قصة حبي المفضلة.



حول الكتاب

نبذة

من مراهقة تقضي وقتها على الإنترنت، وتسكنها فكرة أن تكون نحيلة حتى يقبلها محيطها، إلى شابة مكسورة تبحث عن النجاة في عيادة نفسية، ثم إلى امرأة ناضجة كوّنت من تجربتها أساساً تستند إليه، تروي دولّي بصراحة ما عاشته والخلاصات التي غيّرت مجرى حياتها...

وكما تكون الاكتشافات المذهلة في الحياة هي الأكثر بساطة وعفوية، كذلك هذا الكتاب في صدقه وشفافيته، تجتمع أحداثه كأجزاء من مرايا لا بدّ أن تلمح صورتك الحقيقية في واحدة منها، وستجد في البقية ما يشبه الآخرين ممّن تعرفهم أو حتى من لم تلتقِ بهم.

سرد رشيق وحكاية مشوّقة ومثيرة ومفاجئة، مضحكة حيناً ومحزنة حيناً آخر، لا تخلو من المغامرة والجرأة، ومن الانكسارات والإحباط

قيل في الكتاب

*جائزة أفضل سيرة ذاتية لعام 2018

The National Book Awards

*«ممتعة وصادمة»

Daily Telegraph

عن المؤلف

دولّي ألدرتون صحافية حازت جوائز عدة وكتبت في صحف ومجلات منها The Sunday Times وThe Daily Telegraph. تشارك في تقديم برنامج The High Low، كما تكتب وتخرج برامج تلفزيونية. هذا هو كتابها الأول.